هل مات المسيح على الصليب؟



سليم الجابي

هل مات المسيح على الصليب

سليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن

صدر للمؤلف:

- حقيقة القراءة المعاصرة مجرد تنجيم جزء أول
- حقيقة القراءة المعاصرة مجرد تنجيم جزء ثاني
- حقيقة القراءة المعاصرة مجرد تنجيم جزء ثالث وأخير (رد على الكتاب والقرآن قراءة معاصرة للدكتور محمد شحرور)
- نظرية جذور الأخلاق
- القضاء والقدر حقيقة كونية ثابتة
- النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم
- الرأي في المرأة والحرية والتراث حول حوار د. البوطي وأ. فياض
- فن الإختزال في القرآن الكريم
- هل مات المسيح على الصليب

يصدر قريباً:

- في ظلال معاني سورة الكهف
- الله جلّ جلاله (وجوده- عرفانه- طرق الاتصال به)

الباب الأول

الفصل الأول: المقدمة

الفصل الثاني: تعريف بالموضوع

الفصل الثالث: أهمية الموضوع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ كلّ من يتابع مجريات الأمور في زماننا الحاضر، يدرك أنّ حكومات أمريكا وأوروبا التي تدين أكثرية شعوبها بالمسيحية، أضحت لها الهيمنة الواضحة على شعوب وحكومات العالم بأسره بصورة مباشرة وبصورة غير مباشرة.

ومن كان مفكّراً دينياً مثلي، لا بد أن تأخذ هذه الظاهرة حيزاً من ذهنه وتفكيره. خصوصاً وأني مسلم أعتقد بمصداقية القرآن الكريم الذي لم ينكر على المسيح عيسى ابن مريم نبوته. في وقتٍ أنكر على بني إسرائيل تكذيبهم لنبوة المسيح ورسالته. فما معنى أن يعتبر اليهود المسيح الناصري ملعوناً وكاذباً ليأتي القرآن من بعد فيعترض عليهم ويدعي خطأهم فيما ذهبوا إليه، إلاّ أن يكون هذا القرآن يقدم حجة قاطعة على ما يدعيه ما دام تنزيلاً من الله العزيز الحكيم الذي يعلم السر وأخفى؟

أي أنّ ظاهرة هيمنة الحكومات المسيحية تجر ذهن أمثالي وتحثّهم على إعادة النظر في حقيقة الجدل القائم ما بين يهود العالم وما بين كلّ من كان مسيحياً حول شخص المسيح الناصري.

ذلك أنّ اليهودي حينما يسأله أي إنسان عن سبب محاولة أجداده القدماء قتل المسيح على الصليب، يعيد هذا اليهودي إلى ذهنه ما ورد في التوراة: (فيقتل ذلك النبي)[1] بمعنى أنّ وجود هذا النص التوراتي كان السبب في محاولة اليهود قتل كلّ مدعٍ كاذبٍ للنبوة. وهم اعتقدوا كذب المسيح الناصري في ادعائه النبوة وادعائه أنه المسيح الذي كان اليهود ينتظرون ظهوره وفقاً للنبوءات التوراتية.

---

(١) الكتاب المقدس- سفر التثنية- الإصحاح (٢٠/١٨)- طبعة بيروت عام ١٩٨٩م.

وبغض النظر عن مدى حقيقة هذا النص التوراتي، فإنّ اليهود ضغطوا ضغطاً جماهيرياً على الحاكم الروماني بيلاطس النبطي ليصلب لهم المسيح، ليثبتوا بـذلك كذبه فيما ادعاه. واليهود اعتقدوا أنهم أفلحوا في مسعاهم وقتلوا المسيح الناصري مصلوباً. فكذّبوه وطاردوا أتباعه في كلّ مكان، وانقلب مـا فعلـوه إلى عـداوة وبغضاء.

فهل أفلح اليهود حقّاً في إماتة المسيح على خشبة الصليب، إن كان صـادقاً على حسب ما أعلنه القرآن الكريم؟ هذا السؤال الكبير لطالما دار في خلدي يؤرقني ويدفعني لأن أعثر على دليلٍ قاطع قدمه القرآن الكريم في هذا المضمار.

وبعد العودة إلى القرآن الكريم والأناجيل المعاصرة بحثاً وتمحيـصاً، وإلى مـا أورده المؤرخون والمفسرون، فقد تجمعت بين يدي خيوط حقيقيةٍ غابت عن اليهود وعن المسيحيين أنفسهم وعن المفسرين المسلمين وعلماء المسلمين. وما كانت هذه الخيوط لتقع في يدي، وما كانت تلك الحقيقة لتتجلّى لعيني، لو لم أتجرد عن كـلّ ما هو موروث، ولو لم أبحث بأسلوبٍ موضوعي وعلمي.

فمن حيث وجهة النظر القرآنية، اتضح لي أنّ القرآن الكريم سلك هنا أسلوباً جدلياً منطقياً، فأعلن صراحةً أنّ المسيح لم يمت على الصليب، وإن كان اليهود قد أفلحوا في تعليقه على خشبته. وأنّ المسيح أُنزل حياً من فوق الـصليب ولم يمـت عليه. متهماً اليهود أنهم يدعون أمراً أقاموه على أساسٍ من الظن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

وهذا الطرح القرآني هو طرح قانوني. فالمعلوم أنّ القاضي في المحكمة يطالب المدعي أول ما يطالبه به، ببينة وشهود إثبات. والقرآن الكريم في طرحه المـذكور طالب اليهود ببينة وشهود إثباتٍ على ما يدعون ويزعمون قتـل المـسيح علـى الصليب. متحدياً إياهم أن يكونوا قد قتلوه يقيناً. وبذلك أعاد القرآن الكُـرة إلى مرمى اليهود.

كما أنّ القرآن الكريم من خلال طرحه هذا طالب المسيحيين الذين اختلفـوا مع اليهود بشأن شخص المسيح وسلّموا بموت المسيح على الصليب، طالبهم بنفس المطالبة أي بتقديم بينةٍ وشهودٍ إثبات على ما زعموه من موت المسيح على الصليب وقيامه من بين الأموات. وبذلك أعاد الكرة إلى مرمى المسيحيين أيضاً. والـسؤال هو: ما هي البينة التي يملكها اليهود والمسيحيون والتي يثْبت منها مـوت المـسيح الناصري على الصليب؟

ولا شك أنّ هذا الطرح القرآني وهذه المطالبة، جاءا بعد مضي أكثر من ستة قرون مضت على حادثة الصلب المذكورة. ولا يملك اليهود والنصارى من بينـةٍ وأدلّة إلاّ فيما توارثوه من أخبار مدونة في هذه الأناجيل الأربعة (متـى ومـرقس ولوقا ويوحنا). فهل يثبت من هذه الأناجيل موت المسيح على الصليب بـصورة يقينية؟

وعدت إلى هذه الأناجيل أستقرئها الحقيقة، وأبحث فيما احتوته من بينة تثبت موت المسيح الناصري على الصليب. وإنّ ما أدهشني هو أنّ هـذه الأناجيـل لا تحتوي على أي شيء من هذا القبيل. بل على العكس من ذلك تؤيـد مـضامينها مضمون الطرح القرآني. فقد تبين لي أنّ هذه الأناجيل متناقضة تماماً فيما قدمته من أخبارٍ حول واقعة الصليب. ولم يقدم صاحب أي إنجيل منها دليلاً يقينياً يثبت منه موت المسيح على الصليب.

وكي لا أكون مبالغاً فيما نسبته إلى الأناجيل من التنـاقض والعجـز عـن الوقوف في وجه هذه المطالبة القرآنية. اضطررت لأن أفرد فصلاً خاصاً، أمهد بـه لبحثي وتدقيقي في هذه الأناجيل وقد أسميت هذا الفصل (قصة الأناجيل) واستقيت معلوماته من مقدمة آخر طبعةٍ للكتاب المقدس في بيروت عـام ١٩٨٩ م، كـيلا أكون متجنياً على هذه الأناجيل.

اتضح لي من خلال تدقيقي في هذه الأناجيل أنّ المسيح كان قد تنبأ عن واقعة محاولة صلبه التي عرضت له وهو في سن الثالثة والثلاثين من عمره، تنبأ عن أنها ستقع وينقذه ربه من شرورها ويخرجه منها سالماً. فهو تنبأ بقوله: (جيلٌ شرير فاسق يلتمس آية. ولا تعطى له إلاّ آية يونان النبي)[1] ويونان النبي المذكور هو يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت وهو حي، ولفظه بعد أيام وهو حي أيضاً- سفر يونان النبي- بمعنى أنّ مشابهةً ستحدث ما بين يونس وبين المسيح الناصري عند تعرضه لمحاولة صلبه. والمشابهة ستكون في تعليق المسيح على الصليب وهو حي، وفي إنزاله عنه وهو حي أيضاً. أي أنّ النبوءة أشارت بوضوحٍ إلى عدم موت المسيح الناصري على الصليب.

والذي فهمه كُتاب الأناجيل هو أنّ المسيح سيموت على الصليب ويدفن ويظلّ في قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال ومن ثم يقوم من بين الأموات. أي أنهم ذهبوا في فهم مضمون هذه النبوءة إلى ناحية التشابه الزمني، وغفلوا عن ناحية التشابه الحياتيّ. وجرهم خطؤهم هذا إلى تناقض مع الواقع، وهو أنّ المسيح لم يبق في القبر الذي وضعوه فيه مخدراً سوى أقلّ من يوم ونصف. الأمر الذي يثبت خطأ هؤلاء في فهمهم لمضمون النبوءة التي تنبأ بها المسيح الناصري ذاته، والوارد نصها في الأناجيل كما سبق أن بينت.

والذي نستفيده من هذا الكشف هو مطابقة مضمون هذه النبوءة للطرح القرآني، وهو أنّ المسيح الناصري أُنزل عن الصليب حياً، فلم يمت على خشبة الصليب. وهذا أول خيطٍ لصالح الطرح القرآني.

كما اتضحت لي معالم خطّة وضعها الحاكم الروماني الذي كان حاكماً على فلسطين يومذاك والمسمى في الإنجيل "بيلاطس النبطي"، معالم خطّة اضطر الحاكم المذكور لوضعها تجاه ضغوط جماهير اليهود عليه ليصلب المسيح البريء، وخلافاً

---

(١) إنجيل متّى (٤/١٦).

لقوانين بلاده. فقد وجد بيلاطس نفسه بين خيارين: إما أن يصلب المسيح الناصري ويخون قانون بلاده وضميره الشخصي. ويعمل خلافاً لمضمون رؤيا مزعجة رأتها زوجته هذه التي أرسلت إليه وهو على كرسي الولاية قائلةً: (إياك وذلك البار، لأني قد تألّمت اليوم كثيراً في حلمٍ من أجله)[1] وكيف سيكون حال بيلاطس إن هو خان قانون بلاده، ووصلت أخبار ذلك إلى سمع الإمبراطور الروماني الذي استأمنه على فلسطين؟

هذا وسيجد القارئ الكريم تفاصيل هذه الخطّة التي وضعها بيلاطس لإنقاذ المسيح الناصري من محنته في هذا الكتاب الذي بين يديه. وسيعلم أنّ بيلاطس اختطّ مسارين اثنين: الظاهر منهما يشير إلى استجابته لرغبة اليهود. والباطن والخفي منهما يساعد المسيح لإنقاذه من الموت على خشبة الصليب. وهذه الخطّة إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على لياقة بيلاطس وواسع ثقافته وبعد نظره في معالجة مثل هذه الأحداث المعقّدة.

وقد كان بيلاطس حذراً أشد الحذر في تنفيذ خطّته تلك. فلم يفطن اليهود لها، واعتقدوا وفقاً لظواهر الأحداث أنهم تمكّنوا من تعليق المسيح الناصري على الصليب وإماتته عليه. وأنهم أثبتوا بذلك كذب المسيح الناصري في دعواه. واعتبروا أنفسهم في حِل من الإيمان به والتقيد بوصاياه. وظلّوا مكذبين إياه إلى هذا اليوم.

وقد أدى حذر بيلاطس الشديد وحرصه على ألاّ تنفضح خطّته، أدى إلى وقوع أتباع المسيح القلائل العدد والبسطاء، إلى وقوعهم في أحبولة الأغلوطة التي وقع فيها اليهود أنفسهم. وظن هؤلاء كما ظن اليهود أنّ معلمهم المسيح الناصري قد مات على خشبة الصليب. والمهم في الأمر هو أنّ اكتشاف تحقيقي وتدقيقي الذي أجريته من خلال النصوص الإنجيلية، والذي أسفر عن وجود خطّةٍ مبيتةٍ من

---

(١) متّى (١٩/٢٧).

قبل الحاكم الروماني بيلاطس، الغرض منها إنقاذ المسيح الناصري من محنته وعدم إماتته على الصليب. إنّ هذا الكشف وهذه الخطّة جاءا في صالح الطرح القرآني وليس ضده.

ومن ثم رحت أدقّق تفاصيل مجريات عملية محاولة صلب المسيح، على حسب ما أوردتها الأناجيل الأربعة. فوقعت تحت ناظري أدلّةٌ قاطعة، يثبت منها إنزاله حياً عن الصليب لم يمسسه سوءٌ إلاّ ما فعلته المسامير في مشط قدميه ويديه.

وسيطّلع القارئ الكريم على هذه الأدلّة القاطعة ضمن هذا المؤلّف بألفاظها ونصوصها الإنجيلية المُعتمدة.

فإن قيل: وكيف أفلتت هذه النصوص من أقلام كُتاب الأناجيل دون وعي منهم لدلالتها؟ أقول: إنّ فصل (قصة الأناجيل) من هذا الكتاب سيعين المُعترض على إجابة نفسه بنفسه. ويكفي هنا القول: إنّ الذين كتبوا هذه الأناجيل، كتبوها على السماع والرواية ممن وصلتهم تلك الأخبار بعد مضي عقودٍ زمنية عديدة على حادثة الصلب. ثم إن الذين كتبوا الأناجيل، ما زعموا يوماً أنهم دقّقوا فيما وصلهم من أخبارٍ على السماع. بل كان جلّ هم هؤلاء الكتبة توثيق ما سمعوه بأسلوبٍ قصصي. ثمّ إنّ ما وثّقوه ودونوه، راح النساخ ينسخونه جيلاً بعد جيل وطوال أربعة عشر قرناً من الزمان إلى أن وصل ما نسخوه إلى عصر الطباعة مشوهاً ومضافاً عليه هوى الذين نسخوه. وقد اعترف بذلك الأمر واضعوا مقدمة آخر طبعة للكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م. وقد احتوى فصل (قصة الأناجيل) هذه الاعترافات، لذلك فلا عجب أن تفلت مثل هذه الفقرات التي اعتبرتها أدلّةً قاطعةً على عدم موت المسيح الناصري على الصليب من أقلام الذين كتبوها.

فلما انتهيت من هذه التحقيقات واجهني سؤالٌ وهو: ما دام المسيح الناصري لم يمت على الصليب، فهل تكلّم القرآن الكريم حول ما يتعلّق بحياته بعد حادثة الصلب. أم أنه لم يشر إلى ذلك الموضوع من قريب ولا من بعيد.

وعثرت على الإجابة على هذا السؤال ضمن سورة من سور القرآن حيث قال تعالى هناك: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ وقد كتب ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: (اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أي أرضٍ هي؟) وراح فعدد روايات كثيرة منها أنّ هذه الربوة هي إحدى ربى مصر. وأخرى أنها تعني دمشق. وثالثة أنها الرملة ورابعة أنها القدس. وقد مال ابن كثير إلى تصديق آخر رواية من هذه الروايات. أقول إنّ ما أورده ابن كثير في شرح هذه الآية الكريمة إن دلّ على شيء إنما يدلّ على حالة الضياع الموضوعي الذي كان ذهن ابن كثير يعيشه. فلا هو يتقيد بسباقٍ وسياقٍ موضوعي، ولا بأصول تفسيرٍ مستقاة من القرآن الكريم نفسه وهو الكتاب الكامل. ولا يميز ما بين رواية مدسوسة ومخالفة للقرآن ولا بين رواية موافقة لمضامينه.

وإثر دراستي لألفاظ هذه الآية من سورة المؤمنون موضوعياً، تبين لي أنها رسمت للباحثين إطاراً ومعلماً يهتدون به، على طريق محاولة الإجابة على السؤال المطروح حول مصير المسيح الناصري بعد حادثة الصلب المعروفة. فمن يطالع كتابي هذا إلى آخره سيجد أنني أفردت لتفاصيل ذلك مكاناً لائقاً فيه. وبإمكان القارئ أن يتبين بعد قراءته مدى صحة ما ذهبت إليه.

وعندما راجعت الأناجيل الأربعة أدققها من هذه الزاوية، تبين لي أنها تؤيد ما طرحه القرآن الكريم حول مصير المسيح الناصري بعد نجاته من الموت على الصليب. فقد تبين لي أنّ المسيح كان يذكّر تلاميذه في مناسباتٍ عديدة أنّ مهمته السماوية تنحصر في الوصول إلى الأسباط الذين سماهم (خراف بيت إسرائيل الضالة). أي أنّ مهمته ليست محصورة في يهود فلسطين، بل وفي يهود الأسباط

المنفيين خارجها، والذين تشتتوا في أنحاء فارس وأفغانستان وكشمير بعد سبيهم من فلسطين على أيدي الملك العراقي "بختنصر" قبل المسيح بمدة (٥٨٨) عاماً. فقد كانت من مهمة المسيح أن يسيح في تلك الأصقاع التي تشتت فيها أسباط بنو إسرائيل. علماً بأنه لم يكن قد سمِح بالعودة من تلك الأسباط إلى فلسطين إلاّ لسبطين هما كهنةُ هيكل سليمان المُدمر. حدث ذلك بعد موت بختنصر بمائة عام.

وهل سمي عيسى في القرآن مسيحاً، إلاّ لسياحته في تلك البقاع خارج وطنه؟ فلا تجوز تسمية أحدٍ سائحاً ومسيحاً إلاّ إذا تنقّل بين الأقطار خارج وطنه الذي يعيش فيه.

وهكذا تتفق الأناجيل المعاصرة مع الطرح القرآني المتعلّق بمصير المسيح الناصري بعد نجاته من محاولة قتله على خشبة الصليب. وبإمكان القارئ أن يجد تفاصيل ذلك في هذا الكتاب أيضاً، وموثّقاً بالنصوص الإنجيلية والتاريخية. وللقارئ الخيار في الفصل في مدى صحة هذه النصوص.

وعلى هذه الصورة يكون الله عز وجل قد وفقني في هذا الكتاب لتوضيح أمر اختلف اليهود والنصارى فيه، فاليهود والنصارى اختلفوا حول موت المسيح على خشبة الصليب. ذلك أنّ اليهود اعتبروا المسيح الناصري من جراء موته على الصليب كاذباً في نبوته. والنصارى اعتبروا المسيح الناصري من جراء موته على الصليب رباً وإلهاً قام بعد موته من بين الأموات، وأضحى كفّارة عن ذنوبهم. فالميتة على الصليب لا تحتمل هذا الاختلاف أصلاً فلا بد أن تكون لها دلالة واحدة.

وقد نزل القرآن الكريم مهيمناً وقال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ﴾ والشك في اللغة يعني بداية الريب أي أن اعتقادهم موت المسيح على الصليب كان بداية شكّهم واختلافهم في أمر حقيقة شخصية المسيح. لذلك أضاف الله تعالى قوله: ﴿مَا لَهُم بِهِ -أي ما لهم في الأمر الذي اختلفوا فيه- مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾

بمعنى أنّ علم اليهود حول كذب المسيح، وعلم النصارى حول ألوهية المسيح، ما هو إلاّ من قبيل العلم الظني. ولذلك أضاف تعالى قوله أيضاً موضحاً الحقيقة التاريخية بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب، ولا توجد أدلّة يقينية تثبت ما زعموه.

وتكلّم القرآن عن حال المسيح وأمه الذي آلا إليه بعد حادثة الصليب وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ والإيواء لا يكون إلاّ عند المصيبة، وليس هناك مصيبة حلّت بالمسيح أعظم من محاولة إماتته على خشبة الصليب. وترك القرآن الكريم للقارئ أن يبحث تاريخياً عن هذه الربوة ذات القرار والمعين. على اعتبار أنّ القرآن الكريم ما هو بكتابٍ تاريخٍ وإلا لفصل لنا ذلك. بل يكتفي بالإشارة في مثل هذه الأحوال. وإنّ القارئ الذي يطالع كتابي هذا سيجد تفصيل ذلك ضمن صفحاته.

أما لماذا آوى الله تعالى المسيح الناصري إلى تلك المنطقة، الجواب هو لِيكمل رسالة ربه، وليبشر بقية اسباط بني إسرائيل الذّين بلغت طلائعهم تلك الربوة الأرض، واستقروا فيها، بعيداً عن فلسطين. ولهذا السبب نفسه لم يمكّن الله عز وجل اليهود من قتل المسيح على الصليب، وليجعله سائحاً إلى تلك الأقطار بقصد تبشير بقية قومه من الأسباط المُشتتة وهو ما سماه الإنجيل (خراف بيت إسرائيل الضالّة). وقد أشرت من خلال تحقيقي التاريخي إلى وجود قبر المسيح الناصري وقبر أمه في تلك الربوة إلى الآن شاهدين على صدق ما أنبأ به الله علّام الغيوب.

وزبدة الكلام هو أنّ تحقيقي التاريخي الذي تضمنه هذا الكتاب، والذي كشفت فيه عن عدم موت المسيح الناصري على الصليب. لن تعرف قيمته على المدى القريب لهيمنة أصحاب العقل التقليدي على أتباع الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام في الوقت الحاضر بشكل عام.

إنما سيؤتي أُكُله على المدى البعيد. لذلك أناشد الذين يسعون إلى إعادة مجد الإسلام أن يتجنبوا سبيل العنف، ويعمدوا إلى هذا السبيل، سبيل الحوار والحُجة والبرهان. وهو السبيل الذي كان عليه الرسول الكريم خاتم النبيين ﷺ ألم نقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] فالبصيرة تعني الحجة القاطعة. وجملة (وسبحان الله) تعني تنزيه الله عن أن يأمر في موضوع الدين الذين لا يملكون الأدلّة التي تثبت صحة ما يعتقدوه أن يأمرهم باستخدام العنف (فما أنا من المشركين) حتى أدعو إلى العنف والإكراه في الدين. هذا هو معنى هذه الآية الكريمة التي أنزلها الله عز وجلّ في مكّة المُكرمة، يوم كان هذا الوصف ينطبق على واقع ما يجري فيها. حيث كان المشركون لا يعتمدون الحوار سبيلاً لمعرفة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ فكانوا يضطهدون كلّ إنسان يهتدي إلى الإسلام ويتخذه لنفسه منهجاً حياتياً، بشتى وسائل العنف والاضطهاد.

ولا يستغربن قارئ ما أوردته في كتابي هذا من حقائق جديدة. ولا ينبغي أن يتساءل في نفسه: كيف لم يفطن اليهود والنصارى والمسلمون إلى هذه الحقيقة من قبل هذه الآلاف من الأعوام؟ ألا إنّ سيطرة العقل التقليدي على هؤلاء هو السبب الحقيقي. فالجميع يقولون إنا وجدنا آباءنا على ملّة وإنا على آثارهم لمقتدون. ولولا أن أيقظنا إمام زماننا من غفلتنا، لسرنا على نفس الخطوات.

اللهم أرنا الحق حقّاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه اللهم آمين.

دمشق في ١٤١٦/١/٩ هـ الموافق ١٩٩٥/٦/٧ م

سليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن

---

(١) سورة يوسف- الآية (١٠٥).

٢- تعريف بالموضوع:

موضوع هذا الكتاب شائك وحساس، لمساسه بمعتقد أتباع الديانات الثلاث اليهود والنصارى والمسلمين. فهو شائك من حيث أن الأمم المذكورة اختلفت في فهمها لهذا الموضوع، فأقامت معتقدها على أساسٍ خاطئٍ وموروث. وإن أجيالهـا المعاصرة وجدوا أنفسهم في خضم خصامٍ لا طائل تحته، ويهدد البشر من حـولهم والأمن والسلام العالمي.

ولارتباط هذا الموضوع برجلٍ روحي له قداسته وهو المسيح الناصري الـذي يؤمن به كل من المسيحيين والمسلمين. وحساس أيضاً لتعلقه بحادثة الصلب الـتي تعرض لها في سن الثالثة والثلاثين على حد المعطيات الإنجيلية.

إن اليهود الذين كانت رسالة المسيح موجهةً إليهم أصلاً، هم الّذين حـاولوا إنزال عقوبة الصلب بالمسيح، بدافعٍ من نص ورد في الكتاب المقدس يقول: (ولكن أي نبي اعتد بنفسه، فقال باسمي- أي باسم الله- قولاً لم آمره أن يقوله، أو تكلّـم باسم آلهةٍ أخرى، فليقتل ذلك النبي. فإن قلت في نفسك: كيف نعرف القول الذي لم يقله الرب؟ فإن تكلّم النبي باسم الرب، ولم يتم كلامه ولم يحدث، فذلك الكلام لم يتكلم به الرب، بل للاعتداد بنفسه تكلّم به النبي، فلا تهبه)[١].

وهذا النص الذي استند إليه اليهود، ورد باللغة اليونانية وليس بالعبرية، على حين كان لسان موسى عبرياً. وأول هذا النص يتناقض مع آخره الذي يأمر بتقصي ما يتنبأ به مدعي النبوة، فإن تحقق من صدق جميع نبوءاته بـات واجبـاً الإيمـان برسالته. وإلاّ (فلا به) بمعنى لا تؤمن به ولا تحسب له حساباً، هذا في وقتٍ يأمر به أول النص (فليقتل ذلك النبي) فمتى وكيف تـ ل بالمدعي عقوبة القتـل؟ فلـم يصرح به أول هذا النص.

---

(١) الطبعة الجديدة عام ١٩٨٩ للكتاب المقدس الصادر عن دار الشرق في بيروت- لبنان. سفر التثنية (٢٠/١٨).

وقد تسبب هذا النص بحرف اليهود عن جادة القوانين الطبيعية في تعاملهم مع كل مدعٍ للنبوة فقتلوا بعض الأنبياء الصادقين وكان مما حاولوه، محاولة صلب المسيح الناصري فنجحوا في تعليقه على خشبة الصليب، لكنهم لم يفلحوا في القضاء عليه وإماتته ميتةَ لَعنةٍ وإشارةً إلى إخفاقهم في قتله وإ اء حياته ورد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ . . . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1].

واليهود وقد ظنوا أ م أفلحوا في قتل المسيح الناصري، اعتقدوا من جراء ذلك أنه مدعٍ كاذب، وكفروا به وبرسالته بصورةٍ طبيعية، فلو علموا أن المسيح لم يمت على الصليب وأنزلوه عنه حياً، لتوجب عليهم الإيمان به والانضمام إلى جماعته.

وقد اشتبهت حادثة الصلب على أتباعه أيضاً، فظنوا أنه مات على الصليب وأُنزل عنه ميتاً، ومن ثم عادت إليه الحياة وقام من بين الأموات. واستغل المُسمى بولس الرسول سوء الفهم هذا فابتدع عقيدة "الكفّارة"، التي لخصها في أن المسيح مات على الصليب وأصبح ملعوناً من أجل خلاص الذين يؤمنون به مخلصاً.

وجاء الإسلام، وأُنزل القرآن لتصحيح الإنحرافات التي وقع فيها من كان يهودياً أو نصرانياً. وبالرغم من أنه تعالى لفت الأنظار فيه إلى أن عقيدتي اليهود والنصارى قامتا على أساسٍ من الظن وليس على أساسٍ من اليقين. فقد ظهر رجالٌ مسلمون فسروا الآيات من سورة النساء بما يجانف الحقيقة المقصودة. ففسروا قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ على أن الله ألقى شبه المسيح على "يهوذا الاسخريوطي" أو سواه، واستلب المسيح من بين أيدي اليهود ورفعه إلى السماء. وأخذت عامة المسلمين ذا التفسير، الذي لا يستسيغه النص. ولم يحقق من جاء من العلماء من بعد هذا التفسير في مدى صحته. بل على العكس من ذلك سلموا

(١) سورة النساء الآية (١٥٧).

ـذا التفسير دون تحقيق، وبعقلٍ تقليدي، فلم يجعلوا القرآن مهيمناً علـى التـوراة والإنجيل، بل زادوا الطين بلة بما طرحوه من أمرٍ يخالف ما أجمعت عليه أُمتان وهم اليهود والنصارى من أن المسيح نفسه هو الذي علّق على الصليب.

على ضوء هذه المعلومات التي سقتها للقارئ الكريم، لا بد من أنه أدرك سر وصفي موضوع حادثة صلب المسيح بالشائك والحساس. فهو شائك بسبب وجود هذه الاختلافات التي أوردناها. وهو حساس بسبب أن كل بحثٍ وتحقيـق يـأتي بجديدٍ، لن يعجب أصحاب العقول التقليدية من أتباع هذه الديانات الثلاث. بـل سيثير غضبهم وتشددهم فيما توارثوه جيلاً بعد جيل اللهم إلاّ المثقفون أصـحاب العقول الناضجة التي لا يقنعها أمر إلاّ بحجةٍ ودليل، والتي لا تتولّد لديها قناعات إلاّ عن طريق الحوار والبينة الواضحة القاطعة.

فإن شئنا تلخيص عقيدة هذه الأمم الثلاث بما يتعلق بحادثة صـلب المـسيح الناصري، نلخصها في الأمور التالية، وهي أن اليهود والنصارى أجمعوا علـى أن المسيح ذاته علقوه على خشبة الصليب، فلم يختلف إثنان منهم في هذا الأمر. على حين ابتدع مفسروا القرآن الكريم ومن سار على فهمهم من علماء المسلمين، أمراً لا دليل لديهم عليه ولا بينة إلاّ اجتهادهم الشخصي، وهو أن المسيح نفسه لم يعلق على الصليب، بل الذي علق عليه هو أحد تلاميذه الذي ألقى الله تعالى عليه شـبه المسيح على حد زعمهم، فظنوه هو وعلّقوه بدلاً عنه.

فهل مات المسيح على الصليب وأُنزل من عليه ميتاً. فهذا هو موضوع كتابي هذا، فسأثبت من خلال النصوص الإنجيلية نفسها ما يكذّب اليهود والنصارى معاً، ويثبت أن معتقدهم في موته على الصليب إنما قام على مجـرد الظـن، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾. وأن القرآن الكريم لم يخالف إجماع أمتين من جهةٍ أن المسيح ذاته قد علق على الصليب. وما فعله، فما هو إلاّ تصحيح لأمر اشتبه عليهم فهمه.

وأنا كباحثٍ ديني، أنطلق في بحثي هذا مما هو بين أيدي أبناء هذه الـديانات الثلاث من مراجع يقدسو ا ويقيمون عقائدهم على أساسٍ من تعاليمها، وبمراجعةٍ أصوليةٍ موضوعية أساسها العقل والمنطق والأسلوب العلمي. وسأنطلق من القواسم المشتركة لعقائد هذه الأمم في موضوع حادثة الصليب المذكورة أيضاً.

فالملاحظ هو أن هذه الأقوام الثلاثة اتفقت في أمرين هامين: الأول تسليمهم بظهور شخصٍ اسمه المسيح عيسى ابن مريم وادعى أنه مرسلٌ من قِبل الله عز وجل.

والأمر الثاني الذي اتفقوا عليه، هو تعرض هذا الشخص لحادثة محاولة صلبه.

والأمر المُختلف عليه بين هذه الأمم الثلاثة، هو إجماع اليهود والنصارى على أن الذي علقوه على خشبة الصليب، هو نفسه المسمى عيسى ابن مريم، على حين يخالفهم المسلمون في ذلك ويزعمون أن الذي علق على خشبة الصليب هو شخص آخر غير المسيح، وهو الذي ألقى الله عليه شبه المسيح فحسبوه أنه هو المسيح. فإن سأل امرؤ عن سبب هذا الاختلاف، فالجواب هو أن بعض مفسري القرآن الكريم وقعوا في هذا الإشكال، وقلّدهم وعاظ المسلمين دون إجراء أي تحقيق وتدقيق فيما تناقلوه عن هؤلاء المفسرين.

لا شك أن المسلمين قد زعم بعض مفسريهم عدم تعليق المسيح نفسه علـى الصليب، لنفي القرآن الكريم وقوع هذه الميتة على الصليب. أما اليهود والنصارى، فقد زعموا أن الذي علّقوه على الصليب، أنزلوه من عليه ميتاً لا حراك فيه. وكان لتسليمهم ذا الأمر نتائجه الهامة. فاليهود اعتبروا المسيح الناصري كاذباً في دعوى نبوته، لاعتقادهم أن من يموت على الصليب ملعوناً لا يكون صادقاً. كما كـان لتسليم النصارى ذا الأمر نتائجه الهامة أيضاً، فقد ابتدع الذي يـسمونه بـولس الرسول عقيدةً غريبةً عن الجو التوراتي، وهو أن المسيح مات ملعوناً من أجل رفع خطايا الإنسان الذي يؤمن به مخلصاً.

فاليهود كذبوا رسالة المسيح الناصري لاعتقادهم بموته على الصليب، والمسيحيون قبلوا بموت المسيح على الصليب على أنه المخلص. أما القرآن الكريم الذي أنزله الله عز وجل ﴿مهيمناً﴾ على الكتب السابقة بمعنى الرقيب والحافظ، فقد أعلن صراحةً عدم موت المسيح على الصليب وأنه كان نبياً صادقاً.

وعلى ضوء ما ذكرناه ولخصناه ندرك بكل وضوحٍ أن الأمر الذي تسبب في اختلاف اليهود والنصارى والمسلمين في أمر نبوة المسيح الناصري، هو اعتقاد اليهود والنصارى موت المسيح على الصليب ليس إلاّ. ففي حال تسليم المسلم بتعليق المسيح الناصري نفسه على الصليب، إلى جانب تسليم اليهودي والمسيحي، بما طرحه القرآن من أن المسيح لم يمت على الصليب، يفض هذا النزاع القائم بين هذه الأمم الثلاثة بشكلٍ جذري.

إذاً فالمطلوب مني كباحثٍ محققٍ أن أثبت من القرآن الكريم أن الذي علقه اليهود على الصليب هو المسيح الناصري نفسه، وليس شخصاً آخر سواه. وتنتفي بذلك معارضة إجماع أمتين. وأن أثبت من النصوص الإنجيلية عدم موت المسيح على الصليب، فلا يعود لليهود حجة على صدق نبوة المسيح الناصري، وتبطل عقيدة الكفارة التي ابتدعها بولس الرسول، ويعود اليهود والنصارى والمسلمون متفقين على نبوة المسيح الناصري وصدق رسالته، وينتفي بذلك كلّ صراع دائر بينهم حول هذا الموضوع بالذات.

فمحاولتي التي احتواها كتابي هذا، تدور في حقيقة أمرها حول هذه النقطة الأساسية وهي أن المسيح الناصري لم يمت على الصليب، بل أنزلوه عنه حياً. فقد حاولت إثبات ذلك بأسلوب البحث العلمي الموضوعي. حاولت إثبات خطأ ما فهمه المفسرون من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وذلك وفق ضوابط اللغة العربية وقواعدها. لأحقق بذلك توافق إجماع الأمم الثلاثة. كما حاولت إثبات

عدم موت المسيح الناصري على الصليب من النصوص الإنجيلية الموروثة التي وصلت إلى عصرنا غير سالمةٍ من الزيادة والنقصان ولا من التحريف والتبديل وبأسلوب النقد العلمي للنصوص. ومما يسلّم به المسيحيون أنفسهم في آخر طبعةٍ للكتاب المقدس أصدروها عام ١٩٨٩ م في بيروت بلبنان.

وسأحاول في نهاية النص التعرض لإلقاء الضوء على ما حدث للمسيح الناصري بعد حادثة محاولة قتله على الصليب ونجاته من هذه المحاولة بتدبير إلهي، وسأؤيد ما سأوضحه ببينات إنجيلية وقرآنية وتاريخية أيضاً.

فهذا هو تعريفي بموضوع هذا الكتاب.

٣- أهمية هذا الموضوع:

إن أهمية موضوع عدم موت المسيح الناصري على الصليب تأتي من وجهاتِ نظرٍ عدة أهمّها، وهو ما سبق أن ذكرت، اختلاف ثلاثة أمم في تفاصيل ما حدث للمسيح عند محاولة صلبه. فبالرغم من أنها حادثةٌ واحدة، وعرضـت لـشخصٍ واحد، فالجميع فيها مختلفون. ولو أننا أثبتنا لليهودي والمسيحي أن المسيح الناصري لم يمت على الصليب، بل أنزله الله عنه حياً. لألزمنا اليهودي بالإيمان به، ولصححنا للمسيحي اعتقاده الخاطئ في عقيدة كفّارة المسيح. ولوحدنا بين هذا وذاك وما بين المسلم الذي آمن برسالة المسيح الناصري عليه السلام. ذلك أن خطـأ المفـسرين المسلمين تأتي من الالتباس في فهمهم لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وإلاّ فهم ينفون في حقيقة أمرهم موت المسيح على الصليب.

من هذا كلّه تتجلى أهمية موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري علـى الصليب. فبإمكان كلّ من يؤمن بصحة هذا الطرح، أن يجد نفسه لا يعادي أحداً ممن اعتقدوا برسالة المسيح عليه السلام.

وهذه النتيجة المترتبة على إثبات عدم موت المسيح الناصري على الـصليب، وإن كانت نتيجته هي أقرب للخيالية على المدى القريب لهيمنة العقـل التقليـدي على أتباع الديانات الثلاث المذكورة، فإن النتائج المترتبة على إثبات هذا الموضوع أقرب إلى الحتمية على المدى البعيد. ذلك أن عصرنا هو عصر علم ونور، وكلّمـا تقدمت الأيام، فلا بد أن تتحرر الأجيال القادمة من قيـود العقـل التقليـدي. فللموضوع آثاره البعيدة في العمل على المساعدة على توحيد اليهـود والنـصارى والمسلمين. فاليهودي الشاب سيتساءل في المُستقبل بالبداهة: ولماذا أكفر برسـالة المسيح وهو الذي لم يمت على الصليب؟ والمسيحي أيضاً سيتـساءل في المـستقبل بالبداهة: ولماذا أكفر بالإسلام وقد هداني إلى حقيقة ما جرى للمسيح في حياتـه؟ والمسلم سيجد أن كتابه لا يخالف ما توارثه الناس تاريخياً إلاّ عن طريق تقديم بينةٍ

وحجة وبرهان. فكتاب الله الفرقان هو الكتاب المُهيمن على الكتب السابقة بحق لا ريب فيه.

وعن طريق هذه التساؤلات التي ستطرح نفسها في النفوس في المستقبل، ستتحرك الأمور باتجاه توحيد اليهود والنصارى والمسلمين على صعيد واحد، هو دين الإسلام الذي هو دين محمد رسول الله ﷺ ودين جده إبراهيم عليه السلام. وتعود عقارب الساعة إلى مسارها الصحيح.

وتأتي أهمية إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب، من ظواهر الصراع الدائر بين هذه الأمم الثلاث في عصرنا، والذي يشتد يوماً بعد يوم، وينحو منحى العنف والاقتتال. أفلا نلحظ كيف أن اليهود يتمسكون بما أكل الدهر عليه وشرب من التعاليم والذهنيات، فيطالبون بفلسطين كوطنٍ قومي لهم، أكسبهم إياه ميثاق الله مع موسى عليه السلام. متقوقعين على هذا الفهم والاعتقاد، لكفرهم برسالة المسيح الناصري ورسالة خاتم النبيين؟ فلو أنهم أخرجوا أنفسهم من هذه الشرنقة، لعادت الأرض جميعها وطناً لهم ومستقراً، لا فرق بين فلسطين أو سواها من الأقطار.

والمسيحيون الذين يسعون في عصرنا إلى ترسيخ هيمنتهم السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم. فلو أنهم سلموا بعدم موت المسيح الناصري على الصليب، لبطلت كفّارته في أذهانهم، ولعادوا يسلّمون بنبوته ورسالته وبالذي أنبأ عن ظهوره من بعده، وهو محمد رسول الله ﷺ الذي جاءهم بجميع الحق. لكانوا تقبلوا الإسلام بالترحاب واليقين.

وعلى هذا فإن أهمية موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب من جهة أنه يثبت مصداقية القرآن الكريم وعلى أنه تنزيلٌ من الله الذي بعث المسيح عيسى ابن مريم رسولاً إلى بني إسرائيل، والذي راح يصحح في كتابه هذا ما اختلف فيه الناس، رحمة منه عز وجلّ بعباده الضالين والمنحرفين عن الصراط

المستقيم. عن صراط الذي سبق أن أنعم عليهم من عباده المقربين، وهو أرحم الراحمين.

وكذلك تتأتى أهمية هذا الموضوع أيضاً من حيث أننا نسعى لإثباته بالحجة والبينة وبالدليل قاطعين الطريق على من يحاولون إثباته عن طريق العنف وسفك الدماء. وندين بذلك كلّ صاحب عقلٍ تقليدي متزمت رجعي، لا يفهم من الدين إلاّ الكراهية والعنف واحتقار الآخرين، الذي يسيء إلى دين من أرسله الله رحمةً للعالمين. والذي أمره أن يعلن صراحةً ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] أي أن سبيل المشركين هو سبيل العنف وإلاّ فسبيل محمد ﷺ ومن اتبعه هو سبيل ﴿علَى بصِيرةٍ﴾ أي سبيل الحجة والبرهان. فالبصيرة تعني الحجة القاطعة.

وهل يستسيغ عصرنا، عصر العلم والنور أسلوباً غير أسلوب الحوار والإقناع؟ فمن يتجاهل هذه الحقيقة وهذا الواقع، سينبذه أهل عصرنا يقيناً في آخر المطاف. ولا بد لكلّ إنسان أن يتمتع بحقوقه الطبيعية، لما يمتاز به عمن سواه من مخلوقات الله عز وجل.

فمن هذه الجهة أيضاً فإنّ موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب أهميته ومكانته. فهو يساعد الإنسان على استعمال عقله بحريةٍ وكرامةٍ، ليستتب من جراء ذلك الأمن والسلام في العالم. وتتقارب هذه الأمم الثلاثة، فتتفاهم وتتوحد عقائدياً، ولا يعود أفرادها بحاجةٍ إلى الصراع فيما بينهم ولا إلى الاقتتال وسفك الدماء. ففي هذا الموضوع، موضوع إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب، يكمن مفتاح الأمن والسلام الحقيقيين.

---

(١) سورة يوسف- الآية (١٠٥).

ثم إن تطور وسائل الاتصال والنقل والمواصلات، قرب المسافات بين الأقطار ومختلف القارات، إلى درجةٍ كاد يصبح العالم عائلةً واحدة موزعة أمها في غرفٍ عديدة، وهل هناك من عائلة يتزاور أفرادها وكلّ واحد منهم يضمر للآخر الشر والعداوة، فهل نسمي مثل هذه العائلة، عائلةً سعيدةً ومتحضرةً وذات كيان سليم؟ فهذا هو حال سكان هذه الكرة الأرضية، توحدهم وسائل النقل والمواصلات، وتفرقهم الأديان والمعتقدات.

فمن خلال هذه النظرة المستقبلية اندفعت أبحث عما يوحد أتباع الديانات الثلاث، فمن خلال إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب الذي علقوه عليه. لئلّا تبقى لليهود حجةٍ لإنكاره وعدم الإيمان به. ولا يفطن المسيحيون إلى حقيقة ما حدث، فينبذون عقيدة الكفّارة التي ابتدعها بولس الرسول الذي كان عدواً للمسيح في حياته، ولبس لباس الحَمَل الوديع بعد مماته، ويعود المسيح الناصري نبياً ورسولاً.

الباب الثاني

الفصل الأول: كبوة المفسرين وعلماء المسلمين

الفصل الثاني: الرأي في تفسير الآية (١٥٧) من سورة النساء

الفصل الثالث: ويلات ترتبت على آراء ابن كثير

١- كبوة المفسرين والعلماء المسلمين:

سبق أن ذكرت أن عامة المسلمين بتوجيهٍ من بعض مفسري القرآن الكريم، وممن جهم في الفهم من العلماء اعتقدوا خطأً أن المسيح الناصري لم يعلّق نفسه على خشبة الصليب، بل الذي علق هو أحد تلاميذه، ممن ألقي عليه شبه المسيح، إنقاذاً من الله للمسيح من محنته. وها أني أستعرض ما أورده هؤلاء المفسرون والعلماء في تفاسيرهم المنتشرة في المكتبات والتي يعود إليها عامة المسلمين. أستعرضها وأقدم ما لدي من بينةٍ على بطلان ما ذهبوا إليه.

إليكم تفسير ابن كثير واسع الانتشار والذي يعتمده كبار العلماء. فهو من تأليف الإمام الجليل "إسماعيل بن كثير القُرشي الدمشقي" المتوفى عام (٧٧٤) هجرية. تناول قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وفسره بقوله: (أي رأوا شبهه فظنوه إياه)[(١)]. وأضاف قوله: (ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكّين متوهمين).

وكبوة ابن كثير هنا هي في إعادته الضمير في (شبه) وهو الهاء إلى اسمٍ خارجٍ على النص، مخالفاً بذلك قواعد اللغة العربية وضوابطها، مما سآتي على بيانه على حينه. والذي يهمنا أمره هنا هو أن كبوة ابن كثير التي كباها في هذا المقام، تركت في نفوس عامة المسلمين نظرةً خاطئةً، خالفوا بذلك إجماع أُمتين هما اليهود والنصارى، الذين أجمعوا في حينه على أن المسيح الناصري هو نفسه الذي علق على الصليب. ولا شك أن من يخالف مثل هذا الإجماع بلا بينة ولا دليل، تظلّ مخالفته وادعاءه قاصرين عن أن يحتلّ من الطرف الآخر التسليم والقبول. وهذا ما حدث من جراء ذلك حتى هذا الحين.

---

(١) تفسير ابن كثير- الجزء الأول- الصفحة (٤٧٥).

ومما أورده ابن كثير رحمه الله عدة روايات تتعلّق بحادثة الصلب هذه. فمما ذكره على نفس الصفحة، وفي أولها، حكاية عن اليهود: (سعوا إلى ملك دمـشق في ذلك الزمان، وكان- أي ملك دمشق- رجلاً مشركاً من عبـدة الكواكـب. ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبـه بالمقـدس أن يحتاط من المذكور. وأن يصلبه، ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن النـاس. فلما وصل الكتاب، امتثل والي بيت المقدس، وذهب هو وطائفة مـن اليهـود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعةٍ من أصحابه: اثني عشر أو ثلاثة عشر، وقيل سبعة عشر نفراً. وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر، ليلـة الـسبت، فحصروه هناك. فلما أحس بهم، وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه إليهم. قال لأصحابه: أيكم يلقى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك. فأعادها ثانيةً وثالثة. وكلّ ذلك لا ينتـدب ألاّ ذلك الشاب. فقال: أنت هو. وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو. وفُتحت روزنة- أي ثغرةٌ في سقف المنزل- وأخذت عيسى عليه السلام سنةٌ مـن النـوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك. كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾ فلما رفع، خرج أولئك النفر. فلما رأى أولئك ذلك الـشاب ظنوه عيسى. فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه. وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه، وتبجحوا بذلك. وسلّم لهم طوائف من النـصارى. ذلـك لجهلهم وقلّة عقلهم. ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعـه. وأما الباقون فإنهم ظنوا، كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم. حتـى ذكروا أنّ مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت. ويقال إنـه خاطبـها، والله أعلم. وقد أوضح الله الأمر، وجلاّه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزلـه على رسوله الكريم المؤيد بالمُعجزات والبينات والدلائل الواضحات. فقال الله تعالى

وهو أصدق الصادقين ورب العالمين، المطّلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السماوات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي راوا شبهه فظنوه إياه. ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ ويعني بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلّمه إليهم من جهّال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرةٍ وضلالٍ وسعر. ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ أي ما قتلوه متيقّنين أنه هو بل شاكّين متوهمين)[١].

والباحث المدقّق يطالب ابن كثير رحمه الله بالمُطالبات التالية بالنظر إلى ما نقلناه:

أولاً- يطالبه بالقاعدة العربية التي استند إليها في إرجاعه ضمير (شبه لهم) إلى شخصٍ خارج عن النص القرآني.

ثانياً- ويطالبه بالمرجع الذي راجعه واستقى منه روايته المذكورة.

ثالثاً- ويطالبه إثبات ما خالف به إجماع أمتين وهما اليهود والنصارى الذين أجمعوا على أن الذي علق على الصليب هو شخص المسيح الناصري نفسه وليس شخصاً سواه.

رابعاً- ويطالبه إثبات وقوع شبه المسيح الناصري على سواه، وحدوث ثغرة في سقف المنزل وأنه أخذت عيسى يومئذٍ سِنةٌ من النوم، وأنه رفع إلى السماء.

خامساً- ويطالبه بالمصدر القرآني الذي ورد فيه رفع المسيح إلى السماء.

سادساً- ويطالبه بتوضيح لفظ السماء وتحديد النقطة من السماء التي رفع المسيح إليها.

(١) ابن كثير- الجزء الأول- الصفحة ٥٧٤.

سابعاً- ويطالبه بتقديم الدليل الذي يثبت وجود الله عز وجـل في المكـان السماوي الذي رفع المسيح إليه. وهل أنّ الله له حيز مادي يتواجد فيه.

فهذه الأسئلة السبعة الهامة يسألها كل من كان باحثاً ومدققاً ولـه محاكمتـه العلمية أيضاً.

ونحن كباحثين، لا نتمكن من محاورة ابن كثير الذي ذهب إلى رحمة ربه عام (٧٧٤) هجرية بل نحاور علماء عصرنا المشهورين كالأعلام كصاحب كتـاب (كبرى اليقينيات الكونية- وجود الخالق ووظيفة المخلوق-). نحـاوره ونطالبـه بالمطالبات السالفة الذكر ما دام يسير على ج ابن كثير، ولا يخالفه الرأي. بـل وينقل على الصفحة (٣٢٤) من مؤلفه المذكور أقوال ابن كثير وطروحاته.

فصاحب (كبرى اليقينيات) استدلّ بالآية (١٥٧) من سورة النساء الـوارد فيها قوله تعالى: ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾. ومن ثم نقل عن ابن كثير قوله: (وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك. ثم إنه رفعه إليه، وإنه باقٍ حي، وإنه سي ل قبل يوم القيامة، كما دلّت على ذلك الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريباً، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخ ير ويضع الجزية، يعـني لا يقبلها من أحدٍ من أهل الأديان، بل لا يقبل إلاّ الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ، ولا يتخلّف عن التصديق بـه واحد منهم)[1].

يبدو أن صاحب (كبرى اليقينيات الكونية)، من خلال تبنيه لما نقله عن ابـن كثير أنه هو المُطالب في زماننا هذا بما طالَبنا به ابن كثير من مطالبات.

لذلك فإني كباحثٍ مدقّق أطالب صاحب (كبرى اليقينيات) بمطالبة أساسية، وهي أن يوضح لنا على أي أساسٍ لُغوي حق لابن كثير أن يحشر اسم رجلٍ غـير

---

(١) ابن كثير- الجزء الأول- الصفحة (٧٧٤).

المسيح في هذه الآية الكريمة. مع أنّ صحيح عبارا ا وسباقها وسياقها لا يحملان أي اسمٍ آخر سوى اسم (المسيح عيسى ابن مريم)؟

ولنفرض أن صاحب (كُبرى اليقينيات) جلس يحادث جليساً له، فهل يأتي في حديثه بضميرٍ يعود على اسمٍ لا علاقة له بحديثهما، ولم يورده فضيلته في سـياق كلامه؟ وهل يعقل أن ينحو الله تعالى غير منحى قواعد اللغة العربية وضوابطها في آي الذِكر الحكيم؟ فبأي حق وعلى أي أساس لغوي حق لابن كـثير أن يعـود بضمير (شبه) إلى غير الاسم العائد إليه وهو اسم المسيح عيسى ابن مريم؟ فهل أن أي إنسان غير مسلم يجلس ليقرأ سورة النساء المذكورة، سيخطر له اسماً غير اسم المسيح عند قراءته لها؟ وهل نزلت هذه الآية وفق المفاهيم العامة، وميسر فهمهـا لكلّ إنسانٍ يقرؤها. أم أنّ هذه الآية الكريمة قد نزلت فقط وفق ما يحمله ابن كثير ومقلّدوه من أفكارٍ وخلفياتٍ قصصيةٍ؟

أقول حاشا لله الذي تحدى الجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن أن يـأتوا بآيةٍ واحدةٍ في كتابه الفرقان، تصبح مطعناً للّغويين العرب. ويكفي أن أقول هنا أنّ النص الذي نقله لنا صاحب (كبرى اليقينيات الكونية) حشو لأفكارٍ غريبةٍ عـن محتويات هذا الكتاب العظيم.

مما لا يتسع لبيانه في هذا المقام.

وهل لصاحب (كبرى اليقينيات) أن يدلّنا على المصدر الموثوق الذي استقى منه ابن كثير معلوماته فيما يتعلّق بحادثة صلب المسيح عليه الـسلام؟ ألم يلاحـظ كيف أنّ ابن كثير كان يقول (قيل وقيل والله أعلم) وهل أنّ هذه الكلمات مؤشر دالّ على مصدرٍ موثوق؟ فمن أين علم ابن كثير أنّ سِنةً من النوم أخذت المسيح، ومن ثم رفع من فتحةٍ في سقف الدار إلى السماء؟ وهل رفع إلى الله بثيابه وحذائـه أم جرد منها ورفع كما خلقته أمه؟ فنحن قرأنا في القرآن الكريم أنّ الله تعالى حين

أراد أن يكلم موسـى أمـره بقولـه تعـالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى...﴾[1].

ونسأل فضيلته: وأين لفظ (السماء) في قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾؟ وهل يعني الجار والمجرور ﴿إِلَيْه﴾ إلى السماء؟ وهل أنّ الله تعالى من مادة حتى يجلـس في السماء ويجالس المسيح الناصري؟

فهذه مطالبات يطالب صاحب (كُبرى اليقينيات) أن يجيبنا عليهـا علـى رؤوس الأشهاد، إنما نرجو من فضيلته أن تأتي إجاباته مبرهن عليها ببراهين قاطعـة وبأسلوب رصين.

وأنا كباحث أعتبر ما صدر عن ابن كثير يخالف ضوابط اللغة العربية وأصول التفسير. وقد أسفر خطؤه في جر ويلات على المجتمع الإسلامي، مما يؤسف لـه. فقد شغل أذهان عامة المسلمين بل وعلماءهم كصاحب (كبرى اليقينيات)، بأفكارٍ حرفتهم عن جادة الصواب ودفعتهم لانتظار نزول المسيح الناصري نفسه بشحمه ولحمه، من السماء، لينقذهم من واقع تخلّفهم وانحرافاتهم. في وقتٍ حدد القـرآن الكريم رسالة المسيح في تقويم بني إسرائيل وحدهم من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

---

(1) سورة طه- الآية (١٢).

(2) سورة الصف- الآية (٦).

وصيغة ﴿وإذ قال﴾ واضحة الدلالة على الزمن الماضي. وقول المسيح ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ واضحة الدلالة أيضاً فهي تشير إلى بعثة سيد المرسلين ﷺ.

هذا وإني سأتقدم برأيي واجتهادي في تفسير آية سورة النساء وأترك للقارئ الكريم حرية موازنة رأيي مع رأي ابن كثير تاركاً له حرية الفصل في الموضوع. كما أترك لفضيلته صاحب (كُبرى اليقينيات) أن يوازن بين الرأيين أيضاً قبل أن يذيع إجاباته على المطالبات التي طالبناه ا، والله من وراء القصد.

٢- الرأي في تفسير الآية (١٥٧) من سورة النساء:

هاكم الآية الكريمة بسياقها وسباقها أولاً. قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۞ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾(١).

ليلاحظ القارئ الكريم كيف أن هذه الآيات لم تحتوِ إلاّ على اسمٍ واحدٍ هو اسم المسيح ابن مريم، وأنها آيات مليئةٌ بالضمائر. وإن الإشكال الذي أشكل على ابن كثير رحمه الله هو ضمير ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فلم يفطن إلى أنّ ضمير

---

(١) سورة النساء- الآيات (١٥٧- ١٥٩).

﴿ شُبِّهَ﴾ لا يعود إلاّ إلى الاسم السابق لهذا الضمير، وهو الاسـم الوحيـد أيضاً، وهو اسم المسيح عيسى ابن مريم.

فابن كثير طغت على أفكاره روايات عديدةٌ سمعها، وما كان لها أساس مـن الصحة، أغفلته عن أنّ الضمائر لا تعود ألاّ إلى أقرب الأسماء منها. وأن الضمائر ما وجدت أصلاً ألاّ لتحلّ محلّ هذه الأسماء التي تسبقها. فالذي (شبه) هنا هو المسيح ابن مريم نفسه وليس أحداً سواه قطعاً، وفقاً للقاعدة التي ذكرناها.

والسؤال الذي يواجهنا بعد حلّ هذا الإشكال، هو معرفة كيف (شبه) المسيح وأبعاد ذلك. وقد أتى الله تعالى لنا بحرف (ولكن) ما بين قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ليعيننا على حلّ هذا الإشكال الجديد. لـذلك نراجـع معاجم اللغة للإحاطة بدلالة لفظ (ولكن) في هذا المقام.

فقد ذكر صاحب معجم (محيط المحيط) أن حرف (لكـن) إمـا أن تكـون مخفّفة من حرف (لكنّ)، وإما أن تكون خفيفةً بأصل وضعها، وهي قد وضعت ـرد الاستدراك. فإن اقترنت (لكن) بالواو وورد بعدها مفرد، وهذا مـا ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فإنها تكون عاطفةً بشرطين: أحدهما أن يسبقها نفي أو ـي. وهذا الشرط قد توفّر في آية سورة النساء أيضاً حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

وهكذا يدرك القارئ الكريم أن (ولكن) عاطفة ما بعدها على ما قبلـها. أي أن جملة ﴿شُبِّه لهـم﴾ والتي لم يرد فيها اسم الذي شبه، ما هي بجملةٍ مستقلّة في معناها، بل استدرك الله تعالى مضمون الجملة السابقة وأكمل مضمو ـا ـذه الجملة المعطوفة عليها، فلم يذكر في هذه الجملة المعطوفة اسماً معيناً، بـسبب أن ضـمير (شبه) يعود على الاسم الوارد قبل هاتين الجملتين. وتأويل ذلك هـو أن اليهـود

زعموا [إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله] ونقول: وما قتلوا المسيح وما صلبوا المسيح ولكن شبه لهم المسيح بالمقتول والمصلوب.

وإذا ما لاحظ القارئ الكريم أن اليهود زعموا أمراً واحداً وهو القتل، على حين نفى الله تعالى أمرين هما القتل والصلب. وهل يعقل أن يفعل الله ذلك دون حكمةٍ معينة؟

والحكمة من ذلك في نظري أن نفي القتل عن المسيح سيجر اعتراض اليهود عليه بصورة مباشرة وطبيعية، ويتهمون القرآن الكريم بمخالفته إجماع أمتين على تعليق المسيح على الصليب دون تقديم أي دليل مؤيدٍ لما خالف به هذا الإجماع. والحق أن لهم الحق أن يعترضوا مثل هذا الاعتراض.

ودفعاً لاعتراض هؤلاء أضاف تعالى قوله: ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ بمعنى وإن أجمعتم على أنكم علّقتموه على خشبة الصليب، فأنتم لم تتحقّقوا من موته عليه. ولا يسمى مصلوباً من لم يمت على الصليب. كما لا يسمى مشنوقاً من لم يمت على حبل المشنقة. فالمسيح وإن علق على الصليب فإنه لم يمت عليه. فمن خلال نفي الأمر الآخر ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ وافق القرآن إجماع أمتين على تعليق المسيح على الصليب، وخالفهما في أمر موته على الصليب. ولذلك أضاف قوله مستدركاً ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ بمعنى أن اليهود والنصارى اشتبه عليهم أمر موت المسيح على الصليب، بسبب أنهم لاحظوه مغمى عليه ومخدراً على حسب ما سنثبته فيما بعد. وقد أُنزل من عليه حياً غير ميت الأمر الذي سأثبت صحته من خلال مناقشة النصوص الإنجيلية المعاصرة.

فبهذا الأسلوب البلاغي المعجز أعلن الله عز وجل نجاة المسيح عيسى ابن مريم من كيد اليهود ومن تآمرهم لقتله على الصليب وإثبات كذب رسالته. فملعونٌ كلّ من مات على خشبة الصليب.

ولرب معترضٍ عاطفي النزعة لا يحتمل أن يقال أنّ المسيح الناصري تعلّق على خشبة الصليب، وقاسى الآلام وهو نبي الله ورسوله. ونحن بدورنا نـذكّر أمثـال هؤلاء العاطفيين بما قاساه محمد رسول الله وسيد المرسلين ﷺ يوم معركة "أحـد" يوم سقط في الحفرة وكُسِرت نواجذه عليه الصلاة والسلام. فإن كُتِب على إمـام المرسلين أن يتألم، فلا يستثنى المسيح الناصري من تحمل الآلام.

وراح الله تعالى بعدها يوجه الأنظار إلى أنّ اعتقاد اليهود والنصارى مـوت المسيح الناصري على خشبة الصليب، أدى إلى الاختلاف الحاصل بينهم. فـاليهود اعتقدوا نتيجة ذلك أنّ المسيح كان كاذباً في دعواه النبوة. والنـصارى اختلقـوا نتيجةً لذلك عقيدة الكفّارة التي اختلقها "بولس الرسول". وتوضيحاً لهذه الحقيقـة الناصعة أضاف الله تعالى القول: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اخْتلاف الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾.

ففي هذا قد أتى سبحانه وتعالى باسم الموصول للجمع أولاً (الـذين) وقـد وضح أصحاب المعاجم أنّ اسم الموصول صِيغَ في اللغة العربية ليتوصـل بـه إلى وصف المعارف بالجُمل (محيط المحيط). أي أنّ الله تعالى باسم الموصول (الـذين) ليصف للقارئ ما جرى إثر حادثة محاولة قتل المسيح الناصري على الصليب. فقال ﴿اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾. وحرف (في) استعمله هنا للتعليل. والضمير يعود إلى المسيح ذاته. كما ذهب أتباعه إلى أنه أصبح ملعوناً من أجل رفع خطاياهم.

وقد زادنا جلّ شأنه إيضاحاً ونبه إلى أنّ الأمر الذي اختلفوا فيـه ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾. والشك في اللغة، لا يعني الارتياب، بل يعني مبدأ الارتياب كما أن العلـم مبدأ اليقين. فأنت لا تقول شكّكني أمر كذا، بل تقول رابني أمـر كـذا (محـيط المحيط). وبذلك يكون تعالى ومن خلال كلمة (الشك) التي أوردها هنا قد حـث

اليهود والنصارى على إعادة النظر فيما توارثوه جيلاً بعد جيل. مؤكداً لهم أن ما توارثوه ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾. وأضاف مؤكداً ذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ بمعنى أن الذين اختلفوا في أمر موت المسيح على الصليب لا يملكون أي دليل يقيني على ما اعتقدوه. على اعتبار أنّ القتل لا يتحقّق ما لم يتوفّر هناك عنصران: الأول هـو التعليق على الصليب والثاني الإماتة على الصليب وإلاّ فلا يـسمى مجـرد تعليـق شخص على الصليب أنه مات مصلوباً. كما لا يسمى مجرد وقوعه في المـاء أنـه غريق، ما لم يمت داخل الماء.

ونلخص ما أبديناه من تفسير، ونقول: ما دامت هذه الآية الكريمة لا تتضمن إلاّ اسم المسيح عيسى ابن مريم، فجميع الضمائر الواردة بعده تعود عليـه وفقـاً لقواعد اللغة العربية، ولا تعود على اسمٍ غائبٍ عن نص هذه الآية. ثم إنّ حـرف الاستدراك (ولكن) أوتي به لتثبيت موضوع تعليق المسيح على خشبة الصليب. فهو يثبت شيئاً من الأمر المنفي قبله ويعطفه عليه بالواو. وتأويل ذلك: ما قتلوه ومـا صلبوه ولكن لا ينفي أنهم علقّوه، وشبه لهم ميتاً على الصليب. ومن ثم أضاف أنّ زعمهم المذكور تسبب في اختلاف هاتين الأمتين، على حين لو أنهم تأكّدوا مـن حال المسيح حين إنزاله من على الصليب لتبين لهم أنه كان حياً، وأنّ عِلمهم بـه كان ظنياً، وليس يقينياً. والواقع أنّ اليهود والنصارى لم يتحققوا من موت المسيح الناصري على الصليب.

وننتقل إلى الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فقد فسرها ابن كثير بقوله: (واستلب الله نبيه من بين اليهود ورفعـه إلى السماء). وراح صاحب (كُبرى اليقينيات) يؤيده في تفسيره. فكتب يقـول: (فأما عقل العاقل الذي يفهم الكلام العربي عن طريق قواعد اللغة العربية ودلالا ا اللغوية. فهو يفهم من قوله تعالى: ﴿ وما قتلوه يقيناً بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ ﴾ أنّ الله عـز

وجلّ أخفى نبيه عنهم بأن رفعه إلى سمائه فلم يقعوا منه على شـيء يقتلونـه أو يصلبونه. يدلّك على هذا المعنى ألفاظ الآية ودلالاتها اللغوية وضرورة التقابل الذي ينبغي أن يكون بين ما قبل (بل) وبعدها. فليس لك أن تقول وأنت عربي: لـست جائعاً بل أنا مضطجع. وإنما تقول: لست جائعاً بل أنا شبعان... وإنما تأتي (بـل) لإبطال ما قبلها بدليل ما بعدها. لا جرم إذاً أن معنى الآية: ما قتله اليهـود كمـا زعموا، بل إنّ الله استلبه من بين أيديهم ورفعه إلى السماء)[1].

والسؤال الآن هو أين أخطأ صاحب (كبرى اليقينيات) في تفـسيره للآيـة وانحرافه عن جادة الصواب؟ أقول: قد أخطأ فضيلته في نواحٍ عديدةٍ. الخطأ الأول هو أنه لم يفصل بين الآيتين بنقطة في مؤلفه ولا في بيانه، وتكلّم وكأن ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ جزءٌ من الآية السابقة. في حين أنّ الآيتين مستقلّتان، الأمر الذي أوقعـه فيما وقع فيه من أنّ (بل) جيء بها لإبطال ما قبلها بدليل ما بعدها. حال أن (بل) لم تستعمل كذلك في هذا المقام مما سآتي على شرحه وبيانه.

والخطأ الثاني لفضيلته تجلّى في فهمه للرفع في الآية على أنـه رفـع مـادي. متناسياً أنّ الذي رفع المسيح إليه منزّه عن المادة وليس كمثله شيء، وليس له حيز مادي يتواجد فيه، فلا يجوز والحال هذه أن يقال هنا (استلبه من بينهم ورفعـه إلى السماء). فالسماء لغةً كلّ ما علاك. ولا ذكر للفظ السماء في الآيـة المـذكورة. وإنما حشر هو وابن كثير لفظ السماء هنا، بسبب أنهما اختارا للفظ (الرفع) معناه المادي. ففسروا (إليه) بمعنى إلى السماء خطأً.

والخطأ الثالث الذي وقع فيه فضيلته تجلّى في المعنى الذي نـسبه إلى الحـرف (إلى) وتقييده إياه بهذا المعنى وحده مما سآتي على بيانه.

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية- الصفحة ٣٣٠.

والخطأ الرابع لفضيلته ظهر واضحاً في عدم إجراء التوازن بين ما ذهب إليه من معانٍ وبين قوله تعالى في آخر الآية ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾. فلم ينتبه إلى أنّ استلاب المسيح من بين أيدي اليهود، لا يدلّ على أنّ الله كان عزيزاً حكيماً في تصرفه، مما سآتي على بيانه أيضاً.

فأما الخطأ الأول لفضيلته وهو عدم مراعاة الفصل ما بين الآيتين. فقد تأتى عن قلّة تدبره للآية الأولى الوارد فيها قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ. . .﴾ فكلمتا (رسول الله) وضحتا المقصد الذي دفع اليهود لمحاولة قتل المسيح الناصري. وبدافعٍ من نص يأمر (فليقتل ذلك النبي)[1] إن كان كاذباً.

وقد أتى جلّ شأنه في بداية الآية الثانية بحرف (بل) ليثبت للمسيح صدق رسالته وقربه من ربه. ذلك أنّ أصحاب المعاجم ذكروا أنّ للحرف (بل) أكثر من ثماني استعمالات، وليس استعمالاً واحداً حصره فضيلته بقوله: (بل تأتي فقط لإبطال ما قبلها بدليل ما بعدها).

فقد أورد صاحب (محيط المحيط) أنه إذا تبعت حرف (بل) جملةٌ- كما ورد في الآية- فتستعمل للانتقال من غَرضٍ إلى آخر. كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . . .﴾[2] وتكون (بل) حينئذٍ حرف ابتداء.

والذي يؤكّد أنّ الله تعالى ابتدأ الآية الثانية بحرف (بل) للانتقال من غَرضٍ إلى آخر وهو إثبات كون المسيح الناصري (رسول الله)، هو الفقرة الأخيرة من الآية

(١) العهد القديم- سفر التثنية (١٨/٢٠).

(٢) سورة الأعلى- الآيات (١٤- ١٩).

الأولى، وهو قوله تعالى ﴿وما قَتلُوه يقِيناً﴾ فلو كان حرف (بل) جِيءَ به لإبطال ما قبله، لاستحال ذلك. إذ أنّ ما قبلها هو نفي القتل اليقيني. وهل يعقل أن ننفي ما هو منفي أو نبطلُ ما هو باطل؟

وأما الخطأ الثاني الذي ارتكبه فضيلته، فهو تناوله الرفع بمعناه المادي. وخطؤه هذا كان فاحشاً. فالله عز وجلّ في معتقداتنا ليس بمادةٍ وليس كمثله شيء حتى يرفع المسيح الناصري إليه بجسده العنصري. ثم إنّ الرفع استعمل في القرآن للرفع المادي والرفع المعنوي. أفلا نقرأ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1] وقوله تعالى أيضاً: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[2] وقوله في مقامٍ آخر: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[3] وقوله ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4] وقوله تعالى أيضاً: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[5] وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ. . .﴾[6] فإزاء وجود جميع هذه الآيات الكريمة التي استعمل فيها الرفع بمعناه المعنوي، كيف استعصى على فضيلته أخذ الرفع بمعناه المجازي؟

وأما الخطأ الثالث الذي بدر عن فضيلته، فهو تقييده حرف (إلى) بمعنى واحدٍ خلافاً لما أورده اللّغويون. ففضيلته تساءل في مؤلفه قائلاً: (فما معنى إليه في الآية ما

---

(١) سورة الانشراح- الآية (٤).

(٢) سورة البقرة- الآية (٢٣٥).

(٣) سورة مريم- الآية (٥٧).

(٤) سورة يوسف- الآية (٧٦).

(٥) سورة المجادلة- الآية (١١).

(٦) سورة فاطر- الآية (١٠).

دام أنّ الرفع هو رفع الدرجة؟ هل أنّ الله جعله إليه مثله؟ إذ لا معنى لقولك: إنّ الله رفع مقام فلان إليه، إلاّ أنه قد جعله في مرتبته)[١].

إنّ فضيلته حدد للحرف (إلى) معنى واحداً وهو الرفع المادي إلى السماء. فأقحم لفظ السماء في الآية دون مبرر. متناسياً أنّ الحرف (إلى) يفيد المعية أيضاً، في حال إرادتنا ضم شيءٍ إلى آخر (محيط المحيط) كما قال تعالى في محكم تنزيله عن لسان المسيح: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[٢] ولم يقصد من سؤاله هذا دعوة المؤمنين ليجعلهم بمرتبة الله عز وجلّ. بل دعاهم ليصبحوا في معيته عز وجلّ ومن المقربين. وبنفس هذا الاستعمال ورد قوله تعالى في الآية التي نحن بصددها وهو: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي جعله في معيته عز وجلّ ومن المقربين إليه ليس إلاّ، إثباتاً منه سبحانه أنّ المسيح الناصري هو رسول الله يقيناً.

والخطأ الرابع الذي بدر عن فضيلته هو عدم ربطه بين ما ذهب إليه من معنى للآية وبين آخر الآية حيث قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فالعِزة تعني المِنعةُ والقوة. كما أنّ الحكمة تعني وضع الشيء في موضعه. فالله الذي يستلب المسيح الناصري من بين أيدي أعدائه ليرفعه إلى علياء سمائه. فما دامت له هذه القوة أما كان من الأجدر به وهو العزيز الحكيم ألاّ يفعل ذلك، بل يستدرج اليهود من حيث لا يشعرون ويكتب لرسوله النجاة منهم ليكمل ما أوكل إليه من مهمة تبشير جميع أسباط بني إسرائيل؟

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية- الصفحة (٣٣٠).

(٢) سورة الصف- الآية (١٤).

فالمعنى الذي ذهب إليه فضيلته صاحب (كبرى اليقينيات) لا يظهر الله عزيزاً وحكيماً بل إنّ المعنى الذي ذهبت إليه من خلال بياني، هو الذي يظهر الله عزيزاً حكيماً.

فخلاصة الرأي في مدلول قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ هو لتثبيت مكانة المسيح الناصري في أعين اليهود على أنه (رسول الله) الصادق، وفي معية الله وقربه. وكان أسلوب الله في إنقاذ المسيح فيه كلّ الدلالة على أنه تعالى هو العزيز الحكيم.

وننتقل إلى الآية الثالثة التي قال فيها تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾. ونعود إلى ابن كثير رحمه الله فقد قال في تفسيره: (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني قبل موت عيسى. يوجه ذلك إلى أنّ جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير المِلل كلّها واحدة وهي مِلّة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام)[1].

هذا ما ذهب إليه ابن كثير، ومن ثم راح يسرد لنا آراء أهل التأويل، إلى أن قال: (ثم قال ابن جرير، وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلاّ من آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه. وتسليم من سلِم

(١) تفسير ابن كثير- الجزء الأول- الصفحة (٥٧٦).

لهم من النصارى الجَهلة بذلك فأخبرنا الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم).

من هذه الأقوال ندرك أنّ ابن كثير ذهب في رأيه في تفسير هذه الآية الكريمة إلى أنها تفيد أنّ عيسى حي في السماء، وسوف ينـزل منها في المستقبل، ويؤمن به، قبل موته، جميع من كان يهودياً أو نصرانياً، فلا يعود في العالم إلاّ ملّة الإسلام.

ونعود إلى صاحب (كُبرى اليقينيات)، نجده بأنه وافق ابن كثير فيما ارتـآه. حيث يقول: (ومحلّ الشاهد في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والمعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلاّ من آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. فالضمير في (قبل موته) عائد، كما هو واضح من سياق الآيات، إلى عيسى ابن مريم. وهو نص على أنه عليه الصلاة والسلام لم يمت)[1]. وبهذه الألفاظ وافق هذا العالم تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى.

أقول: لا شك أنّ الخطأ يجر الخطأ. وما دام هذان قد أخطأا في رد ضمائر الآية الأولى والثانية، لعدم أخذهما بعوائد الضمائر. كان من الطبيعي جداً أن يخطئا في رد ضمائر هذه الآية إلى أسمائها.

ثم لنستعرض ألفاظ الآية، حيث قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾. إنّ آخر هذه الآية الكريمة يشعرنا أنّ اليهود والنصارى سيظلّون مختلفين فيما بينهم، لذلك يقول تعالى﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) كُبرى اليقينيات الكونية- الصفحة (٣٢٤).

﴿يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ وإلاّ فلا معنى لمثل هذه الشهادة إن كان أهـل الكتـاب سيدخلون في ملّة الإسلام.

ونتناول ألفاظ الآية. قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: وإن أحد من أهل الكتاب. فلفظ (أحد) صفة محذوف لهذه الجملة القسمية ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾. وهـذا ما بينه صاحب كتاب الكشاف. وعلى هذه الصورة يعود ضمير (به) إلى المـسيح عيسى ابن مريم، لا محالة.

فالاسم هنا موضوع بحث هذه الآيات الثلاث. ويكون المعنى: سيؤمن كـلّ أحدٍ من أهل الكتاب يهودياً كان أو نصرانياً بمقتل المسيح الناصري على خـشبة الصليب.

وينشأ عن هذا المعنى سؤال وهو: متى سيؤمن كلّ فردٍ من أهـل الكتـاب بالمسيح مقتولاً؟ وجاء الجواب في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي قبل موت هذا الأحد من أهل الكتاب. وليس قبل موت عيسى ابن مريم. ذلك أنّ "موت عيسى" هـو محلّ بحث هذه الآيات الكريمة وليس في حياته في السماء ونزوله في آخر الزمـان. فهذا بحثٌ لم تصرح به الآيات حتى يكون مرجع ضمير ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. ففـي هـذه النقطة بالذات كبا وأخطأ ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات). فقد أعادا ضمير ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إلى أمرٍ في ذهنيهما، لا علاقة له بمجمل بحث هذه الآيات القرآنيـة. وخطؤهما يخالف ضوابط الضمائر، ولا مبرر له.

فابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات)، أوقعهما ما يحملانـه مـن خلفيـة تصورات رسمتها في مخيلتيهما الروايات المتعلقة بأحداثٍ مستقبلية. وقد فهماها بما يخالف النصوص القرآنية. وذلك بعدم تقيدهما بأمر أصوليّ وهو عرض كلّ ما هو غير قرآني، على النصوص القرأنية، ومحاولة فهمها بما يطابق منطوق الفرقان العظيم.

فالقرآن الكريم صرح لنا بما يتعلق بحدود رسالة المسيح عيسى ابن مريم حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1] فقد تحدد من خلال منطوق هذه الآية الكريمة ما يلـي: أولاً: أنّ رسالة عيسى محصورةٌ في قومه بني إسرائيل حصراً. وثانياً: أنه عليه السلام لم يأتِ بشرعٍ يخالف شرع التوراة. وثالثاً: يبشر ببعثة محمد ﷺ ﴿يَأْتِي مِن بَعْدِي﴾ أي يبعث الله محمداً بعد إكمال عيسى لرسالته ووفاته أيضاً. فلو أنه ظلّ حيـاً في السماء، فلا يصح القول ﴿مِن بَعْدِي﴾ بل كان واجباً أن تستعمل للتعبير عن ذلـك ألفاظٌ أخرى غير هذه الألفاظ. ورابعاً: تقرر الآية الكريمة أنّ من بشر عيسى ببعثته قد ظهر وجاءهم بالبينات أيضاً، فكذّبوه وقالوا هذا سحر مبين. وفي حال وجود مثل هذا النص القرآني، لا يحق لابن كثير أو لسواه أن يحفظ في ذاكرته روايـاتٍ مخالفة لهذا النص، إلاّ أن يؤوله بما يتفق مع هذا النص إن كان مسلماً فلو أن ابـن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات) ذهبا هذا المذهب في عرضِ كُلّ ما هو خـارج القرآن على القرآن، لتبين لهما خطأُ ما ذهبا إليه من تفسير.

والملاحظ أنّ ابن كثير استهل تفسيره للآية بقوله (اختلف أهل التأويل..) في دلالة هذه الآية. وهل يعقل أن يختلف هؤلاء لو انطلقوا منطلقاً سليماً؟ لو انطلقوا من ضوابط الضمائر نحوياً. ومن عرض ما هو غير قرآني على آيات القرآن الكريم وتأويله بما يتفق مع معطيا ا ونصوصها.

---

(١) سورة الصف- الآية (٦).

وزبدة القول في معنى هذه الآية ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ. . .﴾ هو أن كلّ كتابي، يهودياً كان أو نصراني، لا يموت إلاّ معتقداً بموت المسيح الناصري على الصليب. ويوم القيامة يكون المسيح شهيداً أي شاهداً أميناً في شهادته على ما زعموه من بهتانٍ مبين.

وهذا المعنى يؤكّده وجود قراءة أحادية لهذه الآية الكريمة. فقد ورد في قـراءة أُبي ابن كعب [وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِم. . . .] فقراءة [وقبـل مو م] تعني صراحة أنّ ضمير ﴿قَبْلَ مَوْتِه﴾ يعود إلى أهل الكتاب، ولـيس علـى عيسى ابن مريم. والعجيب أن يهمل ابن كثير هذه القراءة وينهج صاحب (كُبرى اليقينيات) جه، والله عز وجلّ حثنا على أن نكون من المتقين.

ومن أغرب الغرائب أن يزعم ابن كثير وتلميذه هذا أنّ المـسيح الناصـري ستتوحد على يديه جميع المِلل اليهودية والنصرانية والمُسلمة فلا تبقى هناك ألاّ ملّـة الإسلام الحنيفية. في وقت يصرح لنا الله علّام الغيوب في كتابه العزيز عكس ذلك ويقول: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1] أي أنّ أتباع ملّتي اليهود والنصارى سيستمر وجودهما كأعداءٍ يبغض بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة. فهـل يعني ابن كثير وصاحبه أن المسيح الناصري سيـ ل بعد يوم القيامة؟

كذلك قال تعالى في موضع آخر مخاطباً المسيح الناصـري: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2] وهذا الكلام يفيد استمرار وجود أهل الكتاب إلى يوم القيامة أيضاً. فأين ما تضمنته هذه الآيات وأين مزاعم ابن كـثير وصاحب (كُبرى اليقينيات)؟

---

(١) سورة المائدة - الآية (٦٥).

(٢) سورة آل عمران- الآية (٥٥).

إن هاتين الآيتين وكثير من الآيات غيرهما، تفيد صراحةً أن الاختلاف الذي حدث بين أتباع موسى وبين أتباع عيسى سيستمر حتى يوم القيامة، وليس حتـى نزول المسيح الناصري من السماء، كما يزعمون. فهذه حقيقة غيبية، قررها القرآن الكريم.

والخلاصة هي أن الله عز وجلّ أوجز لنا ببيان بلاغي معجز، في هذه الآيات الثلاث من سورة النساء، ملابسات حادثة الصليب التي تعرض لها المسيح عيـسى ابن مريم في حياته في فلسطين. فنبه تعالى إلى أنّ المسيح وإن تمكّنوا من تعليقه على خشبة الصليب، إلاّ أنهم لم يفلحوا في إماتته عليه. وأنّ ما اعتقدوه من موته عليـه ارتكز إلى الظن ا ـرد عن الحقيقة، ولا يملكون عليه دليلاً ولا بينةً إلاّ مجرد الادعاء، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ لذلك لا يصح الزعم أنه كاذب في ادعائه النبوة وبعيد عن رحمة الله. بل هو من المقبولين المقربين إلى الله عز وجلّ. فهذه حقائق يدلي ـا الله الذي لا يخفى عن علمه شيء.

والله جلّ شأنه إذ يطلع المسلمين والعالم على هذه الحقائق. فهو يحثّهم بالتالي على إجراء التحقيق العلمي في هذا الموضوع، ليستفيد منه كلّ طالبٍ حقيقة. وإلاّ فإنّ هذا الاعتقاد الظني الذي وقع فيه اليهود والنصارى، أوقعهـم في اخـتلاف وعداوة وبغضاء ستستمر بينهم إلى يوم القيامة الّلهم إلاّ من يعيد النظر من منظـار هذه الآيات الكريمة، فإنّ مثل هذا الإنسان سيتقبل الإسلام ديناً ويعود عما توارثه من عقائد فاسدة ويكون من المُهتدين.

وهذه الآيات الكريمة لا يستفاد منها رفع أحدٍ إلى السماء، ولا نزول أحدٍ من السماء. فلو كان المسيح الناصري حياً في السماء وين ل في آخر الزمان، فهل يعقل أن ينقل لنا القرآن الكريم على لسانه قوله يوم القيامة جواباً على سـؤال الله إيـاه بشأن من عبده من قومـه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(1)؟ فهل كذب المسيح الناصري في إجابته هذه إن صح أنه يـ ل في آخر الزمان ويشاهد ما فعله وما اعتقده قومه من بعده؟ فأين دلالة هذه الآية من زعم ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات)؟

ثم إنه لو كان المسيح الناصري رفع حياً بجسده العنصري إلى السماء. فهل يعقل أن يخالف الله تعالى بذلك وعده الذي وعده إياه قبل حادثة الصلب من خلال قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(2) فهذا وعد إلهي قد تحقّق ببنوده الأربعة (متوفّيك- ورافعك- ومطهرك- وجاعلٌ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) أقول قد تحقق هذا الوعد الإلهي وبنفس ترتيب بنوده، فلا يصح والحال هذه أن يزعم أحد أنّ المسيح الناصري رفع بجسده العنصري وروحه إلى السماء.

هذا وإنّ ابن كثير رحمه الله وعلى الرغم من ضعف آرائه في التأويل فقد ذكر تحت هذه الآية الكريمة أنه: (اختلف المفسرون في قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ومما سرده من آرائهم رأي ابن عباس عن طريق علي ابن أبي طلحة {إني متوفيك أي مميتك})(3) فلم يجزم بمعنى محدد.

أما صاحب (كُبرى اليقينيات) فقد كتب يقول: (وأكثر ما يتعلّقون به في هذا الصدد، كلمة متوفّيك.. ظناً منهم أنّ متوفيك مرادفةٌ لمُميتك. ولم يقل أحد من

---

(1) سورة المائدة- الآية (116).

(2) سورة آل عمران- الآية (55).

(3) تفسير ابن كثير- الجزء الأول- الصفحة (366).

علماء اللغة ذلك. بل التوفّي معناه أخذ الشيء وقبضه تماماً، ومرادفه الإستيفاء. نقول: استوفيتك حقّي وتوفّيته، أي قبضته كاملاً. أما الإماتة التي هي أخذ الروح، فهي نوع من أنواع التوفّي التي يشملها وغيرها...)[1].

إنّ هذا العالِم زعم هذا في مؤلّفه ليوهم القارئ أنه مطلع على جميع ما ذكره علماء اللغة حول معنى التوفّي. في وقتٍ نجد أنّ العالم اللغوي الشهير صاحب معجم "لسان العرب" قد قال خلاف ما زعمه صاحب (كُبرى اليقينيات)، فهو قد وضح لنا تحت لفظ التوفّي: أنه إذا كان المُتوفّي هو الله تعالى وكان المتوفى ذا روحٍ كالإنسان مثلاً، فلا يعني التوفّي إلاّ الموت وقبض الروح.

كما أننا نلاحظ أنّ صاحب معجم "محيط المحيط" وافق صاحب "لسان العرب" رأيه في دلالة لفظ التوفّي وقال: (توفّى الله فُلاناً معناه قبض روحه. وتوفّي فلانٌ على المجهول قُبضت روحه ومات. فالله المتوفّي والعبد المتوفّى).

أسأل صاحب (كُبرى اليقينيات): ألم تقرأ ما كتبه هذان العالمان اللغويان، أم أنك لا تحسبهما من العلماء الغويين؟ أجل إنّ فعل التوفّي يرد بمعنى الإستيفاء الكامل في حدود الأمور المادية، وليس في مجال قبض الروح.

من هنا ندرك أنّ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾ يعني صراحةً أنّ المسيح الناصري هو الآن في عداد الأموات وليس في عداد الأحياء. ذلك لأن بنود هذه الآية الكريمة قد تحقّقت بنفس ترتيبها القرآني.

---

(١) كُبرى اليقينيات الكونية- الصفحة (٣٢٩).

٣- ويلات ترتبت على آراء ابن كثير:

ولا يحسبن امرؤ أنّ ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات) قد أخطأا الرأي في تفسير هذه الآيات الثلاث من سورة النساء وحسب، وأنهما سـيؤجران علـى خطئهما المذكور واجتهادهما. بل ينبغي القول أنهما تجاوزا حدود الرأي والاجتهاد يوم أسقطا ما يحملانه من أفكارٍ جانبيةٍ وتصوراتٍ هشةٍ لا يستسيغها العقل والفكر ولا المنطق السليم على كلام الله القدوس. وقد جرا من جراء ذلك، على العقـل والفكر الإسلامي ما يشيب لهوله الولدان.

فقد كان معلوماً لدى ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات) أنّ الأنبياء كانوا يبعثون قبل الإسلام إلى أقوامهم وحسب. وأنّ ما كانوا يأتون به من تعـاليم، لا تصلح ألاّ لتلك الأقوام فلا تحمل تعاليمهم صفة التعاليم العالمية. حتى بعث الله عز وجلّ محمداً بن عبد الله ﷺ إلى الناس كافّة وبتعاليم تتصف بصفة العالمية والـدوام وجعله رحمةً للعالمين.

فبالرغم من عِلم هذين العالمين هذه الحقيقة. وبالرغم من تصريحهما بها في مؤلفاتهما، فقد راحا يزعمان بأنّ الله تعالى لم يبعث المسيح الناصري إلى قومه بـني إسرائيل وحسب، بل احتفظ به حياً آلاف السنين ليكلّفه بمهمة إصلاح المـسلمين وهداية العالمين من بعد بعثة سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ. أي أنّ هذين العـالمين تناقضا مع نفسيهما، ونسبا إلى المسيح الناصري ما لم ينسبه القرآن الكريم لشخص المسيح من مسؤوليات. وتناقضا بالتالي مع منطوق آيات هذا الكتـاب العظـيم. وأوقعا عامة المسلمين في نفس التناقض وأعطيا لأعداء الدين حجةً ضـد القـرآن وتعاليمه. وهكذا تسببا بويلٍ وثبور على الفكر الإسلامي مما يصعب معه اقـتلاع جذوره، وتخليص عامة المسلمين من شروره. فهذه أول الويلات.

والويل الثاني الذي جره رأي ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات)، هو دفع العقل المسلم باتجاه مخالفة العلوم الطبيعية، والابتعاد عن التفكير العلمي الـسليم.

وذلك من خلال نسبهما للمسيح الناصري حياة خلودٍ انقضى منها حتى يومنا هذا ما يقارب ألفا عام. هذا في حين أنّ الله تعالى نفى عن البشر حياة الخلود هذه، إذ قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[1] عِلماً بأنّ علماء اللغة قالوا أنّ الخلد لغةً يعني المدة الطويلة دامت أم لم تدم (أقرب الموارد).

فعلى الرغم من وجود هذا النص القرآني الصريح، فلا يزال المسيح الناصري حياً في السماء على حد زعم ابن كثير وصاحب (كُبرى اليقينيات) طوال الألفي سنةٍ الماضية، ولا ندري إلى متى سيظلّ المسيح حياً في السماء على حد زعمهما. وعلى هذه الصورة تأثّرت محاكمة المسلم سلبياً من جراء ما ارتآه ابن كثير وسواه، فشذّ عن سواء السبيل العلمي، واتجه حيثما اتجه أصحاب الخرافات والأساطير، واختلّت بذلك محاكمة عقول المسلمين.

والويل الثالث الذي حاق بالعقيدة الإسلامية من جراء ما ارتآه ابن كثير من آراء في تفسير الآيات الثلاث المذكورة من سورة النساء، هو نقضه لختم نبوة سيد المرسلين ﷺ وذلك باعتقاده وصاحب (كُبرى اليقينيات) أنّ المسيح الناصري لا يزال حياً في السماء، وسينزل آخر الزمان بعد بعثة محمد خاتم النبيين ﷺ.

وإنهما يحتجان أنّ نبوة المسيح سابقة لنبوة محمد ﷺ فبالله هل يستسيغ عقل إنسان أن يقال عن فلانٍ من الناس أنه آخر ضيفٍ يدخل، ومن ثمّ يأتي بعده ضيف جديد ولو كان قد دخل قبله وغادر الدار؟ فهو قد أتى بعد فلانٍ على كلّ حال. على هذه الصورة كيف يجيزون لأنفسهم أن يزعموا مجيء المسيح الناصري بعد خاتم النبيين والقائل: (لا نبي بعدي)؟

والويل الرابع: الذي حلّ بالإسلام من جراء تفسير ابن كثير لهذه الآيات الكريمة، هو إيجاد هوة واسعة وعميقة تحول دون أي أحد مفكّر من أهل الكتاب

(١)

تقبل ما جاء به القرآن الكريم. ذلك أن ابن كثير خالف في رأيه إجماع أمتين همـا اليهود والنصارى على أن المسيح الناصري نفسه هو الذي علّقوه علـى خـشبة الصليب، وليس إنساناً آخر. وهو إذ خالف إجماع هاتين الأمتين لم يقدم ما يثبت صحة طرحه من دليل أو برهان. فكيف يجرؤ على الزعم أنهم علّقوا رجلاً آخـر غير المسيح الناصري، ولا يثبت ذلك بدليلٍ وبرهان، ويكتفي بمجرد الإدعاء، ناسياً زعمه الذي لا يملك عليه حجة إلى كتاب الله عز وجلّ؟

والويل الخامس: الذي أنزله ابن كثير بالفكر الإسلامي؛ هو أسلوبه في التفسير الذي لا يعتمد أصولاً موضوعية، بل يعتمد القيل والقال في تفسيره لآي الـذكر الحكيم.

فإذا جاء ابن كثير بعد بعثة محمد سيد المرسلين ﷺ. وعلمنـا أن أحاديـث رسول الله لم تسلم من الدس والافتراء طيلة تلك لمدة. فهل يعقل أن تأتي روايـات القيل والقال بعد تلك المدة الطويلة سالمةَ من الدس الافتراء؟

وزبدة الكلام أن القرآن الكريم، وإن اتفق منطوق آياته الكريمة مع ما أجمـع عليه اليهود والنصارى، من أن المسيح الناصري هو الذي علّقـوه علـى خـشبة الصليب. فإن القرآن الكريم خالف هؤلاء في زعمهم موت المسيح الناصري علـى الصليب. فالقرآن خالف اليهود والنصارى في ذلك، وفسح للمسلمين بذلك مجال البحث في الأناجيل لتقديم الأدلّة القاطعة على صحة هذا الطرح القـرآني. منبهـاً إياهم إلى النقطة الأساسية في الموضوع وهي أنّ عقيدة اليهود والنصارى في موت المسيح الناصري على الصليب، قد قامت على مجرد الظنون. فلا يملك اليهـود أي بينةٍ يقينية على زعمهم قتل المسيح على الصليب. ولا يملك النصارى أي بينة يقينية ضمن تراثهم الإنجيلي يثبت منها موت المسيح على الصليب وقيامـه مـن بـين الأموات.

فالواجب يقتضي منا كمسلمين أن ننقُد الأناجيل المعاصرة نقداً موضوعياً وعلمياً، لنثبت من خلال ذلك صحة الطرح القرآني وهو أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب، ولا قام من بين الأموات، ولا أصبح بالتالي كفّارة عن ذنوب أتباعه.

وسأعمد من هذا المنطلق في الفصول القادمة إلى إجراء هذا النقد الموضوعي لما تضمنته الأناجيل المعاصرة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا)، ممهداً لذلك البحث النقدي بفصلٍ مستقل أسميته "قصة الأناجيل".

الباب الثالث

الفصل الأول: قصة الأناجيل.

الفصل الثاني: نبوءة واقعة الصلب.

الفصل الثالث: واقعة الصلب من الأناجيل.

الفصل الرابع: خطة بيلاطس لإنقاذ المسيح من محنته.

١- قصة الأناجيل:

كلّ مسلم يأمره ربه أن يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من وحي في القـرآن الكريم ومن قبله، نزولاً عند قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُـمْ يُوقِنُونَ﴾[1]. وانطلاقاً من هذا الأمر الإلهي، فمن واجب كـلّ مسلم إذا أراد محاورة أهل الكتاب، أن يحاورهم فيما عندهم من تـ يلٍ وإن وصل إلى زماننا محرفاً ومحتاجاً إلى مناقشة ما ورد فيه بأسلوبٍ علمـي متعلّـق بنقـد النصوص.

ثمّ إنّ من يطالب أهل الكتاب بكتابين مـ ّلين نصاً ومعنى وبما يشبه القـرآن الكريم، يجانف الحقيقة التاريخية. فلم يـ ل الله عز وجلّ وحياً لفظياً سوى الوصـايا العشر التي أمر موسى عليه السلام أن يدو ا في لوحين حجريين. فما تعاليم التوارة والإنجيل إلاّ من قبيل الوحي من وراء حجاب. وهذا الأمر يثبـت ممـا احتـواه الكتاب المقدس المعاصر عند أهل الكتاب مما لا حاجة بنا للخوض فيه.

والذي يهمني هنا هو إعطاء فكرة للقارئ الكريم، حول الأناجيل الحاضـرة، ليس من خلال تحقيقي الشخصي، دفعاً لكلّ نقاشٍ من جانبنا مع هؤلاء.

لذلك أنطلق في بيان قصة الأناجيل الأربعة "متى ومرقس ولوقا ويوحنا" مما احتوته طبعة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م، والذي طبعته جماعة الكتاب المقدس في المشرق، ونشره دار المشرق في بيروت لبنان.

والمعلوم أنّ القرآن الكريم يطالب المسيحيين أن يعودوا إلى ما احتواه إنجيلهم. وهذه المطالبة قائمة إلى يوم الدين، وقد نصت عليها الآيات التاليـة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِـم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَـمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى

([1]) سورة البقرة- الآية (٤).

وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

فقوله تعالى هنا ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ هو قولٌ صريح اللفظ والدلالات، وإنّ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ هو قولٌ صريح اللفظ والدلالات أيضاً. فلفظ الحق يعني العدل والصدق والقول الثابت. ولفظ ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ أي مهيمناً على الإنجيل. مِن هيمن الرجل هيمنةً إذا قال آمين، ومن هيمن فلانٌ على كذا صار رقيباً عليه وحافظاً[2] والمُهيمن اسم من أسماء الله الحسنى، أي أنّ القرآن الكريم مصدق لما احتوته الأناجيل الأربعة، ليس تسليماً بكلّ ما ورد فيها، بل على مستوى الهيمنة عليها بمعنى أنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم رقيباً على الإنجيل وحافظاً. ورقب الشيء حفظه من التبديل

([1]) سورة المائدة - الآية (٤٦-٤٨).

([2]) قاموس محيط المحيط.

والتحريف والضياع. فالقرآن الكريم من هذه الجهة يضع بين أيدينا مفتاح الدخول إلى أي موضوع احتواه الإنجيل بالحق أي بالعدل والصدق والقول الثابت.

فمن خلال كون القرآن رقيباً على الإنجيل وحافظاً بالعدل والصدق والقـول الثابت، نندفع كمؤمنين بهذا الكتاب السماوي للبحث في الأناجيل بحـث نقـدٍ للنصوص الواردة فيها وعلى ضوء ما نصح به القرآن الكريم. فنحن هنا لا نريـد الطعن بالأناجيل ولا الانتقاص من عقائد المسيحيين. وها أني أنطلق مما احتوتـه الطبعة الأخيرة لهذه الأناجيل.

فإن شئنا مراجعة تاريخ الأناجيل الحاضرة يواجهنا سؤالٌ مبدئي وهو: هـل جرى تدوين أي شيءٍ من تعاليم المسيح الناصري وسيرته في حياته التي أمضاها في فلسطين؟ أم أنّ سيرته وتعاليمه تداولها تلاميذه وسواهم بصورة شفهية وتناقلوهـا دون تحريرٍ لها وتدوين؟

ونجد جواب هذا السؤال في مقدمة الكتاب المقدس المذكور حيث ورد فيـه: (وأما أقوال الرب- يعني يسوع المسيح- وما كان يبشر به الرسل- أمثال بـولس وبطرس وسواهما- فقد تناقلتها ألسنة الحفّاظ مدة طويلة، ولم يـشعر المـسيحيون الأولون إلاّ بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين أهم ما علّمـه الرسـل، وتولّي حِفظ ما كتبوه.

وما كان بد من أن تثار ذات يوم مسألة المكانة العائـدة لهـذه المؤلفـات الجديدة. وإن حظي في أول الأمر التقليد الشفهي بمكانة أفضل كثيراً ممـا كـان للوثائق المكتوبة. ويبدو أنّ المسيحيين، حتى ما يقارب من الـسنة (١٥٠) بعـد الميلاد، تدرجوا من حيث لا يشعرون، إلاّ قليلاً جداً، إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة...)[1] ويتبين لنا من إجابة هؤلاء أنّ سـيرة المـسيح الناصري وتعاليمه كان يتناقلها تلاميذه ومعارفهم بصورة شفهية معتمـدة علـى

(1) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩ م- الصفحة (٨).

الذاكرة ليس إلاّ. وذاكرة الإنسان وقوة ملاحظته وفهمه لما يـسمعه ويـشاهده تختلف من إنسان لآخر ومن هنا ندرك أنّ أحداث حياة المسيح وتعاليمه تعرضـت إلى تدخل جميع هذه العوامل الشخصية. وقد ظلّ كذلك حتى وفاة آخر تلميذ من تلاميذ المسيح حسب قول النص، فلم يدون أي أمر من أمور تعاليم المسيح وسيرته طيلة تلك المدة من الزمن التي ربما امتدت إلى قرابة قرن زمني.

وأنا ألاحظ مصداقية ما كتبه هؤلاء بالاستناد إلى ما افتتح به كاتب إنجيـل لوقا من جملات. فقد ابتدأه بالقول: (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قـصة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البـدء معـاينين وخـداماً للكلمة. رأيت أنا أيضاً- والقول لكاتب إنجيل لوقا- إذ قد تتبعت كلّ شيء مـن الأول بتدقيقٍ أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز "ثاوفيلس"، لتعـرف صـحة الكلام الذي علمت به. كان في أيام هيرودس ملـك اليهوديـة كـاهن اسمـه زكريا...).

إنّ هذا الاستهلال الذي استهلّ به لوقا وهو ما سمي بإنجيل لوقا فيما بعـد، يدلّ بالاستنباط على صدق ما أوردته مقدمة الكتاب المُقدس الذي نقلت الاقتباس منها أعلاه. إذ يستنبط من ألفاظ لوقا أن تعاليم وسيرة المسيح الناصـري كانـت متداولة بصورة شفهية إلى أن مات آخر تلاميذ المسيح، وشعر كثيرون بـضرورة توثيق ما سمعوه عن الذين عاينوا أحداث المسيح وكانوا خداماً للكلمة. وكان لوقا من جملة هؤلاء الكثيرين الذين شعروا بهذه المسؤولية. فدقّق ما وصله من أخبـارٍ شفهية وجلس يكتب إلى صديقه العزيز ثاوفيلس ما سمعه ودقّقه، على شكل رواية قصصية، وبنيةٍ حسنة، وبأمانة.

ولنعد الآن إلى مقدمة الكتاب المقدس. فقد أضاف كاتبوها قولهم: (وأغلـب الظن أنهم جمعوا في بداية أمرهم – ويقصد بذلك الذين شعروا بـضرورة إنـشاء مجموعة من الأسفار المقدسة، وبعد مضي مائة وخمسين عاماً لفراق المسيح الناصري

لقومه – جمعوا رسائل بولس واستعملوها في حيا م الكنسية، ولم تكن غايتهم أن يؤلّفوا ملحقاً بالكتاب المقدس – أي ما يسمى بالعهد القديم توارة موسى وأسفار بني إسرائيل – بل كانوا يدعون الأحداث توجههم: فقد كانت الوثائق البولـسية مكتوبة. في حين أن التقليد الإنجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلاً علـى ألـسنة الحُفّاظ فضلاً عن أنّ بولس نفسه كان قد أوصى بتلاوة رسـائله وتـداولها بـين الكنائس ا اورة (أنس ٢٧/٥ وقول ١٦/٤). ولا يظهر شأن الأناجيل طول هذه المدة ظهوراً واضحاً، كما يظهر شأن رسائل بولس. ومهما يكن من أمر فلـيس هناك قبل السنة (١٤٠ م) أي شهادة تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعة من النـصوص الإنجيلية المكتوبة. ولا يذكر لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم. فلم يظهـر إلاّ في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازادادت وضوحاً المؤلفات صفة ما يلزم. فلم يظهر إلاّ في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مـر الزمن (أنّ هناك مجموعة من الأناجيل، وأنّ لها صفة ما يلزم. وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحوٍ تدريجي وابتدأ نحو السنة (١٥٠م) عهد حاسم لتكوين قانون العهد الجديد).

يتبين مما نقلناه أنّ المسيحيين الأوائل، وقبل منتصف القرن الثاني للميلاد، لم يكونوا قد عرفوا الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) كمرجع مقـدس لديهم. علماً أن رسائل بولس كانت هي المتداولة لديهم. علماً أن بولس المذكور لم يصاحب المسيح الناصري ولا يوماً واحداً، بل على العكس من ذلك قد كـان من ألد أعدائه ومناهضيه والمفترين عليه كما يستدل على ذلك من مضمون رسالته إلى أهل غلاطية وسواها. مما لا حاجة للاستدلال به في هذا المقام لشهرته.

أي يتبين أنّ بولس كان يكتب رسائله على نحو ما سمعه من أخبار المـسيح وأقواله إضافة إلى معتقده ذاته. هذا المعتقد الذي تسبب له الاختلاف مع تلاميـذ المسيح أنفسهم فيما بعد.

كذلك يتبين مما نقلناه أن الأناجيل الربعة لم تكن طيلة المدة معتبرة كمرجع ديني مقدس وكان معظمها متناقلاً على ألسنة الحُفّاظ. وقد جرى الاعتراف بصفة الأناجيل الأربعة المعاصرة بالتدريج. وكان عام (١٥٠م) عاماً حاسماً في تكوين ما يسمى اليوم بالعهد الجديد.

وهذه الوثائق التي وردت في الصفحة الثامنة من مقدمة الكتاب المقدس تتفق مع ما أورده "موريس بوكاي" الذي أسلم وكتب مؤلفه الشهير (دراسة الكتـب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) والمطبوع عن طريـق دار المعـارف المـصرية. فموريس بوكاي نقل قول (أ. كولمان O.COLMAN) المُدون في مؤلفه العهد الجديد (Le Presses universitaires de france ١٩٨٧) الذي قال: (فقد بقي الإنجيل طيلة مدة ثلاثين أو أربعين عاماً في شكله الـشفهي فقـط، أو بالكاد ولكن التراث الشفهي قد نقّل أساساً أقوالاً وروايات منعزلةٍ).

وهذه الحقائق التي وردت في الصفحة الثامنة من مقدمة الكتاب المقـدس لا تتفق مع ما يزعمه كثير من آباء الكنائس في بلدنا. كالأب إلياس زحلاوي مـثلاً، الذي يرسل أقواله في مؤلفه (حول الإنجيل) بلا تحقيق ولا سـند ويكتـب علـى الصفحة (١٣): (إنّ متى ويوحنا – وهما مؤلفا إنجيلي متى ويوحنـا – اسـتقيا معلوما ما من يسوع مباشرةً، إذ كان من الرسل الأولين، فيما مرقس ولوقا استقيا معلوما ما من زعيمي الرسل: هذا من بولس، وذاك من بطرس إذ كانا بمثابة أميني سر لهما ورفيقي طريق). فهذا الزعم يتنافى مع ما ورد في مقدمة الكتاب المقـدس المذكور، وهو: (ومهما يكن من أمرٍ فليس هناك قبل السنة (١٤٠م) أي شـهادة تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلفٍ من تلك المؤلفات صفة ما يلزم...).

وهكذا ومن خلال ما أوردناه من أقلام علماء المسيحية أنفسهم، لا نكـون مبالغين إذا قلنا في الجواب على السؤال المبدئي المطروح أنه كانت سيرة وتعـاليم

المسيح الناصري يتداولها المسيحيون الأولون في القرن الثاني للميلاد على الأقل بصورة شفهية واعتماداً على الذاكرة وروايتها. ولم يجر تدوين أي شيء من تلك السيرة والتعاليم في تلك الفترة الزمنية، ولم تكن الأناجيل الحاضرة قد دونها مؤلفوها، ولم تكن مضامينها ملزمة لمسيحيي تلك الحقبة التاريخية أياً. ويواجهنا سؤال آخر وهو: متى ظهرت الأناجيل الأربعة وبصفتها الإلزامية إذاً؟ ومتى أطلق عليها اسم العهد الجديد؟

وقد نجد الإجابة على السؤال المذكور على الصفحات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة من مقدمة الكتاب المقدس المذكور فقد ورد هناك: (فليس هناك قبل السنة (١٤٠م) أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة. ولا يذكر لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم.. وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي.. ويمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة (١٧٠م) بمقام الأدب القانوني، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين.. وقد أخذت تظهر – المؤلفات الإنجيلية – رويداً رويداً وبالمصادفة بمظهر مجموعة اعترفت بصفتها الإلزامية كنائس القرن الثاني الميلادي اعترافاً واسعاً. ويرجح كثيراً أنّ الذي زاد في سرعة هذه الحركة هو تدخل "مرقيون الهرطوقي" عام (١٦٠م)، الذي نبذ سلطة العهد القديم نبذاً تاماً، فاحتاج أشد الحاجة إلى تزويد كنيسته بأسفارٍ مقدسة وبما يقتضيه ذلك من قانون جديد فعندما حاول المرء أن يستعرض حصيلة هذا التطور اتضحت له هذه الأمور: فازت الأناجيل الأربعة في كلّ مكان بمنزلة رفيعة منيعة لا نزاع عليها البتة من بعد. ويمكن القول منذ ذلك الوقت: إن قانون الأناجيل الأربعة قد اكتمل. إنّ الأسفار التي اعترف بأنها قانونية، أصبحت بناءً على ذلك نصوصاً مقدسة. وحصلت منذ دخولها في القانون بنوع من الحصانة، ساعدت في وصولها إلى عهد الطباعة، وهي في حالة حسنة. ولم تحظ بمثل ذلك المؤلفات التي لم يكتب لها أن تدخل في القانون. فإذا حظي بعضها

(كالديداكي أو رسالة برنابا) بتقدير جميع الكنائس، فحفِظَ في حالةٍ حسنة، مع أنه لم يدخل إلى القانون. فإنّ بعضها الآخر لم يتحل بتلك الصفات، نحي تنحية أشد عن الاستعمال الكنسي، فأصبح عرضةً للضياع، الأمر الذي يبين لماذا لم يبق منـه سوى آثار قليلة).

يتبين لنا من خلال ما نقلناه عن مقدمة الكتاب المقدس، أنّ الأب "مرقيـون الهرطوقي" الذي تواجد بعد المسيح بـ(١٦٠) عاماً، هو الذي حول مجرى الاتجاه الكنسي من الأخذ بتعاليم التوارة، والالتفات إلى مضامين روايات الأناجيل الأربعة المعاصرة وهي (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وهجر بقية الروايات الإنجيليـة الـتي كانت متداولة في تلك الفترة من الزمان كأناجيل (الديداكي وبرنابا). فقد كان في عصر (مرقيون الهرطوقي) مؤلّفات إنجيلية كثيرة، كتبها رجـالٌ كـثيرون، علـى حسب ما أشار إلى ذلك مؤلف إنجيل لوقا التي نقلناها من قبل، والتي ورد فيها: (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المُتيقّنة عندنا، كما سـلمها إلينـا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة. رأيت أنا أيضاً، إذ قد تتبعت كـلّ شيء منذ الأول بتدقيق أن أكتب...الخ).

أي أنه لم يكن قبل (مرقيون الهرطوقي) للعهد الجديد الذي يقدسه مسيحيوا عصرنا، والذي يحتوي على الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنـا) مـن وجودٍ مقدس ملزم قبله. فبهذه الحقيقة، نجيب على السؤال الثاني المطروح، وهـو: متى ظهرت الأناجيل الأربعة بصفتها المقدسة والإلزامية المعروفة اليوم؟ أما لماذا ألغى (مرقيون الهرطوقي) بقية القصص الإنجيلية التي ضاعت على مـر الأيـام. ومـاذا احتوت تلك الأناجيل؟ فهو سؤالٌ عريض هام لا نجد له جواباً والذي أراه علـى سبيل الظن ليس إلاّ، هو أنّ رسائل بولس الرسول كانت سائدة ومتداولـة منـذ البدء. فلربما عمد (مرقيون الهرطوقي) عام (١٦٠م) إلى نبذ كلّ إنجيـل خالفـت نصوصه رسائل بولس الذي سبق أن قلت أنه كان من ألد أعداء المسيح في حياته،

ولم يصاحبه في يوم من الأيام، واستقى معلومات رسائله من السماع والروايـات الشفهية، إلى جانب ما أضافه هو من أمور وعقيدة لأمرٍ في نفس يعقوب. وهـذا موضوع لا يناسب الخوض فيه في هذا المقام.

ويواجهنا سؤالٌ ثالث وهو أنّ من حق المرء أن يتساءل عن اللغة التي كُتبـت ا مختلف الروايات الإنجيلية. وهل أنّ هذه الأناجيل التي كانت مخطوطـة بقلـم أصحا ا ومؤلفيها، والتي كان الناس يستنسخو ا جيلاً بعد جيل إلى أن أتى عصر الطباعة بعد ألف وأربعمائة سنة من تأليف تلك الروايات الإنجيلية، فهل وصـلت تلك الروايات الإنجيلية الأربعة التي أقرها "مرقيون الهرطوقي" سالمة من أي تحريف أو تبديل حتى بداية عصر الطباعة؟

إننا نجد جواب هذا السؤال في مقدمة آخر طبعة للكتاب المقدس المذكور فقد ورد هناك (وجميع أسفار العهد الجديد، من غير أن يستثنى واحداً منـها، كُتِـب باليونانية. وهناك أكثر من خمسة آلاف كتاب خطّ ذه اللغة. أقدمها كُتب على أوراق البردي، وكُتِب سائرها على الرق. وليس لدينا على البردي سوى أجزاء من العهد الجديد بعضها صغير. وأقدم الكتب الخط التي تحتوي معظم العهد الجديد، أو نصه الكامل، كتابان مقدسان على الرق، يعودان إلى القرن الرابع، وأجلهما (ا لّد الفاتيكاني)، الذي سمي كذلك لأنه محفوظٌ في مكتبة الفاتيكان. وهذا المخطـوط مجهول المصدر وقد أصيب بأضرار لسوء حظّه. ولكنه يحتوي العهد الجديد)[١].

وكذلك ورد في مقدمة الكتاب المقدس نفسه: (فإنّ نص العهد الجديد، قـد نسخ، ثم نسخ طوال قرونٍ كثيرة، بيد نساخ، صلاحهم للعمل متفاوت. وما مـن واحدٍ منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتـصف أي نـسخة كانت مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي أُخذت عنه. يضاف إلى ذلك أنّ بعض النساخ حاولوا أحياناً عن حسن نية، أن يصوبوا مـا جـاء في

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩- الصفحة (١٢).

مثالهم، وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة، أو قلّة دقّة من التعبير اللاهوتي. وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلّها خاطئة. ومن الواضح أنّ ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون، وتراكم بعضه على بعضه الآخر. فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة، مثقلاً بمختلف ألوان التبديل، ظهرت في عددٍ كبيرٍ من القراءات).

يتبين لنا مما أفاده هذا النص أنّ الأناجيل الأربعة لم يدو ا باللّغة العبرية التي هي لغة المسيح الناصري. بل كتبوها باللغة اليونانية، الأمر الذي يؤكّد أنّ متى ويوحنا لم يكونا من تلاميذ المسيح قط، وإلاّ لكانا كتبا هذين الإنجيلين المُسميين باسميهما باللغة العبرية.

كما يوضح لنا هذا النص المُقتبس من مقدمة الكتاب المقدس، أنّ هذه الأناجيل الأربعة، التي تشكّل في عصرنا العهد الجديد، قد وصلت إلى عهد الطباعة محرفة غير سالمة من تدخل شخصيات الذين قاموا بنسخها، ونسخها حتى وصلت إلى عهد الطباعة.

كما يتبين لنا من خلال هذا النص المقتبس أنّ نسخ الأناجيل لم يكن يتم على أيدي رجال مختصين وموثوقين ومعصومين. لذلك عادت هذه الأناجيل التي بلغت عصر الطباعة بحاجة إلى إعادة التدقيق فيها، وبأسلوب النقد العلمي للنصوص.

فعندما يبلغ القارئ هذا الحد من العلم، يتساءل بالبداهة: وهل أخذت الكنائس بعلم نقد النصوص العلمي المذكور لنقد هذه الأناجيل التي هي بين أيديهم في هذا الزمان؟

ونستلهم الإجابة على هذا السؤال من مقدمة الكتاب المقدس المذكور. حيث ورد فيه قول منظّمة: (والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص، هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة، لكي يقيم نصاً يكون أقرب ما يمكن من الأصل

الأول. ولا يرجى في حالٍ من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه)[1]. ويضيفون قولهم: (هذا العمل لم يكتمل إلى هذا اليوم ولكنه بلغ مبلغاً عظيماً)[2].

ويلفت أنظارنا هؤلاء لأخذ فكرة وجيزة عما أنجزه القائمون بنقد النصوص الإنجيلية الموروثة، فينبهون إلى أنّ هؤلاء النقّاد صنفوا هذه المخطوطات التي بين أيديهم إلى أصناف. النص الأول (نص يقال له الأنطاكي أو السوري، بالنظر إلى أصله الذي ينسب على وجه العموم إلى أنطاكية في نحو (٣٠٠م) ..) والنص الثاني (يقال له الغربي فقد اتضح أنّ هذه التسمية ترجع إلى القرن الثامن عشر هي تسمية غير صحيحة. لأنّ هذا النص الغربي هو الصيغة الأقدم والأعم للعهد الجديد في كثير من الأمور. ولا يقتصر الأمر على الفصائل الكبرى للكتب المخطوطة، فهناك صيغ وسط بين هذه الأمثلة المذكورة، ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك).

ويضيف واضعو مقدمة الكتاب المقدس قائلين: (وهذا النقد الأول يقال له النقد الخارجي، وهو غير كافٍ. فكثيراً ما يؤول هذا النقد إلى الوقوف على فقرة لها في القرن الثاني أو الثالث روايتان انتشرتا قليلاً أو كثيراً. ومن العسير اختيار إحداهما، فلا بد من اللجوء إلى النقد الباطني. وهدف أصحاب النقد الباطني أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ، والأسباب التي دعته إلى هذا التدخل. وجرت العادة ألاّ يستعمل هذا النقد إلاّ وسيلة متممة للنقد الخارجي)[3].

ويضيف هؤلاء قولهم: (إنّ الطبعة الأكثر انتشاراً في أيامنا، هي طبعة "نستلي- ألاند". وأنّ العهد الجديد اليوناني الذي نشرته جمعيات الكتاب المقدس. بذل الجهد فيه لإدخال زيادة من التحسين على ذلك النص)[4]. يتبين لنا من

([1]) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩- الصفحة (١٣).
([2]) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩- الصفحة (١٤).
([3]) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩- الصفحة (١٥).
([4]) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩- الصفحة (١٥).

المقدمة المذكورة[1] أنّ الكنائس تعترف بأنّ العهد الجديد، بحالته الحالية، لا يـزال قابلاً للأخذ والرد لكثرة ما أدخله نساخه عليه، قبل بدء عهد الطباعة من زيادات وتصحيحات وبنية حسنة طوال أربعة عشر قرناً مضت. كما يتبين أنّ علماء النقد الكنسيون صنفوا ما بين أيديهم من مخطوطات، إلى أصناف. ويقدمون ثمار نقدهم من حين إلى آخر وفقاً للنتائج التي يحصلون عليها بالأسـلوب النقـدي، لهـذه النصوص الموروثة والمُتقلة "بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت لهم في عدد كبير من القراءات" ويقومون بمهمة النقد هذه، وإن كانوا لا يرجون الوصول إلى الأصـل الأول نفسه. هذا وإنّ عملية النقد لهذه النصوص لا تزال جارية حتى يومنا هـذا، على اعتبار أنها لم تكتمل حتى اليوم، بالرغم من أنها بلغت مبلغاً عظيماً.

ويتبين لنا أنّ هناك فرعين لهذا النقد الذي يقومون به: الأول نقد خـارجي، والآخر نقد باطني يكمل النقد الخارجي. والقصد من هذين النوعين من النقد هـو أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ، والأسباب التي دعته إلى ذلك التدخل.

ألا إنّ هذه الحقائق التي اعترف ا الذين دونوا مقدمة آخر طبعـة للكتـاب المقدس، تؤكّد بمجموعها صدق وصحة ما أشار إليه القرآن الكريم من أنه ينبغـي إعادة النظر فيما احتوته هذه الأناجيل ومن منطلق أن يكـون التعلـيم القـرآني (مهيمناً) على هذه الأناجيل وما احتوته من معلومات. فالقرآن مهيمن بمعنى حافظٌ ورقيب. ولا تكتمل عملية نقد النصوص الإنجيلية إلاّ من هذا المِنظار. ومن خـلال ما قدمه هذا الكتاب السماوي الأخير من توجيهاتٍ وطروحات، طرحهـا عـالِم الغيب والشهادة العزيز الحكيم. وإلاّ فإنّ عملية نقد النصوص الـتي يقـوم ـا المسيحيون أنفسهم، نطاق عملها محدود النتائج، ولا توصل إلى اكتشاف الإنجيـل

[1] مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩.

الأصل والوقائع الحقيقية التي جرت وعرضت لشخص المسيح الناصري عليه السلام.

وها أنّ الطرح الذي طرحه الله عز وجلّ من خلال قوله ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۞ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[1] هذا الطرح القرآني الذي سبق أن وضحت مفهومه يصحح سوء الفهم الذي وقع فيه أهل الكتاب يهوداً كانوا أم نصارى، حول حادثة صلب المسيح عليه السلام.

وها أني أثبت صحة هذا الطرح القرآني من نصوص الأناجيل المُعاصرة نفسها التي وصلت إلى عصر الطباعة مثقلة بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت للمسيحيين أنفسهم في عدد كبير من القراءات على حسب ما يعترفون به في مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م، فإذا ما أتيت على إثبات ذلك، يتضح معنى قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ففي ألفاظ هذه الآية الكريمة حث للمسيحيين على نقد نصوص الأناجيل التي وصلت إلى أيديهم من زاوية هذا الطرح القرآني. فهو طرح طرحه الله عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

---

(1) سورة النساء- الآيات (١٥٦-١٥٨).

فهيا معاً إلى الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) نستكشف منها صحة هذا الطرح القرآني وهو أن المسيح الناصري لم يمت على الصليب، ولم يفلح اليهود في إثبات كذبه، بل نزل من على الصليب حياً، وظهر لتلاميذه بنفس شخصيته السابقة وراح يكمل مهمته وهي تبشير بقية أسباط إسرائيل التي كانت يومئذٍ لا تزال في الشتات خارج فلسطين ولم يسمح لها بالعودة إلى فلسطين بعد سبي بختنصر المشهور.

٢- نبوءة واقعة الصليب:

سبق أن أوضحت في الفصل السابق وجود لجان مختصة بنقد النصوص الإنجيلية في العالم المسيحي مهمتها تعديل كلّ فقرة إنجيلية على ضوء حصيلة أبحاثها، إعداداً للكتاب المقدس للطبعات الجديدة. وعلى اعتبار أنّ مهمة هذه اللجان تدخل في باب النقد الذاتي للأناجيل.

ولا شك أنّ هذا شأن داخلي بالنسبة لهم، ولا شأن لي بالتدخل فيه، لكن هذا لا يمنع أن نضع هذه اللجان تجاه القرآن الكريم لعلّ هذا الطرح يفيدنا في النظر إلى المواضيع الإنجيلية من زاوية نظرٍ جديدة مفيدة لهم في مضمار عملية نقدهم الذاتي للأناجيل. وما كتابي هذا، وما أوردته فيه من معلومات إلاّ مجرد محاولة جادة على هذا الطريق.

أتناول شخصية المسيح الناصري، كشخصية روحية ورسول، فهو ولا شك يقع تحركه ضمن العناية الإلهية. فلا يعقل أن يتعرض في حياته إلى محنٍ كبيرة، ولا يكون الله عز وجلّ قد أطلعه سلفاً عما سيعرض له ويهيئ له أسباب نجاته والمحافظة عليه لإتمام رسالته. وانطلقت من زاوية النظر هذه أبحث عما تنبأ به المسيح الناصري عن واقعة الصلب التي تعرض لها في حياته. لعلّ مثل هذه النبوءات تعين الباحث و ديه سبيل ما حدث يوم الواقعة.

والذي لاحظته هو أنّ المسيح تنبأ حقّاً عما سيعرض له. وأنّ جميع الذين كتبوا هذه الأناجيل، انتبهوا إلى هذه النبوءة وإلى علاقتها بحادثة صلب المسيح الناصري. وصرحوا بما فهموه في مناسبات عديدة أيضاً. أي أنّ جميع كنائس العالم المسيحي تسلّم ذه الحقيقة وتنظر إليها من منظار أصحاب الأناجيل أنفسهم دون زيادة أو نقصان أو إعادة نظر وتدقيق فيما أوردوه في هذه الأناجيل.

فما هي تلك النبوءة؟ وما هو مدى صحة ما فهمه منها الرجال الذين كتبوا هذه الأناجيل؟ وهذا السؤال الجوهري دفعني إلى إعادة النظر في ذلك كباحث

محايد ومن المنطلق الروحي. وسأعرض للقارئ الكريم جميع مـا أورده أصـحاب الأناجيل لأضعه في الصورة الحقيقية إلى جانب أني سألفت نظر القارئ إلى النقاط التي انتبهت إليها، ولم ينتبه إليها أحد من هؤلاء.

٢-١- النبوءة في إنجيل متى:

هذه النبوءة المتعلقة بحادثة صلب المسيح الناصري أوردها إنجيل متى من خلال قوله: (ود الفريسيون والصدقيون يريدون أن يحرجوه، فسألوه أن يريهم آية مـن السماء- والمقصود أن يمنح الله المسيح آية تأتي من السماء تأييداً له في نظر شعبه- فأجا م: عند الغروب تقولون صحو، لأن السماء حمراء كالنار. وعند الفجر: اليوم مطر، لأنّ السماء حمراء مغبرة. فمنظر السماء تحسنون تفـسيره، وأمـا آيـات الأوقات- ويشير بذلك إلى علامات زمن بعثته- فلا تستطيعون لها تفسيراً. جيـلٌ فاسق يطلب آية، ولن تعطى له سوى آية يونان. ثم تركهم ومضى)[١].

ويتساءل القارئ ومن هو يونان المذكور في النبوءة؟ أقول: إنه يونس عليـه السلام والوارد ذكره في القرآن الكريم. ويونان ذكرته التوراة المعاصرة ضمن سفرٍ ورد باسمه وهو سفر يونان. والكنائس ربطت موضوعياً ما بين ما ورد في سـفر يونان وما بين مضمون هذه النبوءة. ففي العهد الجديد المطبوع في بـيروت عـام ١٩٨٩م، ورد تحت عنوان (سفر يونان في الإنجيل) قولهم: (يتكلّم يـسوع علـى يونان... أمام الذين لم يكونوا يصدقونه، والذين كانوا يطلبون منـه المعجـزات والخوارق. أجاب يسوع بالرفض، واستشهد بآية يونان....).

ففي سفر يونان ورد حرفياً: (فأعد الرب حوتاً عظيماً لابتلاع يونان، فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالي. فصلّى يونان إلى الرب إلهـه مـن جوف الحوت... فأمر الرب الحوت، فقذف يونان إلى اليابسة...).

---

(١) إنجيل متّى- الإصحاح (٤/١٦).

إنّ يونان المذكور، أورد القرآن الكريم ذكره من خلال قوله: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[1].

والسؤال الذي يواجه الباحث هو: أين سيكون وجه الشبه بين حادثة يونـان وبين حادثة الصلب التي سيتعرض لها المسيح في حياته؟ فهل سيكون وجه الشبه في ناحية الدخول والخروج؟ أم في المدة الزمنية التي يمكثها المسيح في قبره؟ أم الناحيتين معاً؟ ذلك أنّ واقعة يونان ذات شقّين وليس شقّاً واحداً. ثمّ ما هو رأي صـاحب إنجيل متى في هذا الموضوع؟

وتابعت ما يفصح عن وجهة نظر متى في إنجيله. فهو يقول: (حينئذٍ أجـاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلّم نريد أن نرى منك آية. فأجا م وقال لهم: جيلٌ شرير فاسق يلتمس آية، ولن يعطى سوى آية النبي يونان. فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، فكذلك يبقى ابن الإنسان في جـوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال...)[2].

وهذا النص يطرحه متى على لسان المسيح نفسه كما لاحظنا بما يصرح به في النص السابق الذي أوردناه. يصرح أنّ وجه الشبه ما بين واقعة يونـان وواقعـة الصليب متحدد في المُدة الزمنية التي سيمكثها المسيح في قبره، وليس في حالة دخوله وخروجه منه. بمعنى أنّ متى يوجهنا لفهم وجه الشبه ما بين الواقعتين وجهةً معينة ومحددة.

وألبس متى نصاً آخر لباس وجهة نظره هذه. حيث أورد على لسان المسيح قوله: (ثمّ أوصى تلاميذه بألاّ يخبروا أحداً بأنه المسيح. وبدأ المسيح من ذلك الحين

---

(1) سورة الصافّات- الآية (١٤٢).

(2) إنجيل متّى- الإصحاح (٣٨/١٢).

يظهر لتلاميذه أنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم ويعاني آلاماً شديدة من الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة ويقتل ويقوم في اليوم الثالث)[1].

وكرر متى ذلك حينما قال: (وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع: إن ابن الإنسان سيسلّم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم. فحزنوا حزناً شديداً)[2].

وكرر متى ذلك أيضاً وبألفاظٍ قريبة من ألفاظ النص السابق: (... ويسلّمونه إلى الأمم لكي يهزؤوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم)[3].

فمن خلال هذه النصوص التي أوردناها تتبين وجهة نظر كاتب إنجيل متى. فقد كان يعتقد أنّ وجه الشبه ما بين واقعة يونان وواقعة المسيح هو في المدة الزمنية التي يمكثها المسيح في قبره، وليس في دخوله فيه وخروجه منه حياً.

وتتابع مجريات الأحداث على حسب ما أورده إنجيل متى. فإن ثبت منها أنّ المسيح الناصري بقي في القبر الذي وضعوه فيه مدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، فقد صدقت وجهة نظره. وإلاّ يكون قد أخطأ الرأي وجر قُراء إنجيله إلى الخطأ فيما اعتقدوه.

فإنجيل متى يروي في إنجيله قوله: (وجاء عند المساء رجلٌ غني من الرامة اسمه يوسف، وكان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع. فذهب إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع. فأمر بيلاطس بأن يسلّم إليه.

فأخذ يوسف الجثمان، ولفّه في كتان خالص ووضعه في قبر له جديد كان قد حفر في الصخر، ثمّ دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف... وفي الغد أي

---

(1) متّى الإصحاح (٢٠/١٦).

(2) إنجيل متّى- الإصحاح (٢٢/١٧).

(3) إنجيل متّى- الإصحاح (١٩/٢٠).

بعد يوم التهنئة للسبت[1] ذهب عظماء الكهنة والفريسيون معاً إلى بيلاطس وقالوا له: يا سيد تذكرنا أنّ ذاك المُضلّل قال، إذ كان حياً: سأقوم بعد ثلاثة أيام. فمـر بأن يحفظ القبر إلى اليوم الثالث، لئلاّ يأتي تلاميذه فيسرقوه ويقولوا للشعب: قـام من بين الأموات. فيكون التضليل الآخر أسوأ من الأول. فقال لهـم بـيلاطس: عندكم حرس، فاذهبوا واحفظوه كما ترون. فذهبوا وحفظوا القبر، فختموا الحجر وأقاموا عليه حرساً. ولمّا انقضى السبت وطلع فجر يوم الأحد، جاءت مريم ا لمجدلية ومريم الأخرى تنظران القبر، فإذا زلزال شديد قد حدث. ذلك بأنّ ملاك الرب قد نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه، وكان منظـره كـالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فارتعد الحرس خوفاً منه وصاروا كالأموات. فقال المـلاك للمرأتين: لا تخافا أنتما، أنا أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، إنه ليس ههنـا، فقد قام كما قال. تعاليا فانظرا الموقع الذي كان قد وضِع فيه. وأسرعا في الذهاب إلى تلاميذه وقولا لهم: إنه قام من بين الأموات، وها هو ذا يتقدمكم إلى الجليـل، فهناك ترونه، ها إني قد بلغتكما)[2].

والذي يدقّق هذا النص يعلم أنّ المسيح دِفن مساء يوم الجمعة عنـد غيـاب الشمس. أي وقت انتهاء يوم الجمعة وابتداء ليلة السبت. على اعتبار أنّ اليوم في زمن المسيح كان يبدأ من غياب شمس اليوم الذي قبله. كما يعلم أنّ فجـر يـوم الأحد لم يكن للمسيح فيه في قبره من وجود. وبعملية حسابية صـغيرة يتبـين أنّ المدة ما بين مساء الجمعة وما بين فجر يوم الأحد لا تتجاوز نهاراً وليلتين. فـأين هذه المدة من مدة ثلاثة أيام وثلاث ليال التي مكثها يونان في بطن الحوت، والـتي اعتبرها إنجيل متى وجه التشابه ما بين واقعتي يونان والمسيح؟

---

(١) يوم التهنئة: كانت هذه الكلمة تُطلق على يوم الجمعة، وفيه كان اليهود يهيئون للاحتفال يوم السبت (الكتاب المقدس حاشية ٣٤).

(٢) إنجيل متّى- الإصحاح (٥٧/٢٧).

أقول: لقد حاول بعض المتعاطفين مع رأي إنجيل متى وسواه أن يضيفوا إلى هذه المدة، أكثر مما هي. فذهب الأب "روجي" إلى أنه استنتج من هذا النص أنّ المسيح لم يبق في القبر إلاّ ثلاثة أيام وليلتين مضيفاً قوله: (التعبير جامد ولا يدلّ على شيءٍ آخر إلاّ ثلاثة أيام). ثمّ إنّ المُعلّقين على الأناجيل يسكتون في غالب الأحيان أمام هذا الحدث على حسب ما يقوله "موريس بوكاي" في كتابه (دراسة الكتب المقدسة).

وأقول: ما دامت وقائع أحداث واقعة الصليب لم يثبت منها بقاء المسيح في قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال. فقد ثبت من ذلك خطأ وجهة نظر كاتب إنجيل متى يقيناً. وهذا الأمر يدفع الباحث ليأخذ بالشق الأول من واقعة يونان وليس بشقّها الثاني. أي لا بد أن يكون المراد من النبوءة مشابهة حادثة صلب المسيح من حيث دخول يونان بطن الحوت حياً وخروجه منه حياً. إشارة إلى أنّ المسيح الناصري لن يتمكّن اليهود من إماتته على خشبة الصليب. بل سيدبر الله الذي أرسله أسباب بقائه حياً وأسباب إنزاله عنه حياً، خلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدني.

٢-٢- النبوءة في إنجيل مرقس:

وعدت إلى إنجيل مرقس أتفحصه، لعلّي أعثر فيه على نص مثيل للنبوءة المتعلّقة بحادثة صلب المسيح. والذي لاحظته هو أنّ مرقس لم يورد نص هذه النبوءة في إنجيله. وهو على العكس من ذلك أورد قوله: (فأقبل الفريسون وأخذوا يجادلونه، فطلبوا آيةً من السماء ليحرجوه- أي ليمتحنوه بسوء نية- فتنهد من أعماق نفسه وقال: ما بال هذا الجيل يطلب آية. ثمّ تركهم وعاد إلى السفينة، فركبها وانصرف إلى الشاطئ المقابل)[1].

---

(١) إنجيل مرقس- الإصحاح الثامن (١١/٨).

وعلى سبيل المثال أورد مرقس في إنجيله قوله: (وبينما هم نازلون من الجبل، أوصاهم ألاّ يخبروا أحداً بما رأوا، إلاّ متى قام ابن الإنسان من بين الأموات؟)[1].

وكذلك أورد نصاً آخر حيث قال: (.. كان يعلّم تلاميذه فيقول لهم: إنّ ابن الإنسان سيسلّم إلى أيدي الناس، فيقتلونه، وبعد قتله بثلاثة أيام يقوم. فلم يفهموا هذا الكلام وخافوا إن يسألوه)[2].

إنّ هذا الاختلاف الملاحظ ما بين المعلومات التي يقدمها إنجيل متى وإنجيل مرقس حول ذكر نبوءة واقعة الصليب، يدفع الباحث لينظر في مكانة هذا الإنجيل وزمن كتابته وبأقلام رجال الكنيسة أنفسهم.

وبالعودة إلى مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م، وجدهم يقولون بشأن هذا الإنجيل: (ويقدر أنّ هذا الكتاب- أي إنجيل مرقس- موجه إلى غير اليهود في خارج فلسطين، لِما يظهر فيه من الاهتمام بشرح العادات اليهودية (٣/٧-٤و١٢/١٤و٤٢/١٥) وترجمة الألفاظ الآرامية، والتشديد على أهمية الإنجيل للوثنيين (٢٧/٧و١٢/١٠و١٧/١١و١٠/١٣) أما الإلحاح في ضرورة اتباع يسوع وحمل الصليب، فذلك أمر كان موافقاً موافقة خاصة لحاضر جماعةٍ يهزها اضطهاد نيرون. ولمّا كان مرقس ينبئ بخراب الهيكل، من غير أن يلمح تلميحاً واضحاً إلى النحو الذي جرت عليه الأحداث، فما من شيء يحول دون القول أنّ الإنجيل الثاني أُلف بين السنة (٦٥) والسنة (٧٠). أما صلة الكتاب بتعليم بطرس فهي أمر عسير التحديد... وهناك سؤال لم يلق جواباً: كيف كانت خاتمة الكتاب؟ من المُسلّم به على العموم أنّ الخاتمة كما هي الآن (٩/٦-٢٠) قد أضيفت لتخفيف ما في نهاية كتاب مرقس من توقّف فجائي في الآية (٨). ولكننا

---

(١) إنجيل مرقس- الإصحاح التاسع (٩/٩).

(٢) إنجيل مرقس- الإصحاح (٣٠/٩).

لن نعرف أبداً هل فُقدت خاتمة الكتاب الأصلية، أم هل رأى مرقس أنّ الإشارة إلى الترائيات في الجليل في الآية لا تكفي لاختتام روايته؟..)[1].

وما دام هؤلاء النقّاد المسيحيون قد اعترفوا بنقائص إنجيل مرقس. فإننا نتجاوز عن اختلافه مع إنجيل متى في معلوماته. ونتابع ما أورده مرقس بشأن ما حدث للمسيح بعد إدخاله إلى القبر. وننظر: هل بقي في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال يا ترى؟

ونلاحظ أنّ كاتب إنجيل مرقس راح يروي في إنجيله ويقول: (وكان المساء قد أقبل، ولمّا كان ذلك اليوم يوم التهيئة، الذي كان قبل السبت، جاء يوسف الرامي، وهو عضو وجيه في المجلس، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله، فحملته الجرأة على أن يدخل إلى بيلاطس ويطلب جثمان يسوع. فتعجب بيلاطس أن يكون قد مات. فدعا قائد المائة وسأله: هل مات منذ وقتٍ طويلٍ؟ فلما تحقّق الخبر من القائد سمح بالجثّة ليوسف. فاشترى يوسف كتاناً، ثمّ أنزل يسوع عن الصليب، فلفّه في الكتان ووضعه في قبرٍ حفر في الصخر، ثمّ دحرج حجراً على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسف تنظران أين وضع. ولمّا انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة طيباً ليأتين فيطيبنه. وعند فجر الأحد جئن إلى القبر وقد طلعت الشمس. وكان يقول بعضهن لبعض: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فنظرن فرأين حلّة بيضاء، فارتعبن. فقال لهن: لا ترتعبن، أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. إنه قام وليس ههنا، وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه. فاذهبن وقُلن لتلاميذه وبطرس: إنه يتقدمكم إلى الجليل وهناك ترونه كما قال لكم. فخرجن من القبر وهربن لِما أخذهن من الرهبة والدهش، ولم يقلن لأحدٍ شيئاً لأنهن كن خائفات)[2].

---

(1) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م- الصفحة (١٢٤).

(2) إنجيل مرقس- الإصحاح (٤٢/١٥).

ومن خلال تدقيقنا لهذا النص تبين أنّ المسيح الناصري دفن مساء يوم الجمعة عندما حلّ المساء، وأنهم افتقدوه فجر الأحد ولم يجدوه في قبره. وإنّ المدة ما بين يوم الجمعة وفجر يوم الأحد لا تتجاوز نهاراً وليلتين. بمعنى أنه لا يثبت من إنجيل مرقس بقاء المسيح في قبره مدة ثلاثة أيام وثلاث ليال. على نمط ما أفاده إنجيل متى في هذا المجال. وتؤكّد هذه النتيجة المُستقاة من إنجيل مرقس أنه لم يكن المقصود من نبوءة واقعة الصلب التشابه مع واقعة يونان في المدة الزمنية التي مكثها يونان في بطن الحوت. بل قُصد بها تشابه الواقعتين في أمر دخول يونان بطن الحوت حياً وخروجه منه حياً. إشارة إلى أنّ الله تعالى سيحفظ المسيح الناصري فلا يدعه يموت على خشبة الصليب. وذلك بتهيئة أسباب ووسائل نجاته، وخلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدنيء.

٢-٣- النبوءة في إنجيل لوقا:

وعدت إلى إنجيل لوقا أتفحصه ومتقصياً وجود نص النبوءة التي أوردها إنجيل متى والمتعلّقة بواقعة الصليب. فتبين لي أنّ لوقا ذكر هذه النبوءة حيث قال: (واحتشدت الجموع فأخذ- يسوع- يقول: إنّ هذا الجيل جيلٌ فاسد يطلب آية، ولن يعطى سوى آية يونان. فكما كان يونان آيةً لأهل نينوى، فكذلك يكون ابن الإنسان آية لهذا الجيل)[1] وهذا النص، وإن اختلف نوعاً ما مع نص إنجيل متى في بعض التفاصيل، إلاّ أنه اتفق معه في جوهر محتواه. وبألفاظ أخرى نقول أنّ إنجيلي متى ولوقا اتفقا على وجود نبوءة متعلّقة بحادثة صلب المسيح الناصري.

والسؤال الآن: هل اتفقت وجهة نظر لوقا مع وجهة نظر متى في تفسيرهما لنقطة الشبه بين واقعتي يونان والمسيح؟

وتابعت ما يفصح عن وجهة نظر لوقا في هذه الناحية. فلاحظت أنه اتفق معه فيها أيضاً. فقد كتب يقول: (وقال- أي يسوع- يجب على ابن الإنسان أن يعاني

---

(١) إنجيل لوقا- الإصحاح (٢٩/١١).

آلاماً شديدة، وأنْ يرذله الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، وأن يقتل ويقوم في اليوم الثالث)[1].

كذلك كتب يقول: (ومضى- أي يسوع- بالاثني عشر فقال لهم: ها نحن صاعدون إلى أورشليم، فيتم جميع ما كتب الأنبياء في شأن ابن الإنسان، فيسل إلى الوثنيين، فيسخرون منه ويشتمونه ويبصقون عليه، ويجلدونه فيقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم. فلم يفهموا شيئاً من ذلك وكان هذا الكلام مغلقاً عليهم، فلم يدركوا ما قيل)[2].

من هذه النصوص، يتبين لنا أنّ لوقا يلبس وجهة نظره مضامينها. على شاكلة ما فعله متى في إنجيله. ووجهة نظره هي أنّ وجه الشبه بين واقعتي يونان والمسيح يتحقّق في المدة الزمنية التي مكثها يونان في بطن الحوت، وليس شيئاً آخر. لذلك أجد نفسي مضطراً لمتابعة مجريات أحداث واقعة الصلب كما أوردها إنجيل لوقا، لأتبين مدى صحة وجهة نظر لوقا، ومن ألفاظ إنجيله، وليس من خارجه.

ذكر كاتب إنجيل لوقا، يصف لنا مجريات ما حدث بعد حادثة الصلب، فقال: (وجاء رجلٌ اسمه يوسف، وهو عضو في المجلس، وامرؤ صالح بار، لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم، وكان من الرامة وهي مدينةٌ لليهود، وكان ينتظر ملكوت الله، فقصد إلى بيلاطس وطلب جثمان يسوع. ثم أنزله عن الصليب ولفّه في كتان ووضعه في قبرٍ حفر في الصخر، لم يكن قد وضع فيه أحد. وكان اليوم يوم التهيئة، وقد بدت أضواء السبت. وكان النسوة اللواتي جئن من الجليل مع يسوع، يتبعن يوسف، فأبصرن القبر وكيف وضع فيه جثمانه. ثمّ رجعن وأعددن طيباً وحنوطاً، واسترحن راحة السبت على ما تقضي به الوصية (٥٠/٢٣) وعند فجر يوم الأحد جئن إلى القبر، وهن يحملن الطيب الذي أعددنه.

---

(١) إنجيل لوقا- الإصحاح (٢٢/٩).

(٢) إنجيل لوقا- الإصحاح (٣١/١٨).

فوجدن الحجر قد دحرج عن القبر. فدخلن، فلم يجدن جثمان الرب يسوع. وبينما هن في حيرة من ذلك، إذ حضرهن رجلان عليهما ثياب براقة، فخفن، ونكسن وجوههن نحو الأرض، فقالا لهن: لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات؟ إنه ليس ههنا، بل قام. اذكرن كيف كلّمكن إذ كان لا يزال في الجليل. فقال: يجب على ابن الإنسان أن يسلم إلى أيدي الخاطئين، ويصلب ويقوم في اليوم الثالث. فذكرن كلامه، ورجعن من القبر، فأخبرن الأحد عشر والآخرين جميعاً بهذه الأمور كلّها، وهن مريم المجدلية وحنة ومريم أم يعقوب، وسائر النسوة اللواتي معهن أخبرت الرسل بتلك الأمور. فبدت لهم هذه الأموال أشبه بالهذيان، ولم يصدقوهن. غير أنّ بطرس قام فأسرع إلى القبر وانحنى، فلم ير إلاّ اللفائف، فانصرف إلى بيته متعجباً مما جرى)[1].

وهذا النص يثبت أنّ المسيح لم يبق في قبره أكثر من يوم ونصف. فأين هذه المدة مما ورد في النص يقول: (ويصلب ويقوم في اليوم الثالث)؟

أقول: ما دامت وقائع هذا النص لم يثبت منها بقاء المسيح في قبره ثلاثة أيامٍ كاملة. فقد ثبت منه خطأ وجهة نظر كاتب إنجيل لوقا أيضاً يقينياً. وهذا الأمر يؤكّد أنّ المقصود من نبوءة واقعة الصليب، لم تكن المدة التي مكثها يونان في بطن الحوت، بل دخول يونان بطن الحوت حياً، وخروجه منه حياً وسالماً ليس إلاّ. وهذه إشارة من هذه النبوءة إلى أنّ المسيح الناصري لن يتمكّن اليهود من إماتته على خشبة الصليب. بل سيدبر الله الذي أرسله أسباب نجاته وبقائه حياً لم يمسسه سوء، وخلافاً لمشيئة اليهود ومقصدهم الدنيء.

فإذا راجعنا ما أورده نقّاد الأناجيل المسيحيون على حسب ما ورد في مقدمة إنجيل لوقا وجدناهم يقولون: (ويبدو أيضاً أنّ المؤلّف نفسه ينتمي إلى العالم

---

(1) إنجيل لوقا- الإصحاح (١/٢٤-١٢).

الهلسنتي بلُغته وبعددٍ من الميزات التي سبق ذكرها. وغالباً ما تبين للنقّاد عدم معرفته لجغرافية فلسطين، ولكثيرٍ من عادات هذا البلد)[1].

وقد حاول هؤلاء تحديد زمن كتابة إنجيل لوقا فقالوا: (إنّ النقّاد كـثيراً مـا يعتمدون في تحديد زمن تأليف هذا الكتاب على المكان الـذي يحتلّـه لخـراب أورشليم.. ويبدو أنّ لوقا قد عاصر حصار المدينة وخرا ا، وعرف كيف قامـت ما جيوش طيطس سنة (٧٠). فيكون الإنجيل لاحقاً لهذا التاريخ. فالنقّاد غالباً ما يحددون تأليفه بين السنة ٨٠و٩٠م. ومنهم من يجعلون له تاريخاً أقـدم). لـذلك ومن خلال ما أوردناه، لا نعجب من وقوع اختلافات تفصيلية ما بين إنجيل لوقـا وبين أناجيل متى ومرقس.

٢-٤- النبوءة في إنجيل يوحنا:

وعدت إلى إنجيل يوحنا أتفحصه، لعلّي أعثر فيه على نص مثيل للنبوءة المتعلّقة بحادثة صلب المسيح الناصري. فلم أعثر على شيء من ذلك: لا إشارة ولا تصريحاً. وبذلك أضحى إنجيل يوحنا في هذا ا ال غريباً عن بقية الأناجيل، فما معنى ذلك؟

وراجعت ما كتبه النقّاد المسيحيون حول إنجيل يوحنـا. ولاحظـت قـول "موريس بوكاي": (وإننا لا يجب أن نندهش عندما لا نجد في إنجيل يوحنا كلّ ما تحتوي عليه الروايات الأخرى. والترجمة المسكونية في الصفحة (٢٨٢) تذكر عدداً معيناً من حالاتٍ من هذا النوع)[2].

وراجعت مقدمة إنجيل يوحنا التي احتوى عليها- الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٨٩م- فقد ورد فيها بما يتعلّق بشخصية يوحنا نفسه، قـولهم: (إنّ التقاليد الكنسية تسميه يوحنا من القرن الثاني، وتوحد بينه وبين أحد ابني زبـدي

(١) وردت تحت عنوان "بعض الشواهد على أصل الإنجيل الثالث" الصفحة (١٨٤).

(٢) كتاب درساة الكتب المقدسة لموريس بوكاي- الصفحة (٩٢).

أحد الاثني عشر. هناك جزء من مؤلّف لبابيان مطران هيرابوليس فريجينا، يرقى تاريخه إلى نحو السنة (١٤٠م)..).

كما أوردوا قولهم بحق إنجيل يوحنا: (إن العمل يبدو مع كلّ ذلك ناقصاً. فبعض اللّحمات غير محكمة، وتبدو بعض الفقرات غير متصلة بباقي الكلام (١٣/٣-٢١و٣١-٣٦و١٥/١) يجري كلّ شيء وكأنّ المؤلّف لم يشعر قطّ بأنه وصل إلى النهاية. وفي ذلك تعليلٌ لما في الفقرات من قلّة ترتيب. فمن الراجح أنّ الإنجيل كما هو مبين بين أيدينا، أصدره بعض تلاميذ المؤلّف، فأضافوا عليه الفصل (٢١). ولا شك أنهم أضافوا أيضاً بعض التعليق (مثل ٢/٤ وربما ١/٤و٤٤/٤و٣٩/٧و٢/١١و٣٥/١٩). وأما رواية المرأة الزانية (٥٣/٧-١١/٨) فهناك إجماع على أنها من مرجع مجهول، فأُدخلت في زمنٍ لاحقٍ (وهي مع ذلك جزءٌ من "قانون الكتاب المقدس").

ويتبين لنا من أقوال هؤلاء أنّ إنجيل يوحنا كتبه كاتبه في زمنٍ متأخر عن أزمنة كتابة بقية الأناجيل. وصاغه كاتبه صياغةً "تتفق وتفكيره الشخصي". حتى وتدخل تلاميذه فزادوا على الإنجيل وزادوا عليه أيضاً. لهذا السبب لم ينطلق إنجيل يوحنا من منطلق النبوة المتعلّقة بحادثة صلب المسيح الناصري.

وأنتقل الآن إلى ما أورده إنجيل يوحنا حول مجريات أمور ما بعد تعليق المسيح الناصري على الصليب، لأفهم المدة التي بقي فيها المسيح في بطن القبر. فبهذه المعلومة تفيد عن طريق معرفة وجه الشبه القائم ما بين واقعة يونان وواقعة صلب المسيح.

فقد أورد يوحنا ما يلي: (وبعد ذلك جاء يوسف الرامي، وكان تلميذاً ليسوع، يخفي أمره خوفاً من اليهود. فسأل بيلاطس أن يأخذ جثمان يسوع. فأذن له بيلاطس. فجاء وأخذ جثمانه. وجاء نيقوديموس أيضاً، وهو الذي ذهب إلى يسوع ليلاً من قبل، وكان معه خليطٌ من المر والعود مقداره نحو مائة درهم.

فحملوا جثمان يسوع ولفّوه بلفائف مع الطيب، كما جرت العادة عند اليهود في دفن موتاهم. وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد لم يكن قد وضع فيه أحد. وكان القبر قريباً، فوضعوا فيه يسوع بسبب تهيئة السبت عند اليهود ٣٨/١٩. وفي يوم الأحد جاءت مريم المجدلية إلى القبر عند الفجر، والظلام لم يزل مخيماً. فرأت الحجر قد أُزيل عن القبر. فأسرعت وجاءت إلى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي أحبه يسوع، وقالت لهما: أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه. فخرج بطرس والتلميذ الآخر، وذهبا إلى القبر يسرعان السير معاً. ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس، فوصل قبله إلى القبر، وانحنى، فأبصر اللفائف ممدودة، ولكنه لم يدخل. ثمّ وصل سمعان بطرس وكان يتبعه، فدخل القبر، فأبصر اللفائف ممدودة، والمنديل الذي كان حول رأسه غير ممدود مع اللفائف، بل على شكل طوق خلافاً لها، وكان كلّ ذلك في مكانه. حينئذٍ دخل أيضاً التلميذ الآخر وقد وصل قبله إلى القبر، فرآى وآمن. ذلك أنهما لم يكونا قد فهما ما ورد في الكتاب من أنه يجب أن يقوم من بين الأموات. ثمّ رجع التلميذان إلى بيتيهما)[1].

والذي يتبين من هذا النص هو أنّ المسيح الناصري لم يبق في قبره أكثر من يوم وليلة على أبعد تقدير. الأمر الذي يتفق مع ما استخلصناه من نصوص بقية الأناجيل. وثبت بالتالي أنّ شق المدة الزمنية ثلاثة أيام وثلاث ليال من حادثة يونان لم يكن المقصود بعينه من النبوءة كوجه شبه بينها وبين حادثة صلب المسيح. بل المقصود دخول المسيح قبره حياً وخروجه منه حياً، على شاكلة يونان النبي الذي دخل بطن الحوت حياً وخرج منه حياً وسالماً.

أقول: المعلوم من تاريخ الرسالات السماوية أنّ النبوءات السماوية تكون دوماً مشعل نور يهتدي به المرسلون والمؤمنون. وبما أنّ نبوءة يونان النبي بين أيدي

---

(١)

نقّاد النصوص الإنجيليين. فلا علاقة لها بموت أحدٍ على الإطلاق. بل ببقاء يونـان قبل ابتلاع الحوت له وبعده. وخلال المدة التي بقي فيها في جوف الحوت. فمـن ناحية دوام الحياة هذه تنبع أهمية نبوءة يونان النبي، وليس من شيءٍ آخر. خصوصاً وأنه ثبت من النصوص الإنجيلية أنّ المدة ما بين رؤية المسيح الناصري وهم يدخلونه القبر، وبين إطلالتهم على القبر ثانيةً لم تتجاوز يوماً ونصف. وهي المدة التي بقيها المسيح في القبر بل هي مدة بدايةٍ و ايةٍ لزيارة قبره، وإلاّ فهو لا بد أن يكون قـد غادر قبره خلال ساعات فقط من إدخاله إليه. لأنه كان مخدراً كما سأثبت ذلك من الأناجيل نفسها في الفصول القادمة إنشاء الله العزيز.

وهكذا فإن نبوءة يونان النبي تتوافق مع الطرح القرآني، وتشير إلى أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب. وأنّ اعتقاد اليهود والنصارى موت المسيح علـى الصليب كان ظنياً، وإلاّ فما قتلوه يقيناً، وكان المسيح عليه السلام نبياً صادقاً ومن المُقربين.

٣- واقعة الصلب من الأناجيل:

لقد ثبت لنا في الفصل الثاني أن نبوءة (جيل فاسق شرير يطلب آيـة...الخ) لم يكن المقصود بها حدوث مشابهة بين واقعة يونان النبي وواقعة صلب المسيح الناصري في ناحية المُدة الزمنية التي مكثها يونان في بطن الحوت. بل كان المقصود منها مشابهة المسيح الناصري ليونان النبي من حيث دخوله بطن الحوت وخروجه منه حياً. أي أنّ المسيح الناصري سيدخل القبر الذي وضعوه فيه حياً وسيخرج منه حياً كما دخل.

ثبت لنا ذلك، وهذا الأمر توافق مع الطّرح القرآني الذي نبه إلى نفس هـذه الحقيقة التي أثبتناها. لذلك فإنّ من واجبنا كباحثين أن نعود ندقق تفاصيل حادثـة الصلب من الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وننظر هـل أنّ هـذه الأناجيل قدمت من البراهين ما يكفي للجزم بموت المسيح الناصري على الصليب؟

٣-١- الواقعة في إنجيل متى ٢٧/٢٧:

اعترف المسيحيون في المدخل إلى إنجيل متى أنّ تاريخ كتابته تعود إلى ثمـانين أو تسعين عاماً بعد حادثة الصلب. وذلك على الـصفحة (٣٥) حيـث قـالوا: (فالكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الإنجيل الأول- إنجيل متى- بين الـسنة (٨٠) والسنة (٩٠)م، وربما قبلها بقليل. ولا يمكن الوصول إلى يقينٍ تام في هذا الأمر). ومن خلال هذا الاعتراف ندرك أنّ مؤلّف إنجيل متى استقى معلومات إنجيلية، مما وصله من روايات تناقلتها الألسن شفهياً ثماني أو تسع عقود زمنية. ويـستحيل أن تكون هذه الروايات الشفهية حاملة للحقائق دون تدخل من شخصيات رواتـها: زيادة أو نقصاناً هذا إضافة إلى دور مؤلف إنجيل متى ككاتب قصصي. وهذا الأمر يقتضي من الباحث مناقشة النصوص بأسلوبٍ منطقي وعلمي.

ولنستمع الآن إلى ما رواه متى في إنجيله حول واقعة الصلب، فقد كتب يقول: (فمضى جنود الحاكم بيسوع إلى دار الحاكم، وجمعوا عليه الكتيبة كلّها، فجردوه من ثيابه وجعلوا عليه رداًءَ قُرمزياً، وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، وجعلوا في يمينه قصبة. ثمّ جثـوا

أمامه وسخروا منه، فقالوا: "السلام عليك يا ملك اليهود". وبصقوا عليه، وأخـذوا القـصبة وجعلوا يضربونه ا على رأسه. وبعدما سخروا منه نزعوا عنه الرداء، وألبسوه ثيابه وسـاقوه ليصلب. وبينما هم خارجون صادفوا رجلاً قيرينياً اسمه سمعان، فسخروه أن يحمل صـليب يسوع. ولمّا وصلوا إلى المكان الذي يقال له جلجثه أي مكان الجُمجمة، ناولوه خمراً ممزوجة بمرارة ليشر ا[١] فذاقها وأبى أن يشر ا. فصلبوه، ثمّ اقتسموا ثيابه مقترعين عليها، وجلـسوا هناك يحرسونه. ووضعوا فوق رأسه عِلّة الحكم عليه كُتب فيها "هذا يسوع ملك اليهود"، ثمّ صلب معه لصان أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال. وكان المارة يشتمونه، وهم يهزون رؤوسهم ويقولون "يا أيها الذي ينقض الهيكل ويبنيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك إنْ كنت ابن الله فانزل عن الصليب". وكذلك كان عظماء الكهنة يسخرون فيقولون مع الكتبة والشيوخ "خلّص غيره ولا يقدر أنّ يخلّص نفسه هو ملك إسرائيل فلي ل الآن عن الصليب فنؤمن به. اتكل على الله فلينقذه الآن إنّ كان راضياً عنه، فقد قال "أنا ابن الله". وكان اللصان المصلوبان معه هما أيضاً يعيرانه مثل ذلك. وخيم الظلام على الأرض كلها من الظهر إلى الساعة الثالثة[٢] ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال (إيلي ‘يلي لَما شبقتاني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فسمع بعض الحاضرين هناك، فقالوا: إنه يدعو إيلياز فأسرع واحداً منهم لوقتـه وأخذ إسفنجة فبلّلها بالخلّ[٣] وجعلها على طرف قصبة وسقاه فقال سائر الحاضرين: دعنا ننظر هل يأتي إيليا فيخلصه. وصرخ أيضاً يسوع صرخة شديدة ولفظ الروح[٤])[٥].

---

(١) إذا أوشك إنسان أن يعدم جاز له أن يتناول حبة بخور في كأس خمر ليفقد وعيه.. وكانت كرائم النساء في أورشليم تقوم بهذه المهمة (مقالة يهودية في مجاس اليهود ٤٣).

(٢) الترجمة اللفظية من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة.

(٣) الخل شراب حاد معروف عند الجنود الرومانيين.

(٤) لا الروح القدس ولا الروح الإلهي المقيم في الإنسان بالمعنى اليوناني الذي يميزه عن الجسد المادي، بل روح الحياة بمعنى العهد القديم.

(٥) إنجيل متّى (٢٧/٢٧-٥).

تعليقنا على هذه الرواية:

أولاً-في هذه الطبعة من إنجيل متى تحريف واضح لا لُبس فيه، نسبة إلى الطبعات القديمة للأناجيل، ففي الطبعات القديمة المنتشرة في كل المكتبات المسيحية المخصصة لبيع الكتاب المقدس، ذُكر أنهم (ناولوه خلاً ممزوجة بمرارة ليشربها فذاقها وأبى أن يشربها فصلبوه..) على حين ورد في طبعة اليسوعيين هذه المطبوعة في بيروت عام ١٩٨٩م: (ناولوه خمراً ممزوجة بمرارة..) ولا شك أنه من غير المعقول أن يخطئ مترجم الإنجيل الذي ترجمه من اليونانية إلى العربية، أن يخطئ فلا يفرق بين الخلّ والخمر. ثمّ إنه بفرض أنّ المترجم كان أخطأ قديماً وجاؤوا يصححون ترجمته. فقد كان واجبهم الإشارة إلى هذا التصحيح. لا أن يكتبوا في الحاشية: (إذا أوشك إنسانٌ أن يعدم جاز له أن يتناول حبة بخور في كأس خمر ليفقد وعيه.. وكانت كرائم النساء في أورشليم تقوم بهذه المُهمة). فلو صح أن الذي قدموه للمسيح الناصري ليشرب هو حبة بخور في كأس خمر، لكان ذكر صاحب إنجيل متى أنّ كرائم النساء جئن وقدمن ليسوع حبة بخور في كأس خمر، فذاقها وأبى أن يشربها، لكن صاحب هذا الإنجيل لم يأت في روايته على هذا الأمر.

أضف إلى ذلك أن قولهم (جاز له أن يتناول) يشير إلى الذي يبادر فيطلب وهو المحكوم عليه بالصلب، فلا يقدم له دون أن يطلب الشرب، والملاحظ أن المسيح لم يطلب أن يشرب، بل على العكس فهو ذاق ورفض أن يشرب، فهل فضل تحمل الآلام على أن يفقد وعيه؟ وخصوصاً إذا كان يعرف أنّ خليط البخور والخمر طعمه مر؟

والذي أراه هو أنّ رجال الكنائس عمدوا إلى هذا التحريف. ليدفعوا دليلاً يقدمه الباحثون، وهو أنّ مزيج الخلّ والمرارة الذي ورد ذكره في واقعة الصلب، لا يزيد عن مخدرٍ كان يستعمله الأطباء الجراحون قديماً لتخدير المريض الذي يريدون أن يجروا له عملية جراحية. وما داموا قد سقوه مخدراً، فقد كان وراء هذه

الخطوة مؤامرة وخطّة لإنقاذ المسيح الناصري من محنته- فيتخدر ويبدو لأعين الناس وكأنه قد مات، فلا يكسرون عظامه حين إنزاله من فوق خشبة الصليب. وإني سأعمد في الوقت المناسب إلى إلقاء الضوء على هذه الناحية بالذات.

ثانياً- وفي هذه الطبعة نفسها، لاحظت وجود تحريفٍ آخر في النص، وهو تحريف واضح لا لُبس فيه أيضاً. فعلى حين أوردت الطبعات القديمة: (ومن الساعة السادسة كانت ظُلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم..) لاحظت أن طبعة اليسوعيين هذه أوردت في مقابل ذلك: (وخيم الظّلام على الأرض كلّها من الظهر إلى الساعة الثالثة. ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخةً شديدةً قال..) ولا شك أنه من غير المعقول أن يخطئ الذي ترجم الإنجيل من اليونانية مثل هذا الخطأ الفاحش، فيترجم (من الساعة السادسة... إلى الساعة التاسعة..) عوضاً عن (من الظهر إلى الساعة الثالثة).

والمدهش أن يعترف اليسوعيون بتحريفهم المذكور في حاشية النص. فقد كتبوا هناك بالحرف الواحد: (الترجمة اللفظية من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة)ز لكنهم لم يعلّلوا تحريفهم تعليلاً مقبولاً ومنطقياً.

والذي أراه هو أنّ رجال الكنائس عمدوا إلى هذا التحريف، لعلّهم يزيدوا المدة التي بقيها المسيح في القبر الذي وضعوه فيه- لكنه بالرغم من هذا التحريف فلا تكتمل مدة (ثلاثة أيام وثلاث ليال) بل يظلّ يلزمهم نصف يوم على أقل تقدير ليثبت حدوث وجه شبهٍ ما بين واقعة يونان النبي وواقعة الصليب، وذلك وفقاً لنبوءة (جيل فاسق شرير يطلب آية..) النبوءة التي سبق أن تكلّمت عنها بفصل خاص أفردته لها من قبل. حيث أثبت هناك أنّ وجه الشبه بينهما سيتحقّق من حيث دخول يونان النبي بطن الحوت حياً وخروجه منه حياً. وليس المقصود التشابه في المدة المذكورة.

فهذان تحريفان أقدم عليهما رجال الكنائس اليسوعيون في نص واقعة صلب المسيح عليه السلام. ولا يليق أن يصدر عنهم مثل هذا التحريف المفضوح.

ثالثاً- والذي لاحظته هو أن مؤلف إنجيل متى أورد في نص هـذه الواقعـة جملة: (صرخ يسوع صرخة شديدة قال إلهي إلهي لماذا تركتني؟). والمعلـوم مـن معطيات علم النفس أنّ الإنسان في أدق حالات حرجه وإضراره ينـادي أقـرب الناس إليه وأبرزهم قوة وحناناً عليه. والملحد وقد أقبل على الغرق وسط البحـر الهائج، ينسى إلحاده ويستغيث بربه. والطفل في حالات حرجه وخوفه ينادي أمـه أو أباه، وعليه فقد كان منطقياً وطبيعياً جداً أن يصرخ المسيح الناصري وهو على الصليب صرخته الشديدة ويقول (أبي أبي لماذا تركتني؟) لا أن يـستغيث ويقـول (إلهي إلهي لماذا تركتني؟). وما دام المسيح الناصري لم يستعمل هنا كلمة (أبي) في موقفه البالغ الخطورة، فقد ثبت من ذلك أنّ بنوة المسيح لله كانت مجازية، ولم تكن بنوة حقيقية، أي أنه كان نبياً وبمنزلة الابن من ربه عز وجلّ وهذا الأمر لا يتنـافى والطرح القرآني.

رابعاً- لا يكفي الإدعاء في أية قضيةٍ من القضايا، ما لم يدعم المُدعي إدعاءه بأدلّة ثبوتية وأدلة وبراهين. وإني مضطر هنا لأن أقول: إنّ نص الرواية الذي نقلناه من إنجيل متى لا يحمل ضمنياً أي بينةٍ أو دليل يثبت منه موت المـسيح الناصـري على الصليب. والذي يضعف هذا النص أنه كتبه متى ما بين ثمانين إلى تسعين عاماً بعد حادثة الصلب على حسب ما ورد في المدخل إلى هذا الإنجيل. وقد تلّقى متى الأخبار التي حاكها على هيئة قصة وسميت بإنجيل متى، تلقاها عن رواة وصـلتهم جيلاً بعد جيل بطريق الرواية الشفهية، وليس عن طريقٍ آخر. ولم يأت متى علـى أسماء الرواة ولا أبدى أي سندٍ على أهليتهم للرواية دون أي تحرير.

ثمّ إنه من حيث الشكل لم يحدد متى ساعة تنفيذ عملية الصلب لأخذها بعين الاعتبار. والأرجح استنباطاً أنها حدثت قبل الساعة السادسة مساءً بقليل. كذلك

لم يحدد متى ساعة إنزال المسيح من على الصليب، ولا من قام بإنزاله ولا ما حدث ساعة إنزاله، والذي أرجحه استنباطاً هو أن يكونوا قد أنزلوه قبيل الساعة التاسعة (على حسب الترجمة الحرفية)، أي ساعة انتهاء يوم الجمعة (يوم التهيئة) وبدء ليل يوم السبت. وقبيل الساعة التاسعة وقبلها بقليل صاح المسيح (إلهي إلهي لماذا تركتني؟) وعندما سارع أحد الحاضرين، وبلّل اسفنجة بالخلّ وجعلها على طرف قصبة وسقاه. فصاح المسيح بعدها صيحة أخرى، ووفقاً لما تقوله الطّبعات السابقة للأناجيل فهو (أسلم الروح)، أما الطبعة الجديدة فتقول (ولفظ الروح)، أي أنّ المسيح عندها فقد روح الحياة.

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث المضمون ترد اعتراضات كثيرة واستفهامات:

فالاعتراض الأول: والذي يستحيل أن يجاب عليه، هو أنه لا يسلّم العقل ولا العلم أن يموت المسيح وحده من دون اللّصين اللذين صلبا معه، وفي هذه المدة الزمنية القصيرة التي لم تتجاوز ثلاث أو أربع ساعات من تعليقه على الصليب.

والاعتراض الثاني: هو أنّ المسيح الناصري، ووفقاً لمعطيات سباق حادثة الصلب لم يبد أنه كان مريضاً بل كان سليماً معافى ويتنقلّ من مكان إلى مكان، الأمر الذي يدعم الاعتراض الأول ويزيده وجاهة ولمعاناً.

والاعتراض الثالث: الذي يؤخذ على مضمون واقعة الصلب، على حسب ما أوردها (متى) هو: ما معنى وما دلالة أن يصيح المسيح بصوتٍ مسموع، على حين لم يسمع من اللّصين أنهما يصيحان حتى تلك اللحظة. فهل يحمل الأمر على ضيق صدر المسيح، وعدم اخشيشانه وضعف جسمه؟ فإن كان الأمر كذلك فهذا الأمر يتنافى والقانون الإلهي فالله تعالى يصطفي رسله من بين أولي العزم. وبما أننا نؤمن جميعاً بصدق المسيح الناصري في دعوته، فلا بد أن كان لصيحته دلالة أخرى،

وهو الأرجح وسأعمد إلى شرح هذه الدلالة عندما أجمع الدلائل والقرائن لأثبـت عدم موت المسيح على الصليب.

والاعتراض الرابع: الذي نأخذه على رواية (متى) هو أن نسأل: ما دلالة أن يقوم أحد الحاضرين فيسقي المسيح خلاً، ولا يسقه ماءً؟ فلم يسبق أن ورد في جميع إنجيل متى أن لمّح إلى أنّ المسيح اعتاد على شرب الخلّ. ثم نعاود فنسأل: كيـف ومن أين تأتى لهذا الساقي إحضار الخلّ بهذه السرعة الواضحة المعالم؟ إلاّ أن يكون قد أحضر الخلّ معه سلفاً ولغاية في نفسه.

ثم أين حراسة المصلوبين، ولِم لَم يعترض أحد منهم على خطوة هذا الرجـل الذي أقدم على سقاية المسيح خلاً دون إنذار ولا استئذان؟ وفي هذه الحال فلا بد أن كان لسكوت جند الحراسة أمر مدبر من قبل، لذلك لم يعترضوا عليه.

والاعتراض الخامس: وما دام إنجيل متى يروي أنـه في الطريـق إلى صـلب السميح الناصري قدموا له مزيجاً من خلّ ومرارة حسب الطبعات القديمـة فـذاق المسيح هذا المزيج ولم يرد أن يشرب. فهذه قرينة على أنّ الذي بلّـل الاسـفنجة بالخلّ ورفعها على طرف قصبة وسقى المسيح بعد أن صاح، لا بد أن يكون هـذا الإنسان هو الذي كان يحمل هذا المزيج من الخلّ والمرارة، وأن ما زعمه (متـى) خلاً لم يكن في حقيقته إلا ذاك المزيج من الخلّ والمرارة نفسه. هذا المزيج الـذي كان الأطباء الجراحون يستعملونه في ذاك التاريخ كمادة تخدير للمرضـى الـذين يريدون إجراء عملية جراحية لهم.

وإلا فلا يعقل أن يحمل أحد المتفرجين مزيجاً من خمرٍ ومرارة، وآخـر خـلاً وحسب، ولا يقوم صاحب هذا المزيج بالإقدام على سقاية المسيح وهو يـصيح، تخفيفاً له من آلامه.

فهذه الاعتراضات والمطاعن تؤخذ على نص واقعة الصلب كما رواها صاحب إنجيل متى. وهي اعتراضات وجيهة في نظري فلا بد من الإجابة عنها إجابات معقولة ومقبولة.

وإلاّ فإن مجرد ادعاء الراوي (متى) أنّ المسيح الناصري (لفظ الروح) بعد صيحتين، ولم يمض على تعليقه على خشبة الصليب ساعات معدودات، فإن إدعاءه هذا لا يكفي ليقبل حقوقياً وقضائياً. ولا بد أن يكون الأمر خلاف ذلك والتبس الأمر على الذين ينظرون إلى الأمور من ظواهرها، وغير مطلّعين على ما كان يدبر في الخفاء لإنقاذ المسيح الناصري من محنته. وهو الأمر الذي سأجمع خيوطه في فصلٍ خاص به.

٣-٢- واقعة الصلب في إنجيل مرقس:

واعترف المسيحيون في المدخل إلى إنجيل مرقس أنّ تاريخ كتابته تعود إلى (٦٥-٧٠) سنة بعد حادثة الصلب. حيث قالوا: (ولمّا كان مرقس ينبئ بخراب الهيكل من غير أن يلمح تلميحاً واضحاً إلى النحو الذي جرت عليه الأحداث. فما من شيء يحول دون القول: إنّ الإنجيل الثاني- إنجيل مرقس- أُلّف بين السنة (٦٥ والسنة ٧٠)[١]. فمن خلال اعترافهم هذا ندرك أنّ مؤلف إنجيل مرقس استقى معلومات إنجيلية، مما وصله من روايات تناقلتها الألسن بصورةٍ شفهية ست أو سبع عقودٍ زمنية. الأمر الذي يجعل هذه الرواية عاجزة عن حمل الحقائق دون تدخل من رواتها زيادةً ونقصاناً. هذا إضافة إلى دور مؤلف إنجيل مرقس نفسه ككاتب قصصي. وهذا الأمر يستدعي منا مناقشة النصوص إنجيلية بأسلوب منطقي وعلمي.

ولنستمع إلى ما رواه مرقس في إنجيله حول واقعة الصلب، فقد كتب يقول: (فساقه الجنود إلى داخل الدار، دار الحاكم، ودعوا الكتيبة كُلّها، وألبسوه أرجواناً،

---

(١) إنجيل مرقس- الصفحة (١٢٤).

وكلّلوه بإكليل ضفروه من الشوك، وأخذوا يحيونه، فيقولون: السلام عليك يـا ملك اليهود. ويضربونه بقصبةٍ على رأسه، ويبصقون عليه، ويجثون له سـاجدين. وبعدما سخروا منه، نزعوا عنه الأرجوان، وألبسوه ثيابه وخرجوا بـه ليـصلبوه. وسخروا لحمل صليبه أحد المارة سمعان القريني أبا الاسكندر وروفس، وكان آتيـاً من الريف. وساروا به إلى المكان المعروف بالجلجثة، أي مكان الجُمجمة. وقدموا إليه خمراً ممزوجة بمر فلم يتناولها[1] ثم صلبوه واقتسموا ثيابه مقترعين عليها، ليعرفوا ما يأخذ كل منهم. وكانت الساعة التاسعة[2] حين صلبوه وكُتب في عنوان علّـة الحكُم عليه: "ملك اليهود"، وصلبوا معه لصين أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله. وكان المارة يشتمونه وهم يهزون رؤوسهم ويقولون: "يا أيها الذي ينقض الهيكل ويبنيه في ثلاثة أيام" خلّص غيره من الناس، ولا يقدر أن يخلّص نفسه. فلي ل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب، لنرى ونؤمن. وكان اللذان صلبا معه هما أيضاً يعيرانه- ولمّا كان الظُهر خيم الظلام على الأرض كُلّها حتى الساعة الثالثـة[3] وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة، قال: "أُلوي أُلوي لمّا شبقتاني". أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فسمع بعض الحاضرين، فقالوا: "ها إنه يدعو إيليـا". فأسـرع بعضهم إلى إسفنجة وبلّلها بالخلّ، وجعلها على طرف قصبة وسقاه وهو يقـول: دعونا ننظُر هل يأتي إيليا لينـزله. وصرخ يسوع صرخة شديدة، ولفظ الروح)[4].

---

(1) عادة يهودية تستند إلى مثل (٦/٣١). كانوا يقدمون للمحكوم عليهم بالموت هذا الشراب المسكّن- راجع متّى (٣٤/٢٧)- حاشية (١٦).

(2) "الساعة التاسعة" الترجمة اللفظية: "الساعة الثالثة" بحسب التوقيت القديم. وقد يكون أن ذكر الظلام عند الظهر يشير إلى الحزن على الابن الوحيد.. حاشية الكتاب المقدس (١٨).

(3) الترجمة اللفظية: الساعة السادسة.. الساعة التاسعة بحسب التوقيت القديم.

(4) إنجيل مرقس- الإصحاح (١٥/١٦-٣٧).

تعليقنا على هذه الرواية:

أولاً- وفي هذه الطبعة من إنجيل مرقس لاحظت أكثر من تحريف للنـصوص الواردة في الطبعات القديمة للكتاب المقدس. فعلى حين أوردت الطبعات القديمـة وبالحرف الواحد: (وكانت الساعة الثالثة فصلبوه). فقـد ورد في الطبعـة الـتي صدرت في بيروت عام ١٩٨٩م والتي اقتبسنا منها واقعة صلب المسيح كما يرويها مرقس، ورد: (وكانت الساعة التاسعة حين صلبوه).

وقد اعترفوا بحاشية (١٨) أنّ (الساعة الثالثة بحسب التوقيت القديم). وقـد كان من واجبهم حين أجروا هذا التحريف وهذا الاعتراف أن يعطونا فكرة عـن التوقيت القديم ومعادلته بالتوقيت الجديد. وإلاّ عد ما أجروه من تبديل، تحريـف واضح لا لَبس فيه.

ثانياً- وقد حذفوا في الطبعة الجديدة جملة كاملة كانت واردة في الطّبعـات القديمة. ففي القديمة ورد: (وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يـساره. فتم الكتاب القائل: وأُحصي مع أثمة) أما الطبعة الجديدة المشار إليها، فقد حـذفوا منها جملة: (فتم الكتاب القائل وأُحصي مع أثمة). ولم يعلّلوا سبب هذا الحذف ولو بكلمة واحدة. ومعنى هذا أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه.

ثالثاً- ولاحظت أ م كرروا ما فعلوه في رواية إنجيل متى من تحريف. فبينما ورد في الطبعات القديمة: (ولمّا كانت الساعة السادسة، كانت ظلمة علـى الأرض كُلّها إلى الساعة التاسعة. وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم..). فقد ورد في الطبعة الجديدة المشار إليها: (ولمّا كان الظهر خيم الظّلام على الأرض كلّها حتى الساعة الثالثة[1] وفي الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال..).

---

(١) الترجمة اللفظية: الساعة السادسة... الساعة التاسعة بحسب التوقيت القديم. قد يكون أن ذكر الظلام عند الظهر يشير إلى الحزن على الابن الوحيد- حاشية الكتاب المقدس (٢٥).

ولا شك أنّ هذا الاعتراف والتنويه لا يكفيان. بل كان من واجبهم إعطاءنا فكرة عن التوقيت القديم ومعادلته بالجديد، وإلاّ يعد هذا الأمر من باب التحريف الواضح الجلّي.

رابعاً- ولاحظت تحريفاً رابعاً أحدثوه. فبينمـا ورد في الطّبعـات القديمـة: (فركض واحد وملأ اسفنجة خلاً، وجعلها على قصبةٍ وسقاه قائلاً: اتركوا لنر هل يأتي إيليا لينـزله..) فقد استبدلوا هذا النص بما يلي: (فأسرع بعضهم إلى إسفنجة..) هذا اختلاف كان لا بد من تقديم تعليلٍ مقبولٍ يؤيده وإلاّ فلا نظلمهم إذا اعتبرنا ذلك تحريفاً.

خامساً- وأكرر ملاحظتي الثالثة التي أوردتها على رواية إنجيل متى من قبـل هنا على رواية إنجيل مرقس وأقول: كان يقتضي وفقاً لمعطيات علـم الـنفس أن ينادي المسيح الناصري وهو على الصليب (أبي أبي لماذا تركتني؟) وليس أن ينادي: (إلهي إلهي لماذا تركتني؟). ذلك أن الإنسان في أدق حالات حرجـه واضـطراره، ينادي أقرب الناس إليه وأبرزهم قوة وحناناً عليه.

وقد ثبت من خلال صراخ المسيح (إلهي إلهي لمـاذا تـركتني؟) أن المـسيح الناصري لم يكن ابناً حقيقياً لله عز وجلّ، وأنه على حسب الطرح القرآني كان نبياً وبمنـزلة الابن مجازياً.

سادساً- وأكرر هنا وأقول: لا يكفي الإدعاء بأمرٍ في أية قضيةٍ من القضايا، ما لم يدعم المُدعي ادعاءه بأدلةٍ ثبوتيةٍ وبراهين. وهذا النص من إنجيل مـرقس لا يحمل ضمنياً أي بينةٍ أو دليلٍ يثبت منه موت المسيح الناصري على الصليب، ويزيد النص ضعفاً ووهناً أنّ مرقس كتب إنجيله بعد ست إلى سبع عقودٍ زمنية من حادثة الصلب نفسها. ومتلقّياً أخبار قصته عن رواةٍ وصلتهم الأخبار هذه جيلاً بعد جيل، وبطريق الرواية الشفهية، وليس تحريراً، ثمّ إنّ مرقس لم يذكر لنا اسم أي راوٍ مـن رواته.

ومن حيث الشكل، وإنّ لاحظنا أنّ مرقس حدد الساعة الثالثة، ساعة تعليق المسيح الناصري على الصليب. فهو لم يحدد لنا ساعة إنزاله من فوقه، ولا ذكر لنا من قام بإنزاله، ولا ما حدث ساعة إنزاله من فوق الصليب. والذي أُرجحه استنباطاً، هو أنهم أنزلوا المسيح قبيل الساعة التاسعة على حسب الترجمة القديمة. أي ساعة انتهاء يوم الجمعة (يوم التهيئة) وبدء يوم السبت.

هذا من حيث الشكل. وأما من حيث المضمون، فترِد على مضمون النص اعتراضات واستفهامات كثيرة. وهي نفس اعتراضاتنا على ما ورد في النص من إنجيل متى. وهي كانت خمس اعتراضات، لا أرى من حاجة لتكرارها مرة أخرى في هذا المقام. وبإمكان القارئ الكريم مراجعتها هناك. فنفس تلك الاعتراضات واردة هنا على هذا النص المقتبس من إنجيل مرقس أيضاً.

٣-٣- واقعة الصلب في **إنجيل لوقا ٢٣/٢٦-٤٧:**

اعترف المسيحيون في المدخل إلى إنجيل لوقا أنّ تاريخ كتابته تعود إلى (٨٠-٩٠) سنة بعد واقعة الصلب. فقد ورد على الصفحة (١٨٤) منه: (فالنقّاد غالباً ما يحددون تأليفه بين السنة (٨٠و٩٠)، ومنهم من يجعلون له تاريخاً أقدم). ومن خلال هذا الاعتراف ندرك أنّ إنجيل لوقا اعتمد الروايات الشفهية التي تناقلها الرواة عبر ثمانين إلى تسعين عاماً، أو أكثر. الأمر الذي يضعف من شأن رواية لوقا كناقل للحقائق وككاتب قصصي. لهذا كان لا بد لنا من مناقشة ما نقرأه منه بأسلوب منطقي وعلمي.

ولنستمع الآن إلى ما رواه إنجيل لوقا حول واقعة صلب المسيح الناصري فقد كتب يقول: (وأسلم يسوع لمشيئتهم، وبينما هم ذاهبون به، أمسكوا سمعان وهو رجلٌ قيريني كان آتياً من الريف. فجعلوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. وتبعه جمع كثير من الشعب، ومن نساء كُن يضربن الصدور وينحن عليه. فالتفت يسوع إليهن فقال: "يا بنات أورشليم لا تبكين علي، بل ابكين على أنفسكُن وعلى

أولادكُن. فها هي ذي أيام تأتي يقول الناس فيها: طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثُدِي التي لم ترضع. وعندئذٍ يأخذ الناس يقولون للجبال: أُسقطي علينا، وللتلال غطّينا. فإذا كان يفعلُ ذلك بالشجرة الخضراء، فأياً يكون مصير الشجرة اليابسة؟ وسيق أيضاً آخران مجرمان ليقتلا معه. ولمّا وصلوا إلى المكان المعروف بالجُمجمة، صلبوه فيه، والمجرمين، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال، فقال يسوع: "يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون"، ثم اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. ووقف الشعب هناك ينظر، والرؤساء يهزؤون. فيقولون: خلّص غيره فليخلّص نفسه إن كان مسيح الله المختار. وسخر منه الجنود أيضاً، فدنوا وقربوا إليه خلاً وقالوا: إن كُنت ملك اليهود فخلّص نفسك. وكان أيضاً فوقه كتابة خطّ فيها "هذا ملك اليهود".

وأخذ أحد المجرمين المُعلّقين على الصليب يشتمه فيقول: ألست المسيح؟ فخلّص نفسك وخلّصنا. فانتهره الآخر، قال: أو ما تخاف الله وأنت تعاني العِقاب نفسه، أما نحن فعقابنا عدلٌ لأننا نلقى ما تستوجبه أعمالنا. أما هو فلم يعمل سوءاً. ثمّ قال: اذكرني يا يسوع إذا ما جئت في ملكوتك. فقال له: الحق أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس. وكانت الساعة نحو الظهر، فخيم الظلام على الأرض كُلّها حتى الثالثة، لأنّ الشمس قد احتجبت، وانشق حجاب المقدس من الوسط. فصاح يسوع بأعلى صوته، قال: يا أبت في يديك أجعل روحي. قال هذا ولفظ الروح).

تعليقُنا على هذه الرواية من لوقا:

أولاً-وفي هذه الطبعة للكتاب المقدس الصادرة عن لبنان عام ١٩٨٩م، فيها تحريف واضح لا لبس فيه، نسبة إلى الطبعات القديمة التي سبقتها. ففي الطبعات القديمة ورد (وكان عنوانٌ مكتوب فوقه بأحرف يونانية وورمانية وعبرانية: هذا هو ملك اليهود..). وقد حرفت هذه الجمل واستبدلت بالتالي: (وكان أيضاً فوقه

كتابةٌ خطّ فيها "هذا ملك اليهود"). والسؤال هنا: بأي حقٍ سمحوا لأنفسهم أن يحذفوا ما حذفوه في طبعتهم الجديدة؟ ولا نظلمهم إن قلنا إنّ هذا تحريف للكلِم عن مواضعه.

ثانياً- والتحريف الآخر الذي أقدموا عليه في الطبعة الجديدة، والذي اعترفوا به في حاشية الصفحة هو أنه ورد في الطبعات القديمة: (وكان نحو الساعة السادسة، فكانت ظُلمةٌ على الأرض كُلّها إلى الساعة التاسعة. وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل..) فهم استبدلوا الساعة السادسة بتوقيت الظهر، والساعة التاسعة بالثالثة، كما أنهم علّلوا ما حدث بقولهم (لأن الشمس قد احتجبت). على حين لم يعلل لوقا ذلك، بل قال: (وأظلمت الشمس) أي انكسفت ولا شك أن بين المعنيين بون واسع.

إنّ الذين طبعوا هذه الطبعة الجديدة، وإن اعترفوا في الحاشية أنّ الترجمة الحرفية (السادسة إلى التاسعة). لكننا لا نراهم أدلوا لنا بمقارنة بين التوقيتين: القديم والجديد. وما داموا لم يعلّلوا ولم يقارنوا، فقد سمحوا لنا بذلك لا امهم بالتحريف.

ثالثاً- ثمّ إنّ واقعة صلب المسيح كما رواها لوقا، تختلف عما رواه إنجيلا متى ومرقسٍ في عدة نقاط جوهرية:

١-ففي حين قالوا هناك إنّ المشاهدين حاولوا سقاية المسيح الناصري، وهو في طريقه ليصلب (ناولوه خمراً ممزوجة بمرارة ليشرب). فإن إنجيل لوقا قال بدلاً من ذلك (وسخر منه الجنود أيضاً، فدنوا وقربوا إليه خلاً وقالوا..) وهذان الأمران مختلفان.

٢- وفي حين ذكر إنجيلا متى ومرقس أنه (تبعته نساء). فقد راح لوقا، يسهب في هذا الأمر فيروي أنّ النساء كانت تنوح، وأنّ حواراً تم بين هذه النساء وبين المسيح نفسه.

٣- وفي حين اكتفى متى ومرقس بالإشارة إلى أنّ اللّصين اللذين صلبا مـع المسيح كانا يستهزئان به أيضاً. فإن لوقا ذكر لنا حواراً حـدث بـين اللّـصين والمسيح.

٤- وفي حين ذكر متى ومرقس أنّ المسيح الناصري صاح صـيحته الأولى، فسقوه خلاً، وصاح بعدها صيحته الثانية (ولفظ الروح). فقد ذكر لوقا أنّ المسيح صاح صيحة واحدة ولفظ الروح. ولم يذكر أنّ أحداً ما قد سقاه خلاً.

٥- وفي حين نقل لنا متى ومرقس أنّ المسيح الناصري صاح (إلهي إلهي لماذا تركتني؟). فقد زعم لوقا أن المسيح صاح: (يا أبت في يديك روحي. قـال هـذا ولفظ الروح).

فهذه الاختلافات الجوهرية الحادثة ما بين إنجيلي متى ومرقس من جهة، وما بين إنجيل لوقا. إن دلّت على شيء، فإنما تؤكّد ما نبهت إليه عند بدء الكلام عن واقعة الصلب في إنجيل لوقا. وهو أنه لا يعقل أن يجلس لوقا ليكتب روايته هذه عن رواة نقلوا أخبارها إليه بعد مرور ثمانية أو تسعة عقود زمنية على واقعة الصلب، إلاّ ويكونوا قد أنقصوا أو بدلوا في أخبارهم تلك طيلة هذه المدة الطويلة من الزمن.

وبما أنّ هذه الاختلافات الجوهرية الحاصلة ما بين هذه الأناجيل الثلاث، تعد أعظم برهان على ما أقول.

رابعاً- ثم إنه لا يكفي الادعاء في أية قضية من القضايا، ما لم يدعم المـدعي ادعاءه بأدلة تثبيتية وتبرهن على صحته. فمن هذا المنطلق، لا نلاحظ أنّ إنجيل لوقا قد تضمن أية أدلة تثبت موت المسيح الناصري على الصليب، وإنه مجرد إدعاء يأتي بعد مضي تسعون عاماً على واقعة صلب المسيح.

فمن حيث الشكل لم يحدد لوقا الساعة التي أنزلوا فيها المـسيح مـن علـى الصليب، ولا ذكر الجهة التي قامت بذلك، ولا ذكر ما حدث ساعة إنزالـه مـن

فوق الصليب. وإني أُرجح استنباطاً أنّ عملية إنزاله قد تمت قبيل الساعة التاسـعة مساء يوم الجمعة (يوم التهيئة) على حسب الترجمة الحرفية.

وعلى هذه الشاكلة فإن ما زعمه لوقا من أنه: (فصاح يسوع بأعلى صـوته قال يا أبت في يديك أجعل روحي، قال هذا ولفظ الروح). فما هذا القول إلاّ من قبيل الإدعاء أيضاً- ولا يثبت إلاّ بالتدليل على صحته. وعكسه هو الصحيح. ذلك أنّ اللّصين اللذين كانا علّقا مع المسيح، لم يمت واحد منهم، فكيف يموت المسيح الناصري؟ والمسيح الناصري لم يكن مريضاً من قبل، وكان من أولي العـزم مـن الرسل.

هذا من حيث الشكل. أما من حيث المضمون، فإنها ترد على هذا النص من إنجيل لوقا نفس الاعتراضات الخمس التي أوردناها على نص واقعة الصليب المستقاة من إنجيلي متى ومرقس، وبإمكان القارئ الرجوع إلى تلك الاعتراضات هناك. فلا حاجة بنا لتكرارها في هذا المقام خشية الإطالة على القُراء الكرام.

وعليه بإمكاننا أن نقول: لا يثبت من هذا النص من إنجيل لوقا موت المسيح الناصري على الصليب. بل يثبت عكسه تماماً في نظري واجتهادي، الأمر الـذي يتوافق مع الطرح القرآني.

٣-٤- واقعة الصلب في إنجيل يوحنا:

اعترف المسيحيون في المدخل إلى إنجيل يوحنا أنّ تاريخ كتابته تعود إلى أواخر القرن الأول بعد حادثة الصلب. فقد ورد فيه: (لا بد من الإشارة إلى أنّ نشر جزء من الإنجيل الرابع، عثر عليه في مصر، ويرقى تاريخه بـرأي أحـسن الخُـبراء إلى السنوات (١١٠-١٣٠) قد فرض على النقّاد العودة إلى أمر تقليدي، وهو صدور الإنجيل الرابع في أواخر القرن الأول)[1]. ومن خلال هذا الاعتراف ندرك أنّ إنجيل يوحنا، مثَلُه مثل بقية الأناجيل، قد اعتمد في جميع أخبار قصته على روايات شفهية

(١) المدخل إلى إنجيل يوحنّا- الصفحة (٢٨٧).

تناقلها رواتها جيلاً بعد جيل عبر قرن من الزمان، زيادةً ونقصاناً وتشويهاً لحقائقها الأصلية. الأمر الذي يضعف من شأن رواية إنجيل يوحنا كناقل للحقائق وككاتبٍ قصصي. وهذا الأمر يفرض علينا مقارنة ما ورد في أخباره مع ما ورد في الأناجيل الأخرى، فقرةً فقرة، واستخلاص الحقائق بأسلوب منطقي وعلمي.

ولنستمع الآن إلى ما رواه إنجيل يوحنا حول واقعة صلب المسيح الناصري. فهو كتب يقول: (فأسلمه- أي بيلاطس- إليهم ليصلب. فأمسكوا يسوع، فخرج حاملاً صليبه[1]. إلى المكان الذي يقال له مكان الجُمجمة، ويقال له بالعبرية جلجثة. فصلبوه فيه وصلبوا معه آخرين، كلٌ منهما في جهة. وبينهما يسوع. وكتب بيلاطس رقعةً وجعلها على الصليب، وكان مكتوباً فيها: "يسوع الناصري ملك اليهود". وهذه الرقعة قرأها كثير من اليهود، لأنّ المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة. وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية. فقال عظماء كهنة اليهود لبيلاطس: "لا تكتب ملك اليهود" بل اكتب: قال هذا الرجل: إني ملك اليهود. أجاب بيلاطس: ما كُتب قد كُتِب. وأما الجنود فبعدما صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربع حصص، لكلّ جندي حصة. وأخذوا القميص أيضاً، وكان غير مخيط. منسوجاً كلّه من أعلاه إلى أسفله- فقال بعضهم لبعض: لا نشقّه بل نقترع عليه، فنرى لِمن يكون. فتمت الآية: اقتسموا ثيابي، وعلى لباسي اقترعوا، فهذا ما فعله الجنود.

هناك عند صليب يسوع، وقفت أمه وأخت أمه مريم امرأة قلوبا، ومريم المجدلية فرأى يسوع أمه، وإلى جانبها التلميذ الحبيب إليه. فقال لأمه: أيتها المرأة هذا ابنك. ثمّ قال للتلميذ: هذه أمك. ومنذ تلك الساعة استقبلها التلميذ في بيته.

---

(1) كان على المحكوم عليه، وفقاً لما ورد في الشريعة، أن يحمل هو نفسه أداة تعذيبه- حاشية الكتاب المقدس رقم (١٢).

وبعد ذلك كان يسوع يعلم أنّ كلّ شيءٍ قد انتهى. فلكي يتم الكتاب، قال: أنا عطشان. وكان هناك إناءٌ مملوءٌ خلاً. فرضعوا إسفنجة مبتلّةً بالخلّ على ساق زوفى، وأدنوها من فمه. فلما تناول يسوع الخلّ، قال: تم كلّ شيء، ثمّ حنى رأسه وأسلم الروح)[1].

تعليقنا على هذه الرواية من يوحنا:

أولاً- إنّ رواية يوحنا هذه تختلف عما رواه متى ومرقس ولوقا، في نقاطٍ جوهريةٍ كثيرة منها:

١-ففي حين أورد أصحاب الأناجيل المذكورون أنّ الجنود كلّفوا رجلاً قيرينياً يدعى سمعان ليحمل صليب المسيح الناصري، وهو في طريقه ليصلب. فإن صاحب هذا الإنجيل (يوحنا) روى الأمر نفسه مختلفاً وقال: (فأمسكوا بيسوع. فخرج حاملاً صليبه). ويستحيل التوفيق بين الروايتين.

٢- وفي حين روى لنا لوقا قوله: (وكان أيضاً فوقه كتابة خطّ فيها: "هذا ملك اليهود"). وغير مشير إلى الذي كتب هذه الجملة. فقد روى لنا يوحنا نفس الأمر بقوله: (وكتب بيلاطس رقعةً وجعلها على الصليب وكان مكتوباً فيها "يسوع الناصري ملك اليهود".. وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية). وعلى حين روى لنا إنجيل مرقس في مقابل ذلك: (وكُتب في عنوان علّة الحكم عليه "ملك اليهود"). أما إنجيل لوقا فقد وضع بدل "اللاتينية" اللغة الرومانية وشتان ما بين اللّغتين.

٣- وفي حين أشار أصحاب الأناجيل الأخرى إلى أن الجنود اقتسموا ثياب يسوع وحسب فإن إنجيل يوحنا راح فذكر هذا الحادث بالتفصيل. وبتفصيل لا ندري مدى حقيقته.

---

(١) إنجيل يوحنّا- الإصحاح (١٦/١٩-٣٠).

٤- وفي حين لم يخبرنا صاحبوا الأناجيل الأخرى أنّ أم المسيح كانت حاضرة عملية صلبه. فقد انفرد صاحب إنجيل يوحنا بذلك. بل وذكر حـواراً دار بـين المسيح وأمه وأحد تلاميذه. موصياً هذا التلميذ أن يرعى له أمه. فلو صح هذا الأمر لكان العالم المسيحي قد عرفوا لأم المسيح الناصري قبراً في فلسطين.

٥- وعلى حين راح أصحاب الأناجيل الأخرى يزعمون أنّ المسيح الناصري صاح وهو على الصليب: (إلهي إلهي لماذا تركتني؟). فقد انفرد صاحب إنجيل يوحنا بقوله حكاية عن المسيح الناصري وهو على خشبة الصليب: (فلكي يتم الكتـاب قال: "أنا عطشان"). وقول يوحنا هذا أحق بالتصديق. فلا بد أن يكون بين قـول المسيح هذه الجملة وبين سقايته الخلّ وبين ما جرى من روابط صلات سأكـشف عنها في حينه.

٦- وفي حين راح أصحاب الأناجيل الأخرى يرددون أنّ المسيح الناصـري صاح صيحتين شديدتين وهو على خشبة الصليب. فإن إنجيل يوحنا لم يأت علـى ذكر ولا صيحة واحدة له. بل الذي رواه، قوله: (فلما تناول يسوع الخلّ قال: "تم كلّ شيء"، ثمّ حنى رأسه، وأسلم الروح). وإنّ في قول المسيح إنه (تم كلّ شـيء) دلالة على أ ا كانت هناك خطّة مدبرة لإنقاذه، كان من حلقا ا سـقايته هـذا الشراب. وهو أمر سآتي على بيانه على حينه.

٧- وفي حين كان أصحاب الأناجيل الأخرى يذكرون لنا أعاجيـب قـد حدثت، إثر تعليق المسيح الناصري على الصليب. ومن هذه الأعاجيب "أظلمـت الدنيا منذ الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة". فإن إنجيل يوحنا لم يأت على ذكر شيء من هذا القبيل. فهل اخترع أولئك تلك الأعاجيب من عند أنفـسهم. أم أنّ رواة يوحنا لم تصلهم تلك الأخبار؟ وفي الحالتين فلا بد أن تكون هذه الاختلافات الجوهرية بين الأناجيل فيها كلّ الدلالة على أنّ الذين رووا قصة ما حدث سـاعة تعليق المسيح الناصري على الصليب، والذين رووا عنهم تلك الأخبار جيلاً بعـد

جيل طوال قرنٍ من الزمان وبصورة شفهية. لا بد أن يكونوا قد زادوا وأنقصوا وشوهوا كثيراً من تلك الأخبار.

لذلك لا تعد الروايات الإنجيلية موثوقة الأخبار الواردة فيها، بل لا بد من نقدها وتمحيصها واستخراج حقائقها وبأسلوب منطقي وعلمي.

ثانياً- والذي يهمنا قوله، هو أنه لا يكفي الإدعاء في أية قضية من القضايا، واستناداً إلى روايات رواة لم يشاهدوا الحدث. بل لا بد للمدعي من تدعيم إدعائه بأدلّة وبراهين تثبت صحة ما يدعيه. وعلى هذا الأساس فلا نلاحظ أنّ إنجيل يوحنا قد أتى بمثل هذا النوع من الأدلة، وكل ما فعله، هو وسواه من أصحاب الأناجيل أنهم سبكوا قصة ما حدث للمسيح الناصري دون ذكر الرواة الذين نقلوا إليهم هذه الأخبار، ودون التحقيق بأسلوبٍ علمي ومنطقي فيما وصلهم من أخبار.

وإنّ يوحنا، لم يحدد لنا، من حيث الشكل، ساعة تنفيذ عملية الصلب ولا ساعة إنزال المسيح الناصري من على الصليب ولا من أنزله. بل كان ما قاله بخصوص إنزاله: (وكان ذلك اليوم، يوم التهيئة، فسأل اليهود بيلاطس أن تكسر سوق المصلوبين وتـ ل أجسادهم، لئلاّ تبقى على الصليب يوم السبت، لأنّ ذاك السبت يوم مكرم. فجاء الجنود، فكسروا ساقي الأول والآخر اللذين صلبا معه. أما يسوع فلما وصلوا إليه ورأوه قد مات، لم يكسروا ساقيه. لكن واحداً من الجنود طعنه بحربةٍ في جنبه، فخرج لوقته دم وماءٌ[1]. والذي رآى شهد، وشهادته صحيحة، وذاك يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم أيضاً. فقد كان هذا ليتم الكتاب:

---

(1) لهذه الظاهرة تفسير طبي فقد يسيل الدم أيضاً لوقته بعد الموت، ويكون الماء نتيجة سيلان غشائي- حاشية رقم (٢٩).

"لن يكسر له عظم"[1] وورد أيضاً في آيةٍ أخرى من الكتاب: "سينظرون إلى من طعنوا")[2].

والحق أنّ في هذا الاقتباس مفتاح معرفة أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب، وهو ما سأتعرض له بالشرح فيما بعد.

وأما من حيث المضمون، فإنّ ما رواه لنا صاحب إنجيل يوحنا، قوله: (فلما تناول يسوع الخلّ قال: "تم كلّ شيء"، ثم حنى رأسه وأسلم الروح). ما هذا القول إلاّ من قبيل الإدعاء الذي لا يسنده دليل. وهو قول يصلح لرواية درامية، وليس لبيان حقيقة تاريخية. وكيف يموت المسيح وحده ولا يموت اللصان الذان صلبا معه وكان مصلوباً بينهما؟ ولم يثبت أنّ المسيح كان مريضاً أو مصاباً بمرض عضال.

ثمّ إنه، ووفقاً لما ورد في الحاشية (٣٢)، فقد ورد في المزامير (٢١/٣٤) (البار المتألّم يحمى في المحنة). فأين الحماية الإلهية لرجل بارٍ كالمسيح الناصري؟

وإن زعم يوحنا وسواه من أصحاب الأناجيل الأخرى أنّ المسيح الناصري مات على الصليب. ليدل، من حيث لا يريدون، على أنّ المسيح الناصري لم يكن محمياً عند الله عز وجلّ. بل كان كما يزعم اليهود نبياً كاذباً. والعياذ بالله تعالى من ذلك.

وترد على هذا النص الذي نقلناه من إنجيل يوحنا ويشرح فيه قصة واقعة صلب المسيح الناصري. أقول ترد على هذا النص وعلى ادعاءاته نفس الاعتراضات الخمس التي أوردناها على النص المُستفاد من إنجيل متى وسواه من الأناجيل الأخرى وبإمكان القارئ الرجوع إلى اعتراضاتنا تلك هناك.

---

(١) يوفّق هذا الاستشهاد، على ما يبدو بين نص مز (٢١/٣٤) (البار المتألّم محمي في المحنة)- حاشية رقم (٣٢).

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح (٣١/١٩-٣٦).

وأقول: لا يثبت من هذا النص المُقتبس من إنجيل يوحنا أنّ المسيح الناصري قد مات على خشبة الصليب. بل الذي يثبت منه هو عكسه تماماً. هذا في نظري واجتهادي، وبدلالة الفقرات (٣١-٣٦) خاصة. وهو ما سأعمد إلى التفصيل فيه على حينه.

٣-٥- اختلاف هذه الروايات ودلالاتا:

من المعقول جداً أن تختلف الروايات الإنجيلية فيما قدمته من أخبار ومعلومات حول حادثة واقعة الصلب خاصة. على اعتبار أنّ الأناجيل لم تكتب زمن وقوع الحادثة، بل كتبت بعد مرور ما بين ستين إلى تسعين عاماً، على حسب ما أوردته في فصل "قصة الأناجيل". والمستقاة معلوماته من مقدمة الكتاب المقدس نفسه المطبوع عام ١٩٨٩م. فالمعقول جداً أن تختلف مضامين الأناجيل خصوصاً وأنها استقت أخبارها ومعلوما ا عن رواةٍ رووا ما رووه بصورة شفهية ونقلوه عمن رووه شفهياً أيضاً، فلم تكن الطباعة قد بدأ عصرها بعد. ثمّ إنّ الأناجيل الأربعة نفسها لم تصل عصر الطباعة سالمة أيضاً.

لذلك فإن الباحث في الأناجيل المعاصرة يواجه صعوبةً في الكشف عن حقائق احتو ا هذه الأناجيل، مشوهة وبحاجة للتدقيق فيها بأسلوب علمي أيضاً. ولولا أني دفعني لبحث ما بحثته في هذا الكتاب، أكثر من دافع، لكان من العسير علي جداً أن أندفع أبحث عن عدم موت المسيح الناصري على الصليب.

فهناك طرح قرآني، وهناك نبوءة تنبأ ا المسيح الناصري نفسه عن واقعة محاولة صلبه وهناك ما ورد في التوراة من أنّ "البار المتألّم محمي في المحنة"[1] وهناك موضوع إكمال تبشير الشتات من أسباط بني إسرائيل، وهو الأمر الذي كان يشير إليه المسيح الناصري نفسه في أقواله ووصاياه[2].

---

(١) التوراة- سفر المزامير في (٣٤/٢١).

(٢) متّى (١٠/٥-١٥/٢٤)- يوحنّا (١٠/١٦).

هذه المُعطيات الخلفية عندي أعانتني كثيراً، بل دفعتني دفعاً لأبحث ما بحثته، ولأثبت أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب.

والآن إن نحن سألنا أي رجل دين مسيحي: لماذا أربعة أناجيل وليس إنجيلاً واحداً؟ فلا يكون جوابه إلا بسبب نظرة الكنيسة إلى هذه الأناجيل على أنها يكمل بعضها بعضاً فيما أتت به من أخبار حياة المسيح الناصري وتعاليمه. فما لا نجده في إنجيل، نجده في إنجيل آخر. فإن أجاب بهذه الإجابة، تكون إجابته صحيحة ومعقولة. ذلك أنه لم يكن باستطاعة كلّ من جلس يكتب أخبار المسيح وتعاليمه أن يجمع جميع تلك الأخبار وجميع تلك التعاليم، وأنا أُسلّم بهذه الحقيقة دفعاً لكلّ جدلٍ عقيم.

والذي يهمني الآن هو إثبات أو نفي موت المسيح على الصليب، ومن خلال هذه الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا). وإنّ مما لا شك فيه أنهم أجمعوا على أنّ المسيح الناصري مات على الصليب ودفن وقام من بين الأموات. وهذا الإجماع مجرد ادعاء كان سائداً في زمن كتابة هؤلاء لأناجيلهم التي كتبوها بعد حادثة الصلب نفسها بثلاثة أرباع قرنٍ من الزمان تقريباً،وعلى حسب ما أورده رجال الكنيسة أنفسهم ومن خلال تحقيقاتهم التي أتينا على ذكرها في فصل "قصة الأناجيل". فإجماع هؤلاء كما قلت هو من قبيل الإدعاء الذي هو بحاجة إلى إثباته. فكم وكم من الحقائق التاريخية شوهت، وانتشرت على ألسنة الناس على غير حقيقتها. وإنّ الحادثة التي تعرض لها المسيح الناصري هي من هذا القبيل. ذلك أنّ المسيح كان رسولاً صادقاً ونبياً من أنبياء الله ورسله، فلا يعقل بأي شكلٍ من الأشكال ألاّ يهيء الله وسائل حمايته من مكائد كهنة وكتبة اليهود الذين كذّبوه وحرضوا الجماهير والحكومة ضده، وأرغموا الحاكم الروماني بيلاطس أن يوفّق بين مطلبهم الظّالم، وبين ما يقتضيه القانون والضمير الإنساني. وسبق أن قلت إنّ ما يدعو لإعادة النظر في هذه الرواية التي تسلّمها كُتاب الأناجيل دون تدقيق ولا

تمحيص ولا نظر إلى الواقعة بتفكير روحاني، إنّ ما يدعو للنظر في حقيقتها هو أنّ النبوءة الشهيرة التي تنبأ ا المسيح عن واقعة الصلب لا تحتمل إلاّ الاعتقـاد بـأنّ المسيح الناصري قد بشره ربه من خلال تلك النبوءة أنّ سيدبر أسباب نجاته، كما دبر نجاة يونان النبي (يونس عليه السلام) يوم ابتلعه الحوت، فأبقى الله عليه حياً في بطنه وأخرجه من بطنه حياً أيضاً.

فالله عز وجلّ وعد مسيحه الناصري في تلك النبوءة أنّ مكائد اليهـود لـن تحقّق حلمهم في إماتة المسيح على الصليب. تلك المكيدة التي قصدوا ـا إثبـات كذبه وبالتالي إثبات كونه ملعوناً غير مقربٍ من ربه. فأنـا سـأعمد إلى هـذه الأناجيل الأربعة التي يكمل بعضها بعضاً، أدقّق روايا ا وأخبارها التي أثبتها في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب والمتعلّقة بواقعة صلب المسيح نفسه، أدقّقها بأسلوب الناقد والمحقّق بأسلوبٍ علمي.

بحثت عن روايةٍ واحدة في هذه الأناجيل، يثبت منها رؤية أي إنسانٍ لشخص المسيح الناصري، أنه شاهده ميتاً، وشاهده بأم عينيه يصحو من موته ويقوم. فلـم أعثر على روايةٍ واحدةٍ من هذا القبيل. فجميع ما ورد في الأناجيل عـن مـوت المسيح الناصري وقيامه من بين الأموات إنما ورد روايات قيلٍ وقال. وحتى النساء اللواتي قدمن إلى القبر فجر يوم الأحد، لم تزعم واحدة منهن أنها شاهدت المسيح يقوم من قبره. بل وجدن القبر فارغاً. وما زعم أصحاب الروايات المتعلّقة برؤيتهن ملاكاً أخبرهم بقيامة المسيح إلا من قبيل الإدعاء أيضاً، ولا يجدي قانوناً. خصوصاً وأنّ الأناجيل تضاربت في حقيقة هذا الأمر نفسه. فقد زعم إنجيل متى أنـه: (لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكـان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج)[1]. على حين ورد في إنجيل مرقس: (فتطلّعن ورأين أنّ الحجر قد دحرج. لأنه كان عظيماً جداً. ولما دخلن القبر رأيـن شـاباً

---

(1) إنجيل متّى (٢/٢٨).

جالساً عن اليمين لابساً حلّةً بيضاء فاندهشن فقال لهن..)[1]. وعلى حين أنّ إنجيل لوقا قال: (فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر. فدخلن ولم يجـدن جـسد الـرب يسوع. وفيما هن محتارات في ذلك، إذا رجلان وقفا ن بثيـاب براقـة.. قـالا لهن..)[2]. وعلى حين قال إنجيل يوحنا: (وفي أول الأسبوع جاءت مريم ا دلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر. فركضت وجـاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما: أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه.. تقول الرواية أن بطرس ورفيقه أسرعا إلى القبر ونظرا الأكفان موضوعة والمنديل ملفوفاً في موضعٍ وحده. فحينئذٍ دخـل أيـضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورآى فآمن. لأنهم لم يكونوا بعد يعرفـون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من بين الأموات. فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما. أمام مريم فكانت واقفةً عند القبر خارجاً تبكي. وفيما هي تبكي انحنت إلى القـبر فنظرت ملاكين بثيابٍ بيضٍ جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يـسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع..)[3].

فهذه روايات متضاربة، ونحن أيها نصدق؟ فلو كان لها من حقيقة، فلا يعقل أن يرويها روا ا ذا الاختلاف و ذا التضارب الذي لاحظناه.

المهم أنني من حيث المبدأ لم أعثر على روايةٍ واحدة تروي أنّ أحداً شـاهد المسيح الناصري ميتاً. ويقوم من بين الأموات. فإن كنت أخطـأت فليـدلّني أي إنسان على هذه الرواية. والباحث المدقق إذا لم يعثر على أي شـاهد إثبـات في

---

(١) إنجيل مرقس (٤/١٦).

(٢) إنجيل لوقا (٢/٢٤).

(٣) إنجيل يوحنّا (١/٢٠-١٥).

موضوع الإدعاء يبحث عن القرائن التي تثبت أو تنفي هذا الإدعاء. وقد بحثت عن هذه القرائن في الأناجيل فلم أعثر على قرينةٍ واحدة تثبت ما زعموه من موت المسيح الناصري على الصليب وقيامته من بين الأموات. بل وجدت من القرائن القوية الدالة على عكس ما زعموه. وليصغي القارئ إلى هذه القرائن ناقداً ومتفحصاً:

أولاً- القرائن الدالة والمرجحة الرأي أنّ المسيح لم يمت على الصليب:

القرينة الأولى: إنّ كلّ عاقل مفكر، يفترض أن يعلن صاحب أي دعوة أو رسالة، من أول أيام دعوته عن أُطر رسالته وأهدافها ومقاصدها. فهذا هو ما يجري حقّاً على صعيد الواقع من حولنا. وأن يكون في إعلانه صريحاً وواضحاً أيضاً. خصوصاً إذا كان هذا الداعية نبياً ورسولاً من رب الكائنات.

فإن صح ما زعمه أصحاب الأناجيل من أنّ المسيح أتى إلى هذا العالم ليموت فداء خطية آدم وحواء ومن ثمّ يقوم من بين الأموات. فقد كان متوجباً عليه أن يعلن ذلك للناس ولتلاميذه بالذات من أول أيام دعوته. فلو فعل ذلك لتوجب أن ينتظر جميع هؤلاء التلاميذ تحقق هذه المعجزة وبفارغ صبرهم أيضاً.

وقد دقّقت ما نقلته لنا الأناجيل من أخبار، فلم ألحظ أية معالم لهذه الظّاهرة الطبيعية، على صعيد الأقوال، فتناولت قضية أخبار وضع جثّة المسيح في قبره الذي وضعه يوسف الرامي فيه لعلي ألحظ تجمع تلاميذ المسيح حول القبر ساعة وضع الجُثّة فيه، فلم ألحظ إلا تواجد امرأتين هناك. فإنجيل متى روى: (وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر)[1]. فأين بقية تلاميذ المسيح الناصري؟

وقلت في نفسي لعلّهم اتفقوا فيما بينهم أن يأتوا إلى قبره صباح يوم الأحد يستطلعون قيامته. فدقّقت في الأناجيل الأربعة. وأدهشني أنّ غير هاتين الامرأتين لم تسارعا إلى القبر فجر يوم الأحد. ثمّ إنهن ما سارعتا للقاء المسيح بعد قيامته. بل

(١) إنجيل متّى (٧/٢٨).

على حسب ما روى مرقس سارعتا لتدهنان جسد الميت بالطيب. فقد ورد: (وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه. وباكراً جداً في أول الأسبوع- أي فجر يوم الأحد- أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس، وكُن يقلّن فيما بينهن: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلّعن ورأين أنّ الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً..)[1].

فالنسوة، ومريم المجدلية من بينهن، أسرعن إلى القبر صباح الأحد. ليس لينظرن إلى قيامة المسيح الناصري من بين الأموات، بل (ليأتين ويدهنه). ومن هذا ندرك كباحثين مدقّقين، أن تلاميذ المسيح ما كانوا ينتظرون موته وقيامته ليصبح كفّارة عن ذنوبهم.

وهذه القرينة يثبت منها عكس ما زعمه رواة الأناجيل وأجمعوا عليه من أنّ المسيح الناصري مات على الصليب، وقام من بين الأموات، ليصبح كفارة عن خطيئة آدم وحواء.

قد يرد على هذه القرينة قائل يقول: لقد كان سبق للمسيح الناصري أن اتفق مع تلاميذه أن يجتمع بهم بعد قامته من الأموات على جبل الجليل. ويستدلّ بقول متى: (ها هو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه)[2]. وقول مرقس: (إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم..)[3]. ولذلك كانوا ينتظرون لقاءه على جبل الجليل وليس فجر يوم الأحد على القبر. أقول هذه مزاعم لا يصدقها واقع ما جرى. فإن نحن عدنا إلى إنجيل متى نلاحظه قد قال: (وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل حيث أمرهم يسوع.. ولمّا رأوه، سجدوا له، ولكن بعضهم شكّوا، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إليّ كل سلطانٍ في السماء وعلى

---

(1) إنجيل مرقس (١/١٦).

(2) إنجيل متّى (٢/٢٨).

(3) إنجيل مرقس (٧/١٦).

الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابـن والـروح القدس..)[1]. هذا ما رواه متى.

لكننا إذا رجعنا إلى إنجيل مرقس نلاحظه قد قال: (أخيراً ظهر للأحد عـشر وهم متكّئون، ووبخ عدم إيما م وقساوة قلو م لأ م لم يصدقوا الذين نظروه قـد قام. وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كُلّها. مـن آمـن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن. وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلّمون بألسنةٍ جديدة يحملون حياتٍ، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون..)[2]. فهذا الكلام يتضارب مع مـا أورده إنجيل متى في نواحي كثيرة يدركها كلّ قارئٍ للنصين. ولا يثبت منها أنّ تلاميـذ المسيح كانوا ينتظرونه من أنفسهم على جبل الجليل، بل على حسب ما روى متى (ولكن بعضهم شكّوا) وعلى حسب ما رواه مرقس (ووبخ عدم إيما م وقـساوة قلو م لأ م لم يصدقوا الذين نظروه قد قام).

وإن نحن رجعنا إلى إنجيل لوقا، فلا نجد أثراً للقاء المسيح الناصري بتلاميـذه على جبل الجليل، بل في أورشليم. فقد ورد: (فقاما في تلك الساعة ورجعـا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم. وهم يقولون إنّ الـرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان. وأما هما، فكانا يخبران بما حدث في الطريق وكيـف عرفاه عند كسر الخُبز. وفيما هم يتكلّمون ذا وقف يسوع نفسه في وسـطِهم، وقال له: سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهـم: مـا باللكُم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يدي ورجلي إنيّ أنا هو.

---

(١) إنجيل متّى (١٦/٢٨).

(٢) إنجيل مرقس (٤/١٦).

جسوني وانظروا فإنّ الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قـال هـذا أراهم يديه ورجليه)[1].

وأما إنجيل يوحنا فلم يتطرق إلى جميع ما أوردته الأناجيل الأخرى. بل روى أموراً لا تمت إلى اجتماع المسيح بتلاميذه في الجليل ولا شيئاً من ذلك. بـل روى اجتماعات في طبرية وسواها مما لا حاجة بنا إلى إيراده في هذا المقام.

وأنا أرجو من القارئ أن يتدبر جميع هذه النصوص التي نقلتها له، وينظر، هل يثبت ولو من واحدة منها ما يشكّل قرينة تؤكّد إيمان تلاميذ المسيح بقيامته مـن الأموات وانتظارهم لها؟

القرينة الثانية: وكلّ عاقل مفكّر، يفترض، إذا كان القصد من وجود المسيح الناصري في هذا العالم أن يفتدي خطيئة آدم وحواء بنفسه فيموت ومن ثمّ يقوم من بين الأموات، وأنّ هذا كان ابناً وحيداً لله خالق السموات والأرض، وباراً بوالده، ويحمل بعضاً من قوى الربوبية. فإن صح ذلك القصد وهذه الأمور في نظر الإنسان العاقل المفكر كما قلت، فإنه يفترض أن يسمع من رواة الأناجيـل، أنّ المـسيح الناصري كان ينتظر تحقق ذاك القصد بفارغ الصبر على يديه، فينتظر ساعة موتـه على الصليب وهو في شوقٍ زائدٍ إليها، ليرضي الذي أرسله ويثبت عدم عقوقيتـه له. وليس أن يبدو حن تقترب الساعة تلك، خائفاً منها، ويعود يخاطـب الـذي أرسله ليعفيه من مهمته تلك. وكأنّ الذي أرسله لا يملك قلب حنان على ولـده، بقدر ما يملك من حنانٍ على الذين يعصونه ولا يقيمون لوصاياه وزناً.

فإن نحن دققنا في الأناجيل، فلا نلحظ وجوداً لهذا التصور والافتراض، وهذه قرينة. بل نلحظ ما يعاكس ذلك تماماً.

ذلك أن إنجيل متى يروي لنا ما أصاب المسيح الناصري من خوفٍ وهلع، مما أرسله والده لتنفيذه على حسب ما يزعمون، فقد ورد: (وابتدأ يحزن ويكتئـب،

([1]) إنجيل لوقا (٢٤/٣٣).

فقال لهم: نفسي حزينة جداً، حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معـي. ثمّ تقـدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلّي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت)[1]. فمتى يصف حال المـسيح وقـد دنت ساعة تعليقه على خشبة الصليب، أنه حزن واكتأب إلى حد أن تزهق روحه وأخذ يصلّي ويرجو أباه أن يعفيه من هذه المهمة. ولخشيته من بطش أبيـه كـان يقول (ولكن ليست كما أريد أنا، بل كما تريد أنت). ويضيف متى: (فمـضى- أي يسوع- ثانية وصلّى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس، إلاّ أن أشر ا، فلتكن مشيئتك.. وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه). ولا يروي لنا أي جوابٍ سمعه المسيح الناصري من أبيه الذي إن كان يسمع كلام ابنه، فعلى الأقـل كان عليه أن يواسيه ويصبره ويشبعه حناناً. لكن هذا الأب المزعوم كان يملك قلباً أشد قساوةً من الحجارة الصماء. وهل يستسيغ عقل القارئ أن يحدث هذا إن كان ما رواه متى صحيحاً؟

وإنّ إنجيل مرقس (١٤/٣٤-٤٣) راح يروي نفس الحادثة، وإنمـا بألفـاظٍ مختلفة.

أما إنجيل لوقا فقد روى الحادثة بألفاظٍ مختلفة، ومما ذكره أنّ المسيح: (كان يصلّي بأشد لجاجةٍ، وصار عرقُه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض..)[2].

وأما مؤلّف إنجيل يوحنا فلم يتعرض لذكر هذه الحادثة من قريـبٍ ولا مـن بعيد. وكأنه لم تصله أخبارها. بل الذي ورد في إنجيل يوحنا: (تكلم يسوع ـذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الأب قد أتت الساعة- سـاعة تعليقـه علـى الصليب- مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسدٍ ليعطي حياةً أبديةً لكلّ من أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية: "أن يعرفـوك أنـت الإلـه

([1]) إنجيل متّى (٢٦/٣٨).

([2]) إنجيل لوقا (٢٢/٤١).

الحقيقي، وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"..)[1]. فما أبدع هذه الكلمات أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك فهذا هو التوحيد بعينه. فما هي م لة يـسوع تجاه هذا الإله الحقيقي؟ الجواب (ويسوع المسيح الذي أرسـلته) أي أنّ يـسوع اعترف من خلال هذه الجملة أنه مجرد رسول أرسله الإله الحقيقي. فلا هو رب ولا هو ابن الله، ولا هو الفادي المخلّص.

وأنا أرجو من القارئ أن يتدبر جميع ما أوردته هنا من نصوص إنجيلية وينظر: هل يثبت ولو من واحدة من هذه النصوص ما يشكّل قرينة تؤكّد أنّ الغاية مـن إرسال وبعث المسيح الناصري هو أن يموت على الصليب ويكون كفّارة ومخلّصاً؟ فهل ورد في هذه النصوص ما يفيد أنّ المسيح كان يرجو ليرسل الإله الحقيقي بدلاً عن المسيح رجلاً آخر يفتدي خطيئة آدم وحواء بدلاً عنه. وأين القانون الطبيعـي الذي يسلّم به البشر منذ أن وجدوا على وجه الأرض والمُعبر عنه بالقول: (لا تزر وازرةٌ وزر أخرى)؟

القرينة الثالثة: وكلّ عاقل مفكّر، لا بد أن يفترض أنّ المسيح الناصري المُنبـأ عن ظهوره في التوراة، أن تكون التوراة نفسها قد أنبأت عن أنه سيكون ابن الله، وأنه سيموت تكفيراً عن خطيئة آدم وحواء ويقوم من الأموات، ويصبح كفّارة لمن يؤمن به.

فإن نحن عدنا إلى الصراع الذي دار بين كهنة اليهود وبين المسيح الناصري، فلا نلاحظ أنه دار حول هذه النقطة وهذه العقيدة، بل حول كونه نبياً صـادقاً أو كاذباً. ذلك أنّ الذي دفع اليهود ليصلبوا المسيح وليقتلوه، هو النص الوارد في سفر التثنية: (سأقيم لهم نبياً من وسط إخو م مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكلّ ما آمره به. وأي رجلٍ لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإنيّ أُحاسـبه عليه. ولكن النبي الذي اعتد بنفسه فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقـول أو تكلّـم

(١) إنجيل يوحنّا (١/١٧).

باسم آلهةٍ أُخرى، فليقتل ذلك النبي)[1]. ولا بأس أن أورد نفس النص المطبوع على نفقة جمعية التوراة الأميركانية قبل التاريخ المذكور، فالنص مترجم هنـاك ترجمـة حرفّية عن اليونانية (١٨/١٨): (أُقيم لها نبياً من وسط إخوتهم مثلـك، وأجعـل كلامي في فمه، فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به. ويكون أنّ الإنسان الذي لا يـسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه. وأما النبي الذي يطغي، فيـتكلّم بـاسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلّم به، أو الذي يتكلّم باسم آلهة أُخرى، فيموت ذلك النبي).

لا شك أنّ بين الترجمتين بعض الفروق، والذي يهمنا منها آخر جملة من كلّ ترجمة. ففي ترجمة عام ١٨٧٠م، كانت آخر جملة (فليقتل ذلك النبي) على حـين وردت الجملة الأخيرة ١٩٨٩ في

الطبعة الأخرى (فيموت ذلك النبي) وبين الجملتين فرق واضح.

فالجملة الأولى حددت طريق موت النبي الكاذب وتأمر بقتله. على حـين لم تحدد الجملة الأخرى طريق موت النبي الكاذب. ولا يعقل من حيث المبدأ أن يقـع في الترجمة مثل هذا الاختلاف في الدلالة، إلاّ أنّ يكون المترجم قد حرف المعـنى الأصلي.

وأنا لا أخوض هنا في أمر هذا الاختلاف. وأتناول النتيجة التي تترتب علـى دلالة النصين، وهي أن يموت مدعي النبوة الكاذب إما قبل إتمام رسالته، أو يموت قتلاً. وهو ما سعى اليهود إليه ليثبتوا كذب المسيح الناصري في ادعائه للنبوة.

فاليهود بدافعٍ من هذا النص التوراتي بالذات، سعوا إلى صلب المسيح وقتله. وهم زعموا أنهم أفلحوا في سعيهم وأماتوا المسيح على الصليب وأثبتوا بذلك كذبه وبطلان نبوته. فالصراع دار إذاً حول نبوءة المسيح الناصري وليس حول أمرٍ آخر.

ثمّ إنّ المسيح الناصري قال: (لا تظُنوا أني جئت لأنقّض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقّض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض،

([1]) الكتاب المقدس- بيروت- ١٩٨٩م- سفر التثنية (١٨/١٨).

لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكُلّ. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلّم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلّم، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات. فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات)[1].

المهم في الأمر أنّ المسيح الناصري لم يدع أنه جاء بأمرٍ يخالف التعاليم التوراتي. وإنّ عقيدة "الكفّارة" التي يعتقدها رواة الأناجيل الأربعة، تخالف صريح التعليم التوراتي. وعليه فالصراع الذي دار بين كهنة اليهود وبين المسيح الناصري حول نبوته، واستناداً للنص الوارد في سفر التثنية، إذا انتهى بموت المسيح على الصليب، فاليهود يعذرون إن هم لم يؤمنوا بنبوته. وما دام المسيح نفسه لم يزعم أنه أتى بشيء يخالف التعليم التوراتي، بل ليكمل وبما لا ينقض حرفاً من التوراة. فإنّ هذه الأمور مجتمعةً لا بد أن تشكّل قرينة على أنّ من المستحيل أن يكون المسيح الناصري قد مات على الصليب. وهذه قرينةٌ ثالثة تميل بالباحث المُدقّق أمثالي ليرجح عدم موت المسيح الناصري على الصليب. وأترك للقارئ أن يتدبر معالم هذه القرينة وينظُر فيما إذا كان يتفق ورأيي فيها.

القرينة الرابعة: وكل عاقل مفكّر لا بد أن يرجع إلى أقوال المسيح الناصري نفسه ليحدد دائرة المهمة والرسالة التي بعثه الله تعالى ليؤديها.

والذي لاحظته أنّ المسيح الناصري راح يكرر جملةً في مناسبات عديدة، وهي قوله في إنجيل متى: (لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[2]. هذه الجملة وردت في الطبعات القديمة الحرفية. على حين وردت نفس الجملة في طبعة بيروت عام ١٩٨٩م (لم أرسل إلاّ إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل). أي أنهم

---

(١) إنجيل متّى (١٧/٥-٢٠).

(٢) إنجيل متّى (٢٤/١٥).

أدخلوا الألف واللام على كلمة خراف، وهو الأصح في نظري. فالمسيح عبر عن أسباط بني إسرائيل المشتتة خارج فلسطين، والتي سباها بختنصر ملك العراق قبل المسيح بـ (٥٨٨) عام، والتي لم يعد منها إلا سبطان، سمح لهما وريث بختنصر على عرشه بالعودة إلى فلسطين.

أقول: إنّ المسيح الناصري أطلق مجازاً (لفظ الخراف الضالة) على الشتات من الأسباط اليهود التي تشتتت خارج فلسطين.

والمسيح الناصري أكد على أنّ (من مهمته السياحة إلى الأقطار التي هاجرت إليها تلك الأسباط اليهودية لتبشيرها ولمّ شملها أيضاً. صرح بذلك في إنجيل يوحنا بقوله: (ولي خراف أُخر ليست من هذه الخطيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي وتكونّ رعيةٌ واحدةٌ وراعٍ واحد. لهذا يحبني الأب لأني أضع نفسي لأخذُها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي)[1]. ومقابل هذه الترجمة الحرفية، فقد ورد في ترجمة طبعة بيروت عام ١٩٨٩ م ما يلي: (ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة- أي خارج فلسطين- فتلك أيضاً لا بد لي أن أقودها، وستصغي إلى صوتي فيكون هناك رعيةٌ واحدةٌ. إن الأب يحبني لأني أبذل نفسي لأنالها ثانية. ما من أحدٍ ينتزعها مني ولكني أبذلها برضاي. فلي أن أبذلها، ولي أن أنالها ثانية. وهذا الأمر تلقّيته من أبي).

والمّهم في الأمر أنّ المسيح الناصري كان مكلّفاً بصورة رسمية أنه، إذا ما أنقذه ربه من الموت على الصليب، فمن واجبه أن يسيح إلى الأقطار خارج فلسطين، تلك الأقطار التي يتواجد فيها الشتات من خراف بيت إسرائيل أي الشتات من الأسباط الإسرائيلية المسبية على أيدي بختنصر، والتي توزعت في بلاد فارس وما وراءها.

---

(١) إنجيل يوحنّا (١٠/١٦).

فهذه الأقوال تعد قرينة واضحة على أنّ المسيح الناصري، إن مات على الصليب، فلا يعود قادراً على الهجرة لتبشير جميع الخراف الضالة التي ليست هي من حظيرة فلسطين.

وإني أترك للقارئ أن يقلّب أقوال المسيح التي نقلناها له، على أوجهها، وينظر: أفلا تعد في نظره قرينة واضحة على ضرورة الأخذ بالرأي القائل بعدم موت المسيح الناصري على الصليب؟

ثانياً- الدلائل الإنجيلية التي تثبت عدم موت المسيح على الصليب:

سبق أن قلت إن إجماع كتبة الروايات الإنجيلية على موت المسيح الناصري على الصليب، إنما هو من قبيل الإدعاء ليس إلاّ. وإلاّ فلم يقدم لنا هؤلاء أية بينةٍ قانونية تثبت صدق ما أجمعوا عليه سوى القيل والقال.

دلائل عدم موت المسيح على الصليب:

ولا بد أن لاحظ القارئ القرائن الأربعة التي قدمتها، والتي ترجح عدم موت المسيح على الصليب. هذا وإني بعد تدقيقٍ للنصوص الإنجيلية، عثرت على أدلة موجبة الدلالة، تثبت عدم موت المسيح الناصري على الصليب. وإلى القارئ هذه الأدلّة فلعلّها تقنعه بما أسعى لإثباته.

الدليل الإنجيلي الأول:

من المعلوم أن وسائل تنفيذ عقوبة الإعدام تعددت عبر تاريخ البشر. فقد كان المحكوم عليه بالإعدام يحرق، وتارة يصلب، وتارة يطلق عليه الرصاص، وتارة يقطع رأسه بالسيف وتارة يشنق بحبل المشنقة، وابتدعت فرنسا المقصلة للتخفيف من عذاب المحكوم عليه.

وإن وسيلة إعدام المحكوم عليه بتعليقه على خشبة الصليب، كانت إحدى أقسى وسائل الإعدام. ذلك لأنّ الذي يريدون صلبه، لا تكفي ساعات لموته. بل كان لا بد من إبقائه طوال الأسبوع معلّقاً على خشبة الصليب ليموت، ليس

بسبب نزيفٍ دموي يصيب يديه ورجليه، بل ليموت عطشاً وجوعاً وإعياءً. فما كان ليسمى أي إنسان مصلوباً إلا إذا مات على الصليب. وإلا فلا تعتبر عملية تعليقه وحدها صلباً. كما يعتبر من يسقط في الماء غريقاً.

فإذا عدنا ندقق محاولة صلب المسيح الناصري، من هذا الفهم ومما احتوته الروايات الإنجيلية التي بين أيدينا. نلاحظ أنها أجمعت على أنهم علّقوا المسيح على الصليب منتصف أو عصر يوم الجمعة الذي يسمونه "يوم التهيئة". بسبب أن اليهود يتهيئون يوم الجمعة لاستقبال يوم السبت كيوم راحة لهم. فإذا ترجمنا هذا الإجماع إلى لغة الأعداد. نقول إنّ المسيح الناصري لم يبق معلّقاً على الصليب إلا ساعات تتراوح ما بين ثلاث إلى ست ساعات. وهذه المدة لا تكفي يقيناً ليموت المسيح من جراء ما يسببه له التعليق على الصليب من آلام. خصوصاً وأن اللّصين اللذين علّقا لم يمت منهما أحد. وهذا الأمر يشكل أول دليل مستنبط من هذا الإجماع الإنجيلي الذي ذكرناه.

ولا أدري مدى غفلة متى ومرقس ولوقا ويوحنا عن حقيقة هذا الدليل الإيجابي. فلو أنهم استعملوا عقولهم، وتدبروا الأمر من هذه الزاوية التي نظرنا ولما وصلهم من روايات بهذا الشأن لخجلوا من أنفسهم أن يدرجوا هذه الروايات في أناجيلهم، على حسب ما أتصوره وأعتقده.

ثم إنّ هذه الأناجيل لم تنقل لنا في أي موضع منها أن المسيح الناصري كان يشكو قبل واقعة الصلب من مرض أو ضعف قلب أو سواه من الأمراض. بل على العكس من ذلك، فقد روت أنّ المسيح تعرض لحادثة صلبه وهو لا يزال في سن الثالثة والثلاثين من عمره. أي أنه كان في ريعان صباه.

والروايات الإنجيلية التي ذكرت لنا استهزاء اللّصين بشخص المسيح وبعض ألفاظ الإهانة التي كانا يوجهانها إليه، لم تورد إطلاقاً أن أحداً من هذين اللّصين طلب أن يشرب وقال إني عطشان على شاكلة ما فعله المسيح الناصري نفسه.

ولا أوردت لنا هذه الأناجيل أن أحداً من هذين اللّصين قد مات. وما دام الأمر كذلك فلا يستسيغ الإنسان العاقل أن يعطش المسيح وحده، وأن يموت وحده من بينهما، ولا يكون وراء الأكَمةِ ما وراءها.

ثم إنّ رواة الأناجيل، اختلفت رواياتهم فيما حدث في آخر اللّحظات التي مر بها المسيح وهو على الصليب، كما اختلفت فيما تفوه فيه من ألفاظ ولنستعرض معالم ما اختلفوا فيه: فنحن نلاحظ أنه في الوقت الذي جاءت رواية إنجيلي متى ومرقس قريبتان فيما روياه من أنه: (وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم.. إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقال قوم من الحاضرين لمّا سمعوا: هو ذا ينادي إيليا. فركض واحد وملأ اسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وسقاه قائلاً: اتركوا لننظر هل يأتي إيليا لينزله. فصرخ يسوع بصوتٍ عظيمٍ وأسلم الروح).

هذا على حين أننا نلاحظ أنّ إنجيل لوقا يختلف فيما رواه، وكلّ ما ذكره هو هذه الجملة فقط: (فصاح يسوع بأعلى صوته، قال: يا أبت في يديك أجعل روحي، ولفظ الروح).

فلم يذكر انجيل لوقا أنّ المسيح قد صاح إلاّ صيحة واحدة. وأنّ المسيح نادى (يا أبت) بينما نادى المسيح في إنجيل متى ومرقس (يا إلهي) ولا شك أنّ بين اللّفظين فرق معنوي كبير.

أما يوحنا وهو الإنجيل الرابع فقد ورد فيه مقابل ذلك: (وبعد ذلك كان يسوع يعلم أنّ كُلّ شيءٍ قد انتهى، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان. وكان هناك إناءٌ مملوءٌ خلاً. فوضعوا إسفنجةً مبتلّة بالخلّ على ساق زوفا، وأدنوها من فمه. فلما تناول الخلّ، قال: تمّ كلّ شيء، ثم حنى رأسه، وأسلم الروح).

لا شك أنني صرحت سابقاً أنني أتفق مع القائلين أنّ الأناجيل الأربعة يكمِل بعضها البعض الآخر. وعلى هذا الأساس دقّقت في هذه الروايات. وتساءلت أول ما تساءلت: ولكن ما دلالة هذه الاختلافات التي وقع فيها أصحاب هذه الأناجيل؟

ودقّقت نواحي الاختلاف، ولم يستسغ عقلي ما رواه إنجيلا متى ومرقس أن يصيح المسيح

(إلهي، إلهي لماذا تركتني؟). فهذه جملةٌ توحي إلى سامعها أنها صادرةٌ عن فؤادٍ قنط من رحمة الله، ولم يعد يشعر بعطفه وحنانه. وهذا المضمون يتنافى وما ورد في سفر المزامير: (البار المتألّم محمي في المحنة)[1]. فلا يستسيغ عقلي أن يكون المسيح الناصري صادقاً، ويتخلّى عنه ربه في أحرج لحظات حياته.

وها أنّ إنجيل لوقا، لم يرو هذه العبارة، بل روى صياح المسيح (يا أبت في يديك أجعل روحي). وهي فقرةٌ أخف وقعاً على النفس، وتشعر باستسلام المسيح لمشيئة الله وقدره. ومع ذلك فالزعم (فصاح يسوع بأعلى صوته، قال..)، لا أراها تليق أن تنسب إلى رجلٍ في منزلة المسيح الناصري. أما ما كتبه إنجيل يوحنا، فهو الأكثر اتزاناً وقبولّية ومعقولية، ويتفّق مع ما أحاول إثباته في هذا الكتاب. فهو كتب يقول: (فلما تناول الخلّ، قال: تمّ كلّ شيء، ثُم حنى رأسه وأسلم الروح). ففي هذه الجمل ربطٌ موضوعي بين سقاية الخلّ، وبين (تمّ كلّ شيء). ويبدو من خلال هذا الربط أنه كانت هناك خطّة مدبرة في الخفاء من حلقاتها أن يسقوه الخلّ، وأن تنجح الخطّة لتخدير المسيح، وينتهي الأمر به ليحني رأسه ويسلم الروح ظاهرياً.

وألفاظ يوحنا هذه لها حقيقتها ودلالتها، فهي كشفت لي على أقلّ تقدير أنّ تعليق المسيح الناصري على الصليب ساعاتٍ معدودات ما كانت لتكفي لإماتته عليه. وكانت هناك خطّة خفية لإنقاذه من هذه الميتة. وهو أن يسقوه مخدراً بحيلةٍ ما لتخديره. شرط أن يعطي المسيح الإشارة التي تبرر لهم سقايته هذا المخدر. وهذه الإشارة أن يقول (إني عطشان) ليسارع من جهزوه هذا المخدر ليسقيه إياه. وهذا الأمر يفسر معنى تواجد الخلّ الممزوج بمرارة، ووجود الإسفنجة والقصبة،

---

(1) سفر المزامير (١٢/٣٤).

والشخص الذي سارع بعد سماع الإشارة (أنا عطشان) وسقاه، فأين الحُراس وأين تقاليد أن يترك المحكوم عليه بالصلب ليموت جوعاً وعطشاً؟

وإنّ ما يؤكّد فهمي وتحليلي لهذه الفقرات، هو ما نطق به المسيح الناصري قبل أن يصيح (إني عطشان). فقد نقل يوحنا قوله: (وبعد ذلك كان يسوع يعلم أنّ كُلّ شيءٍ قد انتهى. فلكي يتم الكتاب، قال: أنا عطشان). أي أنّ المسيح نفسه كان يرقب تنفيذ حلقات الخطّة الموضوعة لإنقاذه من محنته، وهذه دلالة قول يوحنا من أنّ المسيح كان (يعلم أنّ كلّ شيء قد انتهى).

ثم إنّ جملة (فلكي يتم الكتاب) تؤكد أيضاً وجود الخطّة المذكورة. ففي هذه الجملة إشارة إلى وجود نبأٍ سابقٍ عن مساعدته في محنته وإنقاذه من الموت على الصليب. وهل نسينا ما ورد في سفر المزامير أن (البار المتألّم محمي في المحنة)؟ والمسيح الناصري كان باراً ومحمياً في محنته.

والدليل الأعظم على وجود خطّة مدبرة لإنقاذ المسيح من محنته، فلا يتمكّن أعداؤه من إماتته على الصليب. هو ما حدث حين أراد هؤلاء إنزال المسيح من على الصليب. يوحنا أورد قوله: (فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه. وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات.). أي أن المخدر فعل فعله في تخدير المسيح الذي نكّس رأسه من جراء شربه، وبدا للعسكر ولسواهم أنه أسلم الروح. علماً بأن ساعات معدودة ما كانت لتكفي ليموت على الصليب. فالمسيح شبه للناظرين مقتولاً ومصلوباً وفق التعبير القرآني. فهذا هو دليلي الإنجيلي الأول الذي يثبت منه عدم موت المسيح الناصري على الصليب.

الدليل الإنجيلي الثاني:

لقد كان من التقاليد السائدة عند اليهود زمن واقعة الصلب، ألاّ يترك المحكوم عليه على الصليب يوم السبت. بل ينزلونه من عليه عشية يوم الجمعة الذي كانوا

يسمونه "يوم التهيئة"، فإذا تبين لهم أن المصلوب لم يمت على الصليب، يكسرون ساقيه قبل إنزاله إجهازاً منهم عليه.

والذي يتبين لنا من خلال الروايات الإنجيلية، أنّ الحاكم الروماني بيلاطس، ظلّ يماطل اليهود إلى أن أتى يوم الجمعة، فأبدى حينئذٍ موافقته على صلب المسيح ظاهراً. فلا يبق المسيح على هذه الشاكلة على الصليب أكثر من ساعاتٍ معدودة، ويأمر فلا تكسر ساقاه.

ولنستمع إلى ما رواه كاتب إنجيل يوحنا حيث قال: (وكان ذلك اليوم يوم التهيئة. فسأل اليهود بيلاطس أن تكسر سوق المصلوبين، وتنزل أجسادهم، لئلاّ تبقى على الصليب يوم السبت، لأن ذاك السبت يوم مكرم. فجاء الجنود، فكسروا ساقي الأول والآخر اللّذين صلبا معه. أما يسوع، فلما وصلوا إليه ورأوه قد مات، لم يكسروا ساقيه. لكن واحداً من الجنود طعنه بحربةٍ في جنبه، فخرج لوقته (وفي الطبعات القديمة "وللوقت")- واللّفظيين بمعنى فوراً- فخرج لوقته (دم وماء)، والذي رأى شهد، وشهادته صحيحة، وذاك يعلم أنه يقول الحق، لتؤمنوا أنتم أيضاً. فقد كان هذا ليتم الكتاب "لن يكُسر له عظم". وورد أيضاً في آيةٍ أُخرى من الكتاب "سينظرون إلى من طعنوا")[1].

يبدو من خلال ألفاظ رواية يوحنا هذه، أنّ المخدر الذي سقوه للمسيح الناصري وهو على الصليب، أتى أُكُله، وخدره ونكّس رأسه وكأنه ميت. وتراءى للجنود أنه ميت.

والميت لا تكسر سيقانه، فلم يكسروا ساقيه، ونجي المسيح عليه السلام من جراء ذلك من الموت على الصليب، ميتة اللّصين اللذين صلبا معه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد. فلا يعقل أن تنطلي هذه اللعبة الذكية على الجنود الأربع الذّين كانوا هناك. ففطن أذكاهم إلى أنه لا يعقل أن يكون المسيح قد

---

(1) إنجيل يوحنّا (١٩/٣١).

مات وحده من بين الثلاثة، وخلال ساعات معدودة. وظن أنّ الأمر انطلى على رئيسه، فعمد إلى حركةٍ هي من صميم علم الطب. فالقلب يضخ دم الجسم ما دام ينبض بالحياة.

فإن جرح الجسم يخرج هذا الدم للوقت، أي فوراً، بسبب الدفع الذي يسببه له القلب الحي. لذلك، وكما يروي لنا إنجيل يوحنا "لكن واحداً من الجنود طعنه بحربة في جنبه". فماذا حدث إثر هذه الطعنة؟ الذي حدث كما يروي لنا إنجيل يوحنا: "فخرج لوقته- أي للوقت وفوراً- دم وماء". ومع أن رئيس الجُند رأى بأم عينيه الدليل القاطع على أنّ المسيح لم يمت على الصليب وأنه لا يزال قلبه ينبض بالحياة. فلم يأبه لهذا الدليل وظلّ مصراً ألاّ يكسر الجنود ساقي المسيح الناصري. فلماذا وقف رئيس الجُند هذا الموقف؟ لا يقف أمثاله هذا الموقف، إلاّ إذا كان قد تلقى أمراً بذلك من بيلاطس، ووفق خطّة موضوعة الغرض منها إنقاذ المسيح من محنته.

وأنا راجعت عدداً من الأطباء المختصين ورويت لهم مجريات هذه الحادثة كما لاحظنا آنفاً. فلم أجد أنّ أحداً من هؤلاء الأطباء قد اختلف معي فيما ذهبت إليه من رأي. وعلى العكس من ذلك أظهروا كلّ اندهاشٍ وحيرةٍ أن كيف لا ينتبه إلى هذه الحقيقة أحد من الذين يطالعون هذه الأناجيل؟ فالحادثة بألفاظ إنجيل يوحنا فيها كلّ الدلالة على أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب.

والذي لاحظته أيضاً هو أن الذين أشرفوا على طباعة طبعة عام ١٩٨٩ م، كانوا يقظين لملاحظتنا. وقد حاولوا تشويه الحقيقة وحرف الأنظار عنها، وذلك من خلال حاشيةٍ دونوها على صفحة (٣٥٥) من العهد الجديد جاء فيها: (لهذه الظاهرة تفسير طبيعي، فقد يسيل الدم أيضاً لوقته بعد الموت، ويكون الماء نتيجة سيلان غشائي).

وأنا أرجو من القارئ أن يستفت أي طبيبٍ شرعي مختص، مع تنبيهه إلى أنه كان قد مضى على تنكيس المسيح لرأسه وتسليمه روحه حسب زعم الأناجيـل، كان قد مضى أكثر من ساعةٍ أو ساعتين حسبما يستفاد ذلك من الأناجيل نفسها. فالمسيح لم يمت في الدقيقة التي جاء الجند ليـ لوه فيها عن الصليب حتى يقال أنـه لربما حدث ذلك لهذا السبب. بل مضى زمن يزيد عن مائه دقيقة. فلو كان المسيح مات قبلها، لكان دمه قد تخثر، ولا يخرج دم فوراً إثر طعنه. فليستفت القارئ هذه الفتوى من الذين يعرفهم من الأطباء.

على هذه الصورة أكون قد قدمت بينةً وبرهاناً ثانياً ومن الأناجيل نفـسها، يثبت منها تأييدها للطّرح القرآني، وهو أنه أي المسيح الناصري، أورد القرآن بحقه (ولكن شبه له) أي شبه لهم مقتولاً ومصلوباً وهو على الصليب، على حين كـان مخدراً وحياً. وأنزلوه حياً عن الصليب، وفق قول القرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

٤- خطّة بيلاطس لإنقاذ المسيح من محنته:

لا شك أنّ الذي يطالع الفصل الذي أفردته للكلام عن تـاريخ الأناجيـل، والذي أسميته "قصة الأناجيل"، تضعف ثقته بصحة كل ما أورده مؤلفـوا هـذه الأناجيل الأربعة من أخبار وروايات. ويجد نفسه مضطراً لإعادة نظره في كلّ مـا يقرأه منها. خصوصاً وأن رواة الأناجيل اعتمدوا روايات أشـخاص لم يـذكروا أسماءهم ولا قدموا أبحاث تثبت صدقهم فيما رووه، ولا كان بين هؤلاء الرواة من شاهدٍ قد شاهد أحداث واقعة الصلب بأم عينيه. بل وإن هـذه الروايـات الـتي اعتمدها الذين كتبوا الأناجيل، وعلى حسب ذمة ما ورد في المدخل إلى الكتـاب المقدس للعهد الجديد والمطبوع في لبنان عام ١٩٨٩ م وعلى الصفحة السابقة منه. ذهبوا إلى أن هذه الروايات الإنجيلية اجتازت (نحو أربعة عشر قرناً مـن التـاريخ الحافل بالأحداث التي مضت بين تأليفها من جهة، وضبطها على وجهٍ شبه ثابت، عند اختراع الطّباعة من جهة أخرى. ولا غنى له في الوقت نفسه عن أن يـشرح كيف يمكن ضبط النص، بعدما طرأ عليه من اخـتلافٍ في الروايـات في أثنـاء النسخ..).

وقد سبق لي أن صرحت في فصل "قصة الأناجيل" أني لا أسعى للتـدخل في شأن لا يعنيني، عندما جلست أدقّق في روايات الأناجيل. بل أقوم ـذا التـدقيق بدوافع إنسانية سعياً وراء التوفيق بين أهل مختلف أصحاب الديانات. ولذلك فأنا أتوسل إلى كلّ مسيحي ويهودي يريد وجه ربه ويسعى للخـلاص في آخرتـه أن يأخذ ما كتبته في هذا الكتاب نظرة جد وتسامحٍ على أقل تقدير.

وإني أفردت هذا الفصل من كتابي لجميع ما عثرت عليه من خيـوطٍ تـدلّ دلالةً واضحةً على أنّ الحاكم الروماني "بيلاطس البنطي" ما استساغ مطالبة اليهود له ليصلب المسيح الناصري. فهو علم أنهم يريدون موته هذه الميتة الشنيعة حـسداً من عند أنفسهم، وخلافاً للقانون الروماني النافذ في ولايته، وبدافع من مـصلحته

الشخصية أيضاً. فقد كان هذا الإنسان يحمل بين جنباته مشاعر إنسانية، ولم يكن سياسياً بالمعنى المعروف الذي يهدف إلى إرضاء الجماهير لكسب احترامهم له وزعامته عليهم. خصوصاً وأنّ هؤلاء اليهود الغوغائيين المُتزمتين أهانوا هذا الحاكم حين هددوه بالشكوى إلى قيصر دون مبرر كما ثبت ذلك مما رواه إنجيل يوحنا في الإصحاح (١٢/١٩) منه. وهذه الخيوط والحقائق التي عثرت عليها دفعتني دفعاً لأعتقد أنّ الحاكم بيلاطس، عندما يئس من محاولته إقناع اليهود بالعفو عن المسيح الناصري الذي لم يرتكب إثماً يدينه القانون الروماني، اندفع بمحركٍ من مشاعره الإنسانية النبيلة، وثأراً لكرامته التي أهانها اليهود، فوضع خطّة لإنقاذ المسيح من محنته.

وأبدأ بتصوير ما عرض لنفسية الحاكم بيلاطس من تقلباتٍ وتطوراتٍ أدت به إلى وضع الخطّة المُشار إليها. وذلك من النصوص الإنجيلية نفسها بلا زيادةٍ ولا نقصان:

فإنجيل متى يروي: (حينئذٍ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى "قيافا". وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكْرٍ ويقتلوه)[1]. وفي موضع آخر قال متى: (تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه)[2]. وفي موضع ثالث قال: (والذين أمسكوا يسوع، مضوا به إلى "قيافا" رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكتبة و الشيوخ)[3]. و قال أيضاً: (فمزق رئيس الكهنة حينئذٍ ثيابه قائلاً: قد جدف. ما حاجتنا بعد إلى شهود- وهذا اعتراف من قيافا أنّ الحاكم لا يقبل بادعاء دون شهود إثبات- ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت. حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه-

---

(١) إنجيل متّى (٣/٢٦).

(٢) إنجيل متّى (٥٠/٢٦).

(٣) إنجيل متّى (٥٧/٢٦).

يقصد أنهم فعلوا ذلك بالمسيح- وآخرون لطموه قائلين: تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك؟)[١].

ويتساءل القارئ هنا عما صدر عن المسيح الناصري من تجديفٍ مزعوم؟ وإنجيل متى يجيبه على هذا السؤال ويقول أ م سألوا المسيح: (أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قُلت)[٢]. وهل يستسيغ عقل الإنسان أن يعتبر هذه الإجابة تجديف؟ وأي نوعٍ من التجديف؟ التجديف الذي يستحق المسيح الناصري من جرائه عقوبة القتل والصلب.

ويتابع إنجيل متى يروي لنا ويقول: (ولمّا كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكنهة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه. فأوثقوه ومضوا به إلى بيلاطس البنطي الوالي)[٣]. والآن لننظر في الموقف الذي وقفه الوالي بيلاطس حيال هذا الموضوع:

فإنجيل متى يروي لنا ويقول: (فوقف يسوع أمام الوالي قائلاً- أي سأله الوالي أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع: أنت تقول. وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه، لم يجب- يسوع- بشيء. فقال له بيلاطس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه- يسوع- ولا عن كلمةٍ واحدةٍ، حتى تعجب الوالي جداً)[٤].

والآن ومن هذه اللّحظة التي أدرك بيلاطس فيها براءة المسيح الناصري مما ينسبونه إليه لنلاحظ ما جرى بعد تعجبه من صمت المسيح. فهو التفت إلى اليهود وقال لهم بصورةٍ مباشرة: (قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أُطلق لكم؟ باراباس أم

([١]) إنجيل متّى (٦٥/٢٦).

([٢]) إنجيل متّى (٦٢/٢٦).

([٣]) إنجيل متّى (١/٢٧).

([٤]) إنجيل متّى (١١/٢٧).

يسوع الذي يدعى المسيح؟ لأنه عِلم أنهم أسلموه حسداً). أي أنّ بيلاطس، وقد لاحظ براءة المسيح الناصري مما اتهموه به. أخذ يفكّر في طريقة ينقذ ا المـسيح من بين براثن هؤلاء اليهود الغوغائيون الذين أسلموه إليه حسداً من عند أنفـسهم على حسب ما روى متى في إنجيله منذ لحظات. وقد خطر لبيلاطس فكرة وهي أن يعرض على اليهود، وبأسلوبٍ دبلوماسي لطيف، أن يطلق سراح المسيح الناصري الموقوف لديه بمناسبة أن العيد على الأبواب، والعادة أن يطلق الحاكم قبل كل عيد أحد المحكومين بالموت.

وهذا إنجيل متى يفاجئنا بحدثٍ جديد طرأ على مسار الأحداث. حيث قال:

(وإذا كان بيلاطس جالساً على كرسي الولاية، أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذلك البار- تشير إلى المسيح الناصري- لأني تألّمت اليوم كثيراً في حلْـمٍ مـن أجله)[1]. فكم هي عجيبةٌ تقادير الله عز وجلّ الذي أخاف زوجـة بـيلاطس في منامها على هذه الصورة التي دفعتها دفعاً لترسل إلى زوجها وهو علـى كرسـي الولاية ذا التحذير المخيف؟ أفلا يدلّ ذلك على أن الحاكم بيلاطس أيقن بـبراءة المسيح الناصري من صميم فؤاده، وهو الذي أدرك من قبل أنهم أسـلموه إليـه حسداً، وهو الذي اقترح عليهم إطلاق سراحه بمناسبة العيد. أفلا نـستنبط مـن خلال تطّورات الأحداث هذه أنّ بيلاطس راح يخطّط لاشعورياً خطّة إنقاذ هـذا البار البريء من محنته؟

وإني لأعتقد أنّ الرؤيا التي أخبرته زوجته ا، لا بد أن تكـون قـد ألهبـت مشاعر بيلاطس زوجها فهذا ما يؤكده علماء النفس. فالإنسان يؤثّر ويتأثّر.

ولنعد الآن إلى ما يرويه لنا إنجيل متى عما فعله رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود، بعدما لاحظوا رب بيلاطس من الاستجابة لطلبهم لقتل المسيح. فهـو يقـول:

---

(1) إنجيل متّى (١٩/٢٦).

(حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس، ويهلكوا يسوع)[1]. و ذا الأسلوب الغوغائي حاولوا إثارة الجماهير ضد بيلاطس للضغط عليه جماهيرياً. وراح إنجيل متى يروي لنا ما قام به بيلاطس تجاه الجماهير الغاضبة قال: (قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ أجابه الجميع: ليصلب- فقال الوالي: وأي شر عمِل؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: لِيصلب)[2].

أفلا يتفق القارئ معي أن بيلاطس حاول مع الجماهير نفس المحاولة التي حاولها مع رئيس كهنة اليهود، وهو أن يستدرجهم ليعفو عن المسيح وليطلق سراحه بمناسبة يوم العيد؟ وألا يتفق معي أن جماهير اليهود كانوا في منتهى الانقياد الأعمى لكهنتهم وشيوخهم؟

ولنصغي إلى ما يرويه لنا متى عما حدث بعد ذلك وعن الخطوة التي خطاها الحاكم بيلاطس بعدما يئس من اليهود ومن كهنتهم وشيوخهم. قال: (فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً، بل بالحري يحدث شغب، أخذ ماءً وغسل يديه قُدام الجمع قائلاً: إني بريء من دمِ هذا البار. أبصروا أنتم)[3]. فما أعظم هذه الخطوة التي أقدم عليها بيلاطس دلالةً على يأسه من اليهود من جهة، وعلى التعبير عما يدور في أعماق قلبه من مشاعر إنسانية لصالح المسيح الناصري. فما كانت هناك من حاجةٍ لبيلاطس أن يفعل ذلك، لولا ما كان يضطرم في فؤاده من لهيب الصراع النفسي في نفسه.

ولا بد للمرء أن يتساءل هنا عن ردة فعل الجماهير اليهودية الغاضبة تجاه ما فعله بيلاطس، وماطلبه منهم. فهذا إنجيل متى يروي لنا ردة فعلهم ويقول:

---

(1) إنجيل متّى (٢٦/٢٠).

(2) إنجيل متّى (٢٦/٢٢).

(3) إنجيل متّى (٢٦/٢٤).

(فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا)[1]. وما ذنب أولادهم أن يحشروهم فيما يفعلونه بالمسيح الناصري؟

إلى هنا أكون قد أعطيت القارئ صورة كاملة عما رواه إنجيل متى حول ما حدث قبيل واقعة صلب المسيح الناصري.

وإنجيل مرقس لا يختلف كثيراً في روايته عما رواه إنجيل متى. وكلّ ما هنالك أنه توسع في الكلام عما قدمه رؤساء الكهنة من حجج واهية لإقناع بيلاطس بإدانة المسيح. فمرقس روى لنا قول هؤلاء: (وجدنا هذا- يقصدون المسيح- يفسد الأمة، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً: إنه هو مسيح ملك. فسأله بيلاطس قائلاً: أأنت ملك اليهود؟ فأجابه وقال: أنت تقول. فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجد عِلّةً في هذا الإنسان)[2].

وهنا يروي مرقس أن بيلاطس أرسل وهو موقوف إلى حاكم الجليل هيرودس المجاور له في ولايته ليحاكمه. لكن هيرودس وجده بريئاً أيضاً وأعاده إلى بيلاطس. وهنا يروي مرقس ويقول: (فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدمتم إليّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب. وها أنا قد فحصت قُدامكم، ولم أجد في هذا الإنسان علّة مما تشتكون به عليه ولا هيرودس أيضاً. لأني أرسلتكم إليه. وها لا شيء يستحق الموت صنع منه. فأنا أؤدبه وأُطلقه. وكان بيلاطس مضطراً أن يطلق لهم كُلّ عيدٍ واحداً. فصرخوا بجملتهم قائلين: خذ هذا، وأطلق لنا باراباس، وذلك كان قد طُرح في السجن لأجل فتنةٍ وقتل حدثت في المدينة)[3].

---

(1) إنجيل متّى (٢٥/٢٦).

(2) إنجيل مرقس (٢/٢٣).

(3) إنجيل مرقس (١٤/٢٣).

ويشارك إنجيل لوقا إنجيلي متى ومرقس فيما رووه لنا. ويزيد على ذلك ويقول حكاية عن بيلاطس أنه: (فناداهم أيضاً بيلاطس، وهو يريد أن يطلق يسوع. فصرخوا قائلين: اصلبه اصلبه. فقال لهم بيلاطس ثالثة: فأي شر عمل هذا؟ إني لم أجد فيه علّة للموت، فأنا أؤدبه وأُطلقه) أي أنه أعاد اقتراحه الأول للمرة الثالثة أما اليهود (فكانوا يلّحون بأصواتٍ عظيمةٍ طالبين أن يصلب. فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة. فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم)[1].

وإنجيل يوحنا يروي لنا زيادة على ما روته الأناجيل الثلاثة، أقول يروي لنا الحوار المنطقي الذي دار بين الحاكم بيلاطس وبين المسيح الناصري ويقول: (بيلاطس سأل: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟- واعتراض المسيح في محلّه- أجابه بيلاطس: ألعلّي أنا يهودي؟- بمعنى أنك تدري أنني روماني- أُمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ، ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا)[2]. وجاء جواب المسيح في محلّه ومنطقي أيضاً. ولا يجيب بمثل هذا الجواب المنطقي إلاّ من كان نبياً. فلو كان مبعوثاً ليموت على الصليب ليصبح كفّارة عن الذّنوب، لَواجه بيلاطس بهذه الحقيقة ولَطالب بالتعجيل بصلبه.

وبعد أن انتهيت من تصوير ما عرض لنفسية الحاكم بيلاطس من تقلبات وتطورات حملته على تبييت خطّة لإنقاذ المسيح من الموت على الصليب، وذلك من النصوص الإنجيلية نفسها بلا زيادةٍ ولا نقصان. أنتقل بالقارئ خطوة أخرى لأضع بين يديه خيوط هذه الخطّة التي أمسكت بها ومن الأناجيل نفسها.

---

(1) إنجيل لوقا (٢٣/٢٠).

(2) إنجيل يوحنّا (١٨/٣٣).

فأنا تساءلت قبل ذلك: هل كانت لبيلاطس مصلحةٌ حقيقيـة في موضـوع وضع هذه الخطّة الهادفة إلى إفشال مخطّط اليهود لإماتة المـسيح مقتـولاً علـى الصليب؟ وقد تبين لي أنّ بيلاطس أضحى صاحب مـصلحة في ذلـك نتيجـة التطورات التي استقينا معلوما ا من الأناجيل، وللأسباب التالية:

أولاً- فقد كان على بيلاطس تنفيذ القانون الروماني الذي لا يدين المـسيح الناصري بأي شكلٍ من الأشكال، فهو تيقّن أن القانون لا يدين المسيح بل يبرئـه ويطالب بالإفراج عنه. وهو مسؤول عن ذلك تجاه الإمبراطور الذي عينه والياً على فلسطين. فإذا علم الإمبراطور بقتله رجلاً بريئاً كالمسيح الناصري مثلاً، فلا بد أن تساء سمعته، ويعاقب أيضاً. من هذه الناحية يتضح لي كباحثٍ أنّ بيلاطس مـن هذه الناحية أضحى صاحب مصلحة شخصية لوضع خطّة تنقذ المسيح الناصـري من محنته.

ثانياً- ثم إنّ اليهود أهانوا بيلاطس يوم هددوه، على حسب ما رواه إنجيـل يوحنا وقال: (من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب- من اليهود- أن يطلق سـراح المسيح- ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إنْ أطلقت هذا فلست محباً. كـلّ من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر)[1]. أي أنّ اليهود هددوا بيلاطس ذا ا لأسلوب المُوارب غير السديد، وتوعدوه. ويكونون بذلك قد استهانوا بكرامـة بـيلاطس نفسه. وهو الذي لم يتحيز إلى طرف من هذين الطّرفين، حتى يوجه إليـه هـذه الإهانة وهذا التهديد. وبيلاطس تجاه هذه الإهانة لا يستطيع إنقاذ كرامتـه إلاّ إذا وضع خطّة لإنقاذ المسيح الناصري خلافاً لمشيئة اليهود الغوغاء. وهكـذا أرى أنّ بيلاطس من هذه الناحية أصبح صاحب مصلحة في أمرِ إنقاذ المسيح من محنته.

ثالثاً- ثمّ إنّ الرؤيا المُرعبة التي رأ ا زوجة بيلاطس والتي استيقظت من نومها فأرسلت إلى زوجها تخبره وتحذّره من محاولة إيذاء المسيح البار كما سمته هي. لا

---

(1) إنجيل يوحنّا (١٢/١٩).

بد أن تكون هذه الرؤيا قد أثرت على بيلاطس نفس التأثير الإيجابي لصالح إنقاذ الذي تريد إنقاذه وهو المسيح الناصري الذي أسلمه اليهود إليه حسداً، ولا يملكون ضده أية بينة ودليل يدينه ويستوجب له الموت على الصليب.

وكيف لا يتأثر بيلاطس في أعماقه بهذا التأثير الإيجابي، خصوصاً وأن التي أخبرته هي رفيقة حياته، ولا مصلحة لها في موضوع صلب المسيح ولا في إنقاذ منه. والرومان كانوا في ذاك التاريخ وثنيون، تأخذ مثل هذه الرؤيا بأعصابهم وتهزها هزاً عميقاً. ولا بد أن يكون قد سيطر على بيلاطس من جراء هذه الرؤيا هاجس راح يدفعه لينقذ المسيح من الموت على الصليب بكلّ وسيلةٍ يملكها، فهو الآمر الناهي في ولايته.

فمن هذه الناحية عدت أتصور أنا أنّ بيلاطس أمسى يومئذٍ صاحب مصلحةٍ في إنقاذ المسيح في محنته. فهذه أسباب ثلاثة تكفي لتولّد القناعة في نفسي أنه صاحب مصلحة في ذلك، إجابة على السؤال الذي تساءلته في حديث نفسي كما ذكرت.

وبعد أن تولّدت لدي هذه القناعة، رحت أتلمس خيوط هذه الخطّة السرية التي افترضت أنّ الحاكم بيلاطس خطّط لها لإنقاذ المسيح الناصري، كيلا تعود لإمبراطوره حجةٌ عليه إن هو صلب المسيح دون بينة تدينه، وليرد على الإهانة التي أهانه اليهود بها، فيرد صاعهم بصاعين ويفشل مخطّطاتهم، وليهدئ من عواطف زوجته صاحبة الرؤيا المخيفة التي أرعبتها وأرعبته. وقد وقعت في يدي هذه الخيوط لتلك الخطّة، والتي التقطتها من ثنايا سطور الروايات الإنجيلية نفسها وهي:

أولاً- جرت عادة الحُكّام الرومان أن يعلّقوا المحكوم عليه بالصلب، من أول يومٍ من الأسبوع. وذلك ليظلّ هذا معلّقاً طوال الأسبوع ويموت جوعاً وعطشاً. وعلى اعتبار أنّ ساعات لا تكفي لموته على الصليب.

والذي جرى في واقعة الصلب هـذه، أن بـيلاطس راح يماطـل اليهـود ويماطلهم، إلى أن جاء آخر يوم من الأسبوع وهو يوم الجمعة الذي كانوا يسمونه "يوم التهيئة"، يئة لدخول عيد يوم السبت.

ولم يأمر بيلاطس بصلب المسيح إلاّ بعد أن أتت الساعة الثالثة من بعد ظهـر الجمعة، على

حسب ما ثبت من رواية إنجيل مرقس: (وكانت الساعة الثالثة فصلبوه)[1]. وبذلك فلم يبق لدخول يوم السبت إلا ساعات تعد على الأصابع، وكان لا بد من إنزال المسيح حينئذٍ وكسر ساقيه للقضاء عليه.

ولا تحدث مثل هذه المُماطلة صدفة وعبثاً واعتباطاً، بل بتخطيطٍ من بيلاطس مقصود. ولولا ذلك لكان انتبه بيلاطس إلى ما بدر منه، ولكان إذ قـرر صـلب المسيح، عمد إلى استمهال اليهود ليصلبه لهم اعتباراً من صـباح أول يـوم مـن الأسبوع الذي بعده، ليبقى المسيح طوال الأسبوع معلّقاً ويموت جوعاً وعطـشاً. ويشفون منه غليل حقدهم الديني الدفين.

والذي أميل إلى الاعتقاد به أن بيلاطس فعل ما فعله بدافعٍ من خطّة في نفس يعقوب كما يقولون. ولا يعقل أن يترك هذه الفرصة تفلت من يديه، إن كان يريد إرضاء اليهود.

ثانياً- وقد لاحظنا كيف أن إنجيل يوحنا روى لنا قوله: (وأما يسوع فلمـا جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات. لكن واحداً من العسكر طعـن جنبه بحربةٍ، وللوقت خرج دم وماء)[2].

والذي أثار ريبتي هو أنّ رئيس الجند لم يأخذ للبينة التي قدمها لـه الجنـدي بصورة علمية، وهو أصر على ألا يكسر الجندي ساقي المسيح الناصري على أنـه

---

(1) إنجيل مرقس (٢٥/١٥).

(2) إنجيل يوحنّا (٣٣/١٩).

مات. فلا يقدم على هذه الخُطوة إلا من سبق أن كان قد تلقى أمراً من بـيلاطس نفسه ألاّ يحاول كسر ساقي المسيح بأية صورةٍ كانت.

فإن صح ما رابني فلا بد أن كانت هناك خطّة في ذهن بيلاطس، وكانـت هذه الوصية لرئيس الجند إحدى حلقا ا، وذلك لإنقاذ المسيح الناصري من الموت على الصليب.

أضف إلى ذلك أن اليهود كانوا يراقبون ما يجري. وهم الذين طالبوا بكـسر سيقان الثلاثة المصلوبين، وفق ما ذكره إنجيل يوحنا من أنه: (سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقا م ويرفعوا)[1].

فاليهود، بالرغم أنهم شاهدوا المسيح منكّس الرأس علـى الـصليب، فلـم يستثنوه من طلبهم المذكور. وقد كان من واجب بـيلاطس ورئـيس جنـده أن يكسروا ساقي المسيح كما كسروا ساقي اللّصين الآخرين.

لذلك فقد مِلْت للاعتقاد أنّ استنكاف رئيس الجند عن كسر ساقي المـسيح الناصري، لم يأت عبثاً ولا صدفة ولا اعتباطاً. لكنه حدث وفق خطّة مرسومة في ذهن بيلاطس لينقذ المسيح من محنته، وهذا ما كان. فقد أفلت المسيح الناصـري المخدر من كسر ساقيه ونجى من الموت على الصليب.

ثالثاً- والمعلوم قانوناً وعرفاً أنّ جثّة المصلوب أو المعدوم، تسلّم إلى أهلـه أو إلى أحدٍ من أقاربه. لكن الذي حدث في واقعة الصلب المذكورة أن بيلاطس أمـر بتسليم جثّة المسيح الناصري إلى يوسف الرامي. هذا الرجل الذي كان مستـشاراً عند بيلاطس نفسه، وكان مؤمناً سراً بالمسيح أيضاً كما يستفاد مـن الروايـات الإنجيلية نفسها التي سبق أن ذكرناها.

حدث هذا، بالرغم من أن إنجيل يوحنا ذكر لنا أنه: (وكانت واقفات عنـد صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلويا ومريم ا دلية)[1]. فهل يعقـل أن

---

(1) إنجيل يوحنّا (٣٢/١٩).

يحدث ذلك صدفة دون تخطيطٍ سابقٍ من بيلاطس نفسه الـذي يثـق بمستـشاره يوسف المذكور.

فلا بد تجاه هذا الأمر أن يتساءل المرء بداهةً: كيف اتفق أن مر يوسف الرامي من هناك؟ ومن أين يأتي ليوسف الرامي أن يحضر الأكفان والطيب جميعاً في وقت ذهب أصحاب المحلاّت إلى دورهم ليسبِتوا فيها وفق تعاليم شريعتهم؟ ومن أيـن تأتى أن يكون موقع الصلب قريباً من القبر المحفور في الجبل حديثاً والعائد ليوسف الرامي؟ وكيف لم يتقدم أحد من تلاميذ المسيح وأمه وأقاربه مطالبين بجثّته؟ فهذه تساؤلات يتساءلها المُحقّقون والباحثون في مثل هذه المناسبات.

ولا يجد إجابات مقنعةٍ على هذه التساؤلات إلاّ في حالٍ واحـدةٍ وهـي أن نعتقد بوجود خطّة غير معلنةٍ، كان بيلاطس قد وضعها وخطّط لها ونفّذها ـذه الدقة من الحذر والاحتياط. ولا يستبعد عن حاكمٍ روماني أن يكون علـى هـذا المستوى من الحنكة والدهاء وهو يحكم غوغاء كاليهود.

رابعاً- وموضوع المخدر الذي حمله بعض الجنود، وهو عبارة عن مزيج خل ومرارة، فقد كان يستعمله أطباء ذاك الزمان لتخدير مرضاهم قبل إجراء العمليـة الجراحية التي يريدون إجراءها لهم. فأصحاب الأناجيل كانوا يذكرون تارة خـلاً وحده، وفي رواية خلاً ومرارة وفي رواية خمراً ومر. إنّ هذا الاختلاف الذي تراءى في الأناجيل حول هذا الشراب إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على جهلهم بحقيقتـه وبالمقصد من إحضاره. فجميع هذه الروايات، لا يعقل إلاّ أن تكون واحـدة في أصلها، وحور فيها روا ا وبدلوا وزادوا وأنقصوا، وانتهت إلى ما سمعهـا عنـهم الذين كتبوا هذه الأناجيل.

فلا يعقل أن يعلم الجند وسواهم أن المصلوب يترك دون ماء وطعام ليمـوت جوعاً ومع ذلك يأتي هؤلاء ذا الشراب.

([1]) إنجيل يوحنّا (٢٧/١٩).

والذي يتدبر ما رواه يوحنا، والذي قال: (بعد هذا رأى يسوع أنّ كلّ شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب، قال أنا عطشان. وكان إناءٌ مملوءً خلاً. فملئوا إسفنجةً من الخلّ، ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه. فلّما أخذ يسوع الخلّ قال: قد أكمل- أي تم كلّ شيء كما في طبعة عام ١٩٨٩م- ونكّس رأسه وأسلم الروح)[1]. فما معنى أن يقول المسيح "إنه عطشان لكي يتم الكتاب"، ولا يطلب أحد غيره من المصلوبين معه أي شراب ليشربوا، ولا يقول أي منهم إني عطشان؟

فما معنى أن يقول المسيح "إنه عطشان لكي يتم الكتاب"، ولا يطلب أحد غيره المصلوبين معه أي شراب ليشربوا، ولا يقول أي منهم إني عطشان؟

ثمّ ما معنى أن يروي يوحنا قول المسيح: (رأى يسوع أنّ كلّ شيء قد كمل، ويعلّله بقوله (فلكي يتم الكتاب). وقد كان من واجب يوحنا أن يشرح لنا ذلك ويدلنا على المصدر الذي استقى منه قوله المذكور. أما أنا كباحث لا أرى معنى لما نقله إنجيل يوحنا إلا دلالته على وجود خطّة متفق عليها ما بين بيلاطس وبين المسيح الناصري. وهذه الخطّة هي ما أشير إليه على لسان رواة يوحنا (فلكي يتم الكتاب) وأن يسوع رأى أن كل شيء قد كمل.

وإن الباحث المدقّق ليتساءل نفس التساؤلات التي أوردناها عند رواية تسلّم يوسف الرامي لجُثّة المسيح. نتساءل: من أين أحضروا القصبة التي وضعوا على طرفها إسفنجة؟ وكيف تأتى لهم أن يجدوا إسفنجة في تلك اللحظات ومن الذي أحضرها لهم؟

ومادام المُعلّق على الصليب يترك ليموت جوعاً وعطشاً، فِلم لم يمانع الجند ويحولوا دون سقاية المسيح؟ والعطشان يريد ماءً ليطفئ ظمأه، فما معنى أن يسقوه هذا الخلّ؟

---

(١) إنجيل يوحنّا (٢٨/١٩).

أجل، يجد الباحث إجابات لجميع هذه التساؤلات وذلك في حالة واحدة وهي أن يعتقد بوجود خطّة سرية خطّط لها بيلاطس، ونفذها بهذه الدقة من الحذر والاحتياطات. وسبق أن قلت أنه لا يستبعد عن حاكمٍ روماني مثل هذه الحنكة والدهاء.

أقول: هذه خيوط هذه الخطّة غير المعلنة التي وضعها بيلاطس لإنقاذ المسيح الناصري من الموت على الصليب. وكان الهدف الخفي منها أن يستعيد بيلاطس بذلك كرامته الإنسانية ويرضي رفيقة حياته، ويتقي غضب الإمبراطور الروماني عليه، خصوصاً وأنّ بيلاطس كان هو الحاكم بأمره في منطقته، ويملك زمام الأمور في ولايته، وقادراً على اتخاذ مثل هذه الخطّة وهذه الخطوات.

وأنا إذ أمسكت بهذه الخيوط التي ساعدتني على اكتشاف الخطّة المذكورة، أكدت لي صحتها القرائن العديدة التي سبق أن أتيت على ذكرها سابقاً. فمن تلك القرائن، النبوءة التي تنبأها المسيح نفسه قبل واقعة صلبه والتي أفردت لها فصلاً خاصاً في كتابي هذا فليعد القارئ إليه. فتلك النبوءة أنبأت كما أُثبت هناك، أنّ واقعة الصلب ستشبه واقعة الحوت الذي ابتلع يونان النبي. وكما ظلّ يونان في بطن الحوت حياً وخرج منه حياً، كذلك سيحدث هذا الأمر نفسه للمسيح الناصري يدخل القبر حياً ويخرج منه حياً ولا يموت على خشبة الصليب. ويتحقّق هذا جميعه بأسباب يهيئها الله عز وجلّ الذي أرسل المسيح الناصري ليحميه من مكيدة اليهود، ووفقاً لما ورد في سفر المزامير (١٢/٣٤) (البار المتألّم محمي في محنته). وكنت أثبت أنّ عقيدة كفّارة المسيح هي عقيدة لاحقة للاعتقاد بموت المسيح على الصليب، وتعليلٌ علّله بولس الرسول، ولا أساس لها في التعليم التوراتي ولا التعليم القرآني الذي يقول (لا تزر وازرة وزر أخرى).

فقرينة النبوءة المذكورة، وقرينة سفر المزامير (٢١/٣٤)، وخيوط الخطّة التي شرحتها وملابساتها جميع هذه الأمور أكّدت لي أنّ الله عز وجلّ الذي أرسل

المسيح "إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" أي إلى جميع أسباط بني إسرائيل، الموجود منها في فلسطين آنذاك، والأسباط الشتات خارجها. أقول إن الله الذي يدافع عن مرسليه وأنبيائه ويحميهم في الأزمات، لا بد أنه ألقى في روع الحاكم بيلاطس أن يخطّط ما خطّطه وأن يفعل ما فعله، حمايةً منه عز وجلّ لنبيه المسيح الناصري مما كاده اليهود وخطّطوا له لقتله هذه القتلة الشنيعة على الصليب.

وأنا، عندما توضحت لي هذه الأمور التي تثبت عدم موت المسيح الناصري على الصليب، توضح لي سر قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾. وتملّكتني نشوةٌ روحية ما بعدها نشوة. ويكفي أنني وجدت، على حسب ما أرى، أنّ الاعتقاد بعدم موت المسيح الناصري على الصليب هو مفتاح توحيد اليهود والنصارى والمسلمين جميعهم على صراطٍ مستقيم واحد، فما اختلف اليهود والنصارى والمسلمون إلاّ لسبب أنهم انطلقوا في هذه العقيدة انطلاقةً خاطئةً فرقت بينهم، ومزقت المودة الإنسانية من صدورهم. في وقت يعتقد فيه هؤلاء جميعهم أنّ الذي خلقهم هو إله خالق واحد.

وقد يسألني هنا سائل: ما دام المسيح الناصري لم يمت على الصليب وكان مكلّفاً بتبشير بقية أسباط اليهود، فماذا بشأن فترة ما بعد حادثة الصلب؟

والجواب سيجده القارئ في الباب الثالث من هذا الكتاب والذي خصصته للجواب على هذا السؤال بعينه.

الباب الرابع

الفصل الأول: مصير المسيح حسب الأناجيل.

الفصل الثاني: كيف تولّدت عقيدة كفّارة المسيح؟

الفصل الثالث: مصير المسيح بعد حادثة الصلب وأدلّته.

الفصل الرابع: ما يثبت هجرة اليهود إلى أفغانستان وكشمير.

الفصل الخامس: مرهم عيسى في كتب الطب القديمة.

١- مصير المسيح حسب الأناجيل:

أما وقد فرغت من إثبات عدم موت المسيح الناصري على الصليب. أجد أنّ من واجبي بيان ما أتت به الأناجيل الأربعة بما يتعلق بمصيره الذي آل إليه.

١-١- مصير المسيح في إنجيل يوحنا:

لم يتطرق إنجيل يوحنا إلى موضوع المصير الذي آلّ إليه المسيح الناصري بعد نجاته من الموت على الصليب، لا من قريبٍ ولا من بعيد. وهو أ ى إنجيله بالجملة التالية حيث قال: (وأشياء كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدةً واحدةً، فلـست أظن أنّ العالم نفسه يسع الكُتب المكتوبة. آمين)[1]. والظاهر من هذه الجملة أنهـا مبالغة كلامية لا ت ل في ميزان ولا قبان كما يقولون. قالها عن شاب لم يتجـاوز عمره الثالثة والثلاثين يوم تعرض لمحاولة صلبه. ويوحنا لم يفكّر حين كتب هـذه الجملة ولا للحظةٍ واحدة أنه وما ضرورة إظهار المسيح الناصري لهذه العجائـب كلها، ما دامت لم تورد إلاّ إلى هداية اثني عشر تلميذاً، علماً بأنّ واحداً منهم قد خانه وسلّمه إلى رؤساء كهنة اليهود لقاء دريهمات معدودات؟

١- ٢- مصير المسيح في إنجيل لوقا:

وإنجيل لوقا تطرق إلى ذكر مصير المسيح الناصري في الإصحاح الأخير منـه حيث قال هناك: (وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركُهم، انفرد عنهم وأُصعِد إلى السماء. فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيم. وكانوا كُلّ حين في الهيكل يسبحون ويباركون ا لله. آمـين)[2]. وكلمـة (أُصعد) تعني أنّ المسيح ما كان يملك قدرةً ذاتية على الصعود إلى السماء. فالسؤال وأي موضعٍ من السماء؟ وما المقصود هنا بالسماء؟ فلا نجد لهذه التساؤلات في هذا النص أي جوابٍ كان.

---

(١) إنجيل يوحنّا (٢٤/٢١).

(٢) إنجيل لوقا (٥٠/٢٤).

١ - ٣- مصير المسيح في إنجيل مرقس:

وإنجيل مرقس تطرق إلى ذكر مصير المسيح الناصري في الإصحاح الأخير فهو استعمل للمسيح صفة (رب)، وقال (ارتفَع) وليس (أُصعِد). وزايد على لوقا وقال: (وجلس عن يمين الله). ولا أدري هل رأى مرقس المسيح الناصري وهو يجلس عن يمين الله؟ أم أنه يروي لنا ما سمعه من رواته؟

١ - ٤- مصير المسيح في إنجيل متى:

وإنجيل متى تطرق إلى ذكر مصير المسيح الناصري في الإصحاح الأخير منه وقال: عنه (دفع إليّ كلّ سلطانٍ في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القُدس. وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كلّ الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين)[1].

أما كيف أصبح حال المسيح بعد أن دفع إليه كل سلطانٍ، ولم لَم يظهر نفسه لليهود بالحال الجديد. ثمّ كيف نوفّق بين تلمذوا جميع الأمم) وبين (لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)؟ ومن أين ابتدع متى جملة (وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس)؟ التي لا نجد لها أصلاً في أي إنجيلٍ كان. ثمّ ما معنى أن يكون معهم إلى انقضاء الدهر؟ وهل لا يكون معهم بعد انقضاء الدهر؟ وما المقصود من الدهر؟ فهذه أسئلة لم يتطرق إنجيل متى ليجيب عنها بأي شكلٍ من الأشكال.

خلاصة ما ذكرناه: فمن ملاحظة ما اقتبسناه للقارئ من هذه الأناجيل الأربعة، يتبين لنا بكلّ وضوح أنّ الذين كتبوا هذه الأناجيل لم يتفقوا على أمرٍ واحدٍ فيما يتعلّق بمصير المسيح بعد نجاته من محاولة إماتته على الصليب.

فإنجيل يوحنا لا يذكر شيئاً من ذلك. وإنجيل لوقا يذكر أن المسيح بارك تلاميذه وأُصعِد إلى السماء دون أن يوصي تلاميذه بشيء. وإنجيل مرقس يذكر أنّ

---

(١) إنجيل متّى (١٦/٢٨).

المسيح كلّم تلاميذه وارتفع إلى السماء بنفسه، وجلس عن يمين الله، وكأنّ الله بجسم بحجم جسم المسيح أو أضخم بقليل.

من هذا كلّه ندرك أن الأناجيل لم تتفق على أمرٍ محددٍ ومبرهنٍ عليه. فيما يتعلّق بمصير المسيح الناصري بعد نجاته من الموت على الصليب، وظهوره لتلاميذه واجتماعه معهم.

والنتيجة التي نستخلصها مما ذكرناه واحدة، وهي أنّ الذين كتبوا هذه الأناجيل، لم يكتبوها كمحققين باحثين عن الحقيقة. بل كتبوها وبوبوها ورتبوها على أساس ما وصلهم من رواياتٍ دون النظر في حقيقة وصدق هذه الروايات. وبألفاظٍ أخرى نقول إنّ الأناجيل قِصص درامية على حسب ما فهمناه من معطياتها.

٢- كيف تولّدت عقيدة كفّارة المسيح:

كيف تولّدت عقيدة "كفّارة المسيح" لدى المسيحيين؟ ومن كان وراء نشوئها؟ هذا ما بحثت عنه. وقد وجدت الإجابة فيما كتبه رجال الكنيسة أنفسهم حيث قالوا:

(ويبدو أنّ المسيحيين حتى ما يقارب من السنة (١٥٠) تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر، إلا قليلاً جداً، إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة. وأغلب الظّن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حيا م الكنسية.. فقد كانت الوثائق البولُسية مكتوبة، في حين أن التقليد الإنجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلاً عن ألسنة الحُفّاظ. فضلاً عن أن بولس نفسه كان قد أوصى بتلاوة رسائله وتداولها بين الكنائس المتجاورة (١ تس ٢٧/٥ وقول ٦/٤) ومهما يكن من أمر فإن كثيراً من المؤلفين المسيحيين أشاروا منذ أول القرن الثاني إلى أنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل كتبها بولس، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنه أُقيمت من غير إبطاء مجموعه من هذه الرسائل، وأنها انتشرت انتشاراً واسعاً سريعاً لِما كان للرسول بولس من شهرة..

ولا يظهر شأن الأناجيل هذه المدة ظهوراً واضحاً، كما يظهر شأن رسائل بولس.. ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل السنة (١٤٠) أية شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعةً من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أنّ لمؤلف من تلك المؤلّفات صفة ما يلْزم.

فلم يظهر إلاّ في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل، وأنّ لها صفة ما يلزم. وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحوٍ تدريجي. وابتدأ نحو السنة (١٥٠) عهد حاسم لتكوين العهد الجديد..)[1].

([1]) مقدمة الكتاب المقدس المطبوع في بيروت- لبنان عام ١٩٨٩م- الصفحة (٨).

نستنبط مما اقتبسناه أن رسائل "بولس" كانت هي المتداولة قبل تأليف الأناجيل وتداولها بين المسيحيين.

وأنا عدت إلى رسائل بولس التي احتواها "أعمال الرسل" المُلحق بالأناجيل المعاصرة فتبين لي بكلّ وضوح أنّ بولس المذكور هو الذي ابتدع عقيدة (كفّارة المسيح) تعليلاً منه لموت المسيح الناصري على الصليب. ولم يحقّق هو بنفسه في مدى صحة ما وصله من روايات متعلّقة بحادثة الصلب. فسلّم بموت المسيح بشكلٍ طبيعي.

ذلك أنّ بولس كتب في رسالته إلى أهل قورنتس (٣/١٥) يقول، في وقتٍ لم يكن للأناجيل من وجود: (وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا، كما ورد في الكُتب، وأنه قُبر وقام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب..) ويعلم القارئ أني أثبت من قبل أنّ المسيح الناصري لم يبق في قبره أكثر من يومٍ ونصفٍ فقط. وبذلك يكون بولس قد ارتكز إلى أساسٍ فاسدٍ، وما قام على فاسدٍ فهو فاسد أيضاً. وعليه فقول بولس (إنّ المسيح مات من أجل خطايانا) هو قول لا يستند حقيقة مطلقاً.

ثم إنّ بولس المذكور ما كان تلميذاً للمسيح، بل كان في حياة المسيح من ألد أعداء المسيح. وها أنّ بولس يعترف ذه الحقيقة في رسالته إلى أهل غلاطيه (١٣/١) ويقول فيها: (فقد سمعتم بسيرتي الماضية في ملّة اليهود. إذ كنت أضطهد كنيسة الله غاية الاضطهاد، وأحاول تدميرها..).

وراح بولس المذكور يصيغ عقيدة "كفّارة المسيح" في رسالته إلى أهل روما الإصحاح العاشر ويقول: (فإذا شهدت بِفَمِك أنّ يسوع رب، وآمنت بقلبك أنّ الله أقامه من بين الأموات، نِلْت الخلاص. فالإيمان بالقلب إلى البِر، والشهادة بالفم تؤدي إلى الخلاص). فبهذه الألفاظ دفع بولس المسيحيين يوم لم تكن الأناجيل مكتوبة، إلى فهم "كفّارة المسيح" ذا الفهم الوارد في رسالته.

وقد حول بولس المذكور رسالة المسيح القومية، فـ ع عنها صفتها القومية، وألبسها لباس الرسالة العالمية مخالفاً قول المسيح نفسه (لم أُرسل إلاّ أنّ الخراف الضالة من بيت إسرائيل)[1]. فبولس المذكور قال في نفس رسالته إلى أهل روما: (فلا فرق بين اليهودي واليونانيّ. فالرب ربهم جميعاً يجود على الذين يدعونه. فكل من يدعو باسم الرب ينال الخلاص). واصطدم مع بطرس لهذا السبب مما تجدونه في أعمال الرسل.

وقد شعر بولس المذكور بضرورة إيجاد فلسفة لكلمة الخلاص المستندة إلى عقيدة الكفّارة التي ابتدعها للمسيحيين في ذاك الزمان. فكتب إلى أهل رومه (٢٠/٧) يقول: (لأنّ شريعة الروح الذي يهب الحياة في يسوع المسيح، قد حررتني من شريعة الخطيئة والموت. فالذي لم تستطعه الشريعة والجسد قد أعياها، حقّقه الله بإرسال ابنه في جسدٍ يشبه الخاطئ، كفّارةً للخطيئة. فحكَم على الخطيئة في الجسد، ليتم فينا ما تقتضيه الشريعة من البِر. نحن الذّين لا يسلكون سبيل الجسد بل في الروح.. والذين يحيون في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. أما أنتم فلستم تحيون في الجسد بل في الروح، لأن الروح حال فيكم. ومن لم يكن فيه روح المسيح، فما هو من خاصته).

وراح بولس المذكور، يصور موت المسيح الناصري على الصليب وكفّارته التي ابتدعها، أنها نعمةٌ إلهية حرم منها الذين ولدوا قبل ولادة المسيح. فهو قال في رسالته المذكورة إلى أهل روما: (.. ذلك بأنّ جميع الناس قد خطِئوا، فحرموا مجد الله. ولكنهم برروا مجاناً بنعمته، بحكم الفداء الذي تمّ في المسيح يسوع. ذاك الذي جعله الله (كفّارةً في دمه) بالإيمان، ليظهر بره، بإعفائه عن الخطايا الماضية في حِلمه تعالى، ليظهر بره في الزمن الحاضر..).

---

(١) إنجيل متّى (١٥/٥).

والذي يتبين لي من جميع ما أوردته أن رسائل بولس المذكور ابتدعت كفّارة المسيح، استناداً إلى أساسٍ فاسد وهو أنّ المسيح مات على الصليب ودفن وقام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، وهو الأمر الذي أثبت بطلانه.

ولا يستبعد أن يكون الذين كتبوا هذه الأناجيل التي بين أيدينا استقوا بعـض معلوما م الفاسدة مما وصل إلى أيديهم من رسائل بولس المذكور.

والذي يحاكم عقيدة "كفّارة المسيح" عقلياً، على شاكلة ما حاكمتها أنا، لا تثبت له هذه العقيدة بأي معيارٍ كان. فكيف يؤخذ ابن الله الوحيد بجريرة خطيئة آدم وحواء؟ وأين قدرة الله على العفو والغفران؟ ولا يستسيغ عقلي أن يتجـسد "الرب يسوع" في جسد الخطيئة.

٣- مصير المسيح بعد حادثة الصلب وأدلته:

ما دمنا قد ثبت لنا أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب وأنه أنزل من فوقه حياً، بل وظهر من بعد ذلك لتلاميذه أكثر من مرة. فالسؤال الذي يواجهنا هنا هو، ما هو المصير الذي انتهى إليه المسيح عليه السلام؟ فلا بد من الإجابة على هذا السؤال إجابة واضحة ومقنعة. وأن يكون لهذه الإجابة أساس من الأناجيل أيضاً.

والحقيقة هي أنه كما وقع رواة الأناجيل في تناقضات وأخطاء تاريخية وتحريفات، فإنّ هؤلاء الرواة الإنجيليين لم يكونوا على مستوى تدوين ما دونوه، لعدم امتلاكهم ناصية البحث والتدقيق العلميين على حسب ما أثبتناه في أبحاثنا السالفة الذكر.

فأنا كباحث تتراءى لي خيوط موضوع المصير الذي آل إليه المسيح من خلال جملةٍ كان المسيح يكررها في مناسباتٍ عديدة، تأكيداً من جانبه على هذا المصير الذي سيؤول إليه. وهذه الجملة هي تعبير (الخراف الضالة من بيت إسرائيل). ذلك أنّ الملاحظ أنّ المسيح عليه السلام كان يكرر هذه الجملة، ولم ينتبه الذين كتبوا الأناجيل إلى دلالة هذا التعبير.

فالمسيح قال: (فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا - مشيراً بذلك إلى حادثة المرأة الكنعانية التي استنجدت بالمسيح لابنتها-فأجاب- المسيح- وقال: لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[1]. ولنلاحظ أنّ هذه الألفاظ احتواها إنجيل متى المُترجم من اليونانية إلى العبرية قديماً، ومطبوع على نفقة جمعية التوراة الأميركية. وسبق أن أشرت إلى ترجمة جديدة للأناجيل قام ا اللاتين حديثاً وطبعوها بتاريخ (٧ تشرين الثاني عام ١٩٨٩م) وقد ترجم النص الذي

---

(١) إنجيل متّى (٢٤/١٥).

اقتبسناه على النحو التالي: (فدنا تلاميذه يتوسلون إليه فقالوا: اصرفها فإنها تتبعنا بصياحها. فأجاب: لم أُرسل إلاّ إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل).

ولا نجد بين الترجمتين من اختلاف وإن ترجمت جملة: (لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). بتقديم وتأخير، وإيرادٍ للفظ (خرافٍ) معرفاً بالألف واللام. وهذا التعريف لهذا اللّفظ هو الأصح في نظري واجتهادي. لأنه يحدد المقصد من كلام المسيح بوضوحٍ وجلاء أكثر.

والملاحظ أيضاً أنّ المترجم الجديد قد أتى بأداة التعريف هذه في موضع آخر، فقد ورد في إنجيل متى قوله: (هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أممٍ لا تمضوا، وإلى مدينةٍ للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة..)[1]. وهذا النص ورد في الترجمة الجديدة: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين، ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل). وفي هذه الترجمة تقديم وتأخير وتعريف للفظ (خراف) بالألف واللام أيضاً. وهذه الترجمة هي الأصح في نظري واجتهادي. لأنه يحدد المقصد من كلام المسيح بوضوحٍ وجلاءٍ أكثر أيضاً.

فإضافة الألف واللام على لفظ (خراف)، أورده المسيح عليه السلام لبيانٍ وتخصيصٍ لكلامه ودلالته. ذلك أننا إذا أمعنا نظرنا في لفظ (خراف)، نلاحظ أنّ المسيح يستعمله من جملته المذكورة على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة.

فقد تسلّط على اليهود في فلسطينيين والفريسيون والكتبة والكهنة الفاسقون الأشرار، على حسب ما كان يصرح المسيح نفسه بذلك في كلامه، الأمر الذي يعني بأن اليهود أضحوا (خرافاً) أي رعيةً لا تملك قيادةً روحية حكيمة ومخلصة،

---

(١) إنجيل متّى (١٠/٥).

ترعاها وتضبط أمورها لتصل ببني إسرائيل إلى شاطئ الأمان. فهذا هو المقصود من استعمال المسيح للفظ (الخراف) معرفاً، وبدلالته المجازية.

ثم إنّ جملة (الضالة من بيت إسرائيل) المقصود منها الأسباط المُشتتة خارج فلسطين لاقتران لفظ (الضالة) بلفظ (خراف) ويعني المُشتت من قطيع الغنم. ولا يعني الضلالة عن الهدي.

والمسيح نبه تلاميذه في حياته قبل واقعة الصلب إلى الخراف الإسرائيلية الشتات خارج فلسطين، وذلك فيما رواه إنجيل يوحنا عن لسان المسيح الناصري قوله: (أنا الراعي الصالح، أعرف خرافي، وخرافي تعرفني، كما أنّ أبي يعرفني وأنا أعرف أبي، وأبذل نفسي في سبيل الخراف. ولي خراف أُخرى ليست من هذه الخطيرة، فتلك أيضاً لا بد لي أن أقودها، وستصغي إلى صوتي، فيكون هناك رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد)[1]. فإذا كان الإسرائيليون الفلسطينيون هم الخراف الأولون، فإنّ الشتات من أسباط إسرائيل خارج فلسطين هم الخراف التي ليست من الحظيرة الفلسطينية. وكان محتماً على المسيح الناصري أن يهاجر إليها ليقودها، ويبشر بأنّ ربه بشره أنها ستصغي إلى صوته ليكون هناك خارج فلسطين خلاف ما حدث داخلها. تكون رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد. وسأوضح هذه الحقيقة فيما بعد وأثبتها.

وعليه فبالإمكان استبدال هذين الاقتباسيين من أقوال المسيح الناصري بألفاظٍ أخرى تقول: لا تظنوا أنّ رسالتي منحصرة في يهود فلسطين الذين يضطهدونني ويسعون إلى قتلي، ليثبتوا كذب نبوتي ورسالتي. بل إنّ رسالتي أوسع نطاقاً فهي تشمل الشتات من أسباط بني إسرائيل المتواجدين خارج فلسطين، ولا بد لي من الهجرة إليهم، من بعد نجاتي من الموت على الصليب بتدبير الله الذي أرسلني ويحميني. ولن يحدث لي خارج فلسطين ما لاقيته داخلها من ابتلاءات وعناء. على ضوء هذين القولين المُقتبسين من أقوال المسيح الناصري، يتضح لأعين القارئ

---

(١) إنجيل يوحنّا- الإصحاح (١٠/١٤-١٨).

بصورةٍ جليةٍ أنّ بولس الرسول هو الذي لم يفهم هذه الأقوال، وعمد إلى صـرف المسيحيين عن قول المسيح: (لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين)[1].

وخالف بذلك وصية المسيح الناصري مخالفةً صريحةً وواضحةً. وتـسبب في الشقاق الذي وقع بينه وبين بطرس وسواه.

وعندما ذكرت جملة (الشتات من أسباط إسرائيل)، فقد تضطرنا هذه الجملة للعودة ومراجعة القرآن الكريم والتوراة معاً، بحثاً عن دلالة لفظ أسباط إسرائيل .

فإذا عاودنا مطالعة القرآن الكريم، نعثر على قول الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]. فإذا عدنا إلى معنى (السبط) في معاجم اللغويين، تبين لنا أنه يعني "ولد الوالد". فإذا لاحظنا إضافة الله عز وجلّ للفظ السبط لفظ (أمماً) على اعتباره تعالى قد قال: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، يكون معنى ذلك أنّ بني إسرائيل حين خروجهم من مصر، كانوا أحفاداً مؤلفين من اثنتي عشرة عشيرة، كل عشيرة منهم من سلالة حفيدٍ من الأحفاد الإسرائيليين. ذلك أن (أسباطاً) في هذه الآيـة منصوب على البدل من (أمماً)، لا على التمييز. ولذلك ورد في الكليات: أنّ كـلّ

---

(1) إنجيل متّى (١٠/٥).

(2) سورة الأعراف- الآية (١٥٩).

واحد من ولد يعقوب فهو سبط، وكلّ واحد من ولد إسماعيل عليه السلام فهـو قبيلة. والسبطة في اللغة تعني الزيادة في كلّ شيء.

فالقرآن الكريم يقسم بني إسرائيل إلى أسباطٍ أمم، أي إلى عشائر. ونحن لـو راجعنا التوراة المعاصرة، لاحظنا أنها تقسمهم نفس التقسيم القرآني. من حيـث استعمال لفظ (سبط) الذي أورده سفر الخروج في الإصحاح (١/٣١) فقـد أورد (وكلّم الرب موسى قائلاً: انظر قد دعوت بصلئيل من أوري بن حور، من سـبط يهوذا باسمه..). فها أنه يستعمل تعبير (سبط يهوذا) أي من عشيرة يهوذا.

ثمّ إنّ سفر الخروج أورد فيه كاتبه أسماء رؤساء هذه الأسباط الإثنتي عـشرة، وذلك في الإصحاح (١٤/١٦) منه، وفي سفر الأخبار الأول الإصـحاح (١/٢) أيضاً. حيث راح كاتب سفر الأخبار يستعمل لهؤلاء الرؤساء اسم شيوخ. وعلى سبيل المثال ورد: (وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مـع حمـي موسى أمام الله)[1]. ثم ينبه بعد عدة جملاتٍ من هذا الإصحاح إلى أنّ حمي موسى هذا الذي زوجه ابنته بعد هروبه من وجه فرعون بسبب وكزه للمصري وقـضائه عليه. أن حميه هذا نصح موسى بعد مأدبة الطعام التي أُقيمت على شرفه وأشـار عليه أن ينظّم صفوف بني إسرائيل ويقسمهم إلى تقسيمات عسكرية.

فنصحه قائلاً: (وأنت تنظر في جميع الشعب ذوي قدرة، خائفين الله، أمنـاء، مبغضين الرشوة وتقيم عليهم رؤساء ألوف، ورؤساء مئات، ورؤسـاء خماسـين، ورؤساء عشرات. فيقضون للشعب كلّ حينٍ، ويكون أنّ كلّ الدعاوى الكـبيرة يجيئون ا إليك. وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها.. فسمع موسى لصوت حميه، وفعل كُلّ ما قال). وهذه المشورة إنّ دلّت على شيء، فإنمـا تـدلّ علـى رجاحة عقل هذا الشيخ الذي أنجب تلك البنات، والتي تزوج موسى إحداهن بعد هروبه من مصر إلى مدين.

---

(1) سفر الأخبار- الإصحاح (١٢/١٨).

والمُهم من الذي ذكرناه هو أنّ التقسيم القرآني يتفق والتقـسيم التـوراتي في مجال الكلام عن الإسرائيليين وتقسيمهم إلى أسباط رؤساء عشائر.

فإذا تساءلنا عن هذه الأسباط الإسرائيلية الإثنتي عشرة، في زمن بعثة المـسيح الناصري عليه السلام، فلا نجد إلاّ سبطين فقط منها تواجدوا في فلسطين. أما باقي الأسباط العشرة فقد كانت (ضالّة) أي شتاتاً خارج فلسطين، وبـإقرار التـوراة المعاصرة نفسها.

حيث ورد في سفر الملوك الثاني الإصحاح (٢٥)، كما ورد في آخر ترجمة له، قوله: (وتمرد صِدقيا على ملك بابل، وفي السنة التاسعة لملكُه، في اليوم العاشر مـن الشهر العاشر، زحف نبوخذ نصر، ملك بابل، هو وجميع جيوشه على أورشـليم، وعسكر عندها، وبنى حولها تحصينات. فصارت المدينة تحت الحـصار إلى الـسنة الحادية عشرة للملك صِدقيا. وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع، اشتد الجـوع في المدينة، ولم يبق خبز لشعب تلك الأرض. فثغروا المدينة. وكان جميع رجال الحرب ليلاً في طريق الباب الذي بين السورين، بالقرب من بستان الملك. بينمـا كـان الكلدانيون يحيطون بالمدينة، وفي أثناء ذلك، ذهب الملك في طريـق العربـة- أي هرب الملك صِدقيا باتجاه وادي عربه- فجرى الكلدانيوان في إثره، فـأدركوه في برية أريحا، وقد تفرق عنه كُلّ جيشه. فقبضوا عليه، وأصعدوه إلى ملك بابـل في ربلَه، وتلوا عليه الحُكم، وذبحوا بني صِدقيا أمام عينيه). وقد راح كاتب سفر الملوك الثاني يوضح كيف تمّ سبي البابليين لأورشليم، وكيف سـبى هـؤلاء الأسـباط الإسرائيليين إلى بابل. فلم يبق في فلسطين إلا بعض العامة الذين هربوا بعـدها إلى مصر خوفاً من بطش البابلين لهم. فلم يعد من أسباط إسرائيل الاثنتي عـشرة إلى فلسطين إلا سبطا الكهنة والفرنسيين، وذلك بعد مائة عام مضت على سبيهم إلى بابل وقِصة عودة هؤلاء مشهورة. من أن راقصة يهودية كانت السبب في ذلك.

ويتساءل المرء هنا: وهل اتسع العراق لهذه الأسباط كلّها، إلى جانب شعبه؟ والجواب هو النفي حتماً. ذلك أن هذه الأسباط أخذت ترب من العراق بجميع الاتجاهات. فمنها من هاجر إلى الغرب باتجاه سورية ونصيبين. ومنهم من هاجر باتجاه الشرق إلى فارس وهي إيران ومنهم من هاجر باتجاه الشمال نحو أفغانستان ومنها إلى شمالي الهند وتوطنوا في الهضبة التي كانت منتزهاً عظيماً وتنبع منها جميع أ ار شبه القارة الهندية، وقد أطلق اليهود عليها اسمها المعروف حالياً باسم كشمير المُحرف من (كاشير) بمعنى كبلاد الشام، لأنّ تلك الأرض كانت ولا تزال تشبه أرض فلسطين التي نفوا منها في كثيرٍ من جوانبها. وقد حدثت عملية السبي قبل بعثة المسيح بـ (٥٨٨) عام.

ونعود الآن إلى زمن بعثة المسيح عليه السلام. فقد بعثه الله تعالى، ولم يكن في فلسطين في زمن بعثته سوى نسل هذين السبطين الإسرائيليين الذّين سمح لهم حفيد نبوخد نصر بالعودة إلى أرضهم المنفيين منها. أما بقية أسباط إسرائيل فقد كانت في تلك الحُقبة من الزمان متفرقة كما سبق أن ذكرت ما بين نصيبين سوريا وما بين إيران وما بين أفغانستان وكشمير التي تعد تضاريسياً أعظم هضبة على سطح الكرة الأرضية وهي جزء من جبال هيمالايا ويسميها شعراء تلك المنطقة "جنة الله في أرضه".

وقد كان من مهمة المسيح الناصري أن يهاجر من فلسطين إلى تلك الأقطار التي استوطنتها هذه الأسباط العشرة الإسرائيلية الهاربة من الضيق الذي حلّ ا بعد السبي البابلي. فإلى حاجة المسيح لتلك الهجرة من فلسطين لأداء رسالته بين أولئك الشتات الضالين وهم يشكّلون الحظيرة الأخرى أشار إلى ما أورده يوحنا في إنجيله.

وعلى هذه الصورة ترتبط دلالة أقوال المسيح بالمصير الذي آل إليه حاله بعد حادثة الصلب ا لمشهورة.

والمهم في الأمر هو أنّ هذه الحقيقة غابت عن أذهان رواة الأناجيل، وكُنّا ا كما لاحظناه في الوقت الذي تشكّل فيه هذه الحقيقة مفتاح معرفة مصير المـسيح الناصري الذي آل إليه بعد نجاته من إماتته على خشبة الصليب. فلا بد أن يكـون المسيح قد هاجر بعدها إلى تلك الأقطار التي تواجدت فيها الأسباط العشرة الـتي تشردت عن وطنها عقب السبي البابلي.

فهذه هي بينة الأناجيل، وقد أقرها القرآن الكريم حينما أورد لنا قوله تعالى في معرض حديثه تعالى على ما أنعم به على رسله الكرام وعلى ما أنعم به على المسيح وأمه خاصة أيضاً، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۞ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [1]. فبين مضمون هذه الآية الكريمة وبين بينة الأناجيل تطـابق واضـح المعالم. بل إنّ هذه الآية الكريمة لم تنبه إلى المهمة التي كان المسيح مكلّفاً ا وهـي الهجرة لتبشير "الخراف الضالة من بيت إسرائيل" وحسب. بل وقد احتوت علـى حقائق تاريخية كشف عنها هذا الوحي القرآني بشكلٍ مدهشٍ غاب عـن أذهـان المفسرين والمؤرخين.

فمن خلال قوله تعالى﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾ نبه الوحي إلى حادثة الصلب التي ابتلي ا المسيح الناصري، تلك الحادثة الرهيبة التي اقتضت حاجته وأمه إلى إيواء الله تعـالى إياهما من شرور تلك المصيبة. فالإيواء لا يكون إلاّ عند المُصيبة والفاجعة.

فمن خلال كلمة (ربوة). هذه الكلمة لم ترد معرفةً بل منونة، نبهنا وحـي القرآن إلى إشار ا إلى هضبة كشمير الشهيرة التي لا تحتاج إلى تعريف لشهر ا بين روابي العالم قاطبة. وقد فسح هذا الوحي القرآني للباحث المتدبر ا ال بذلك ليربط

([1]) سورة المؤمنون - الآيتين (٥٠-٥١).

بين هجرة المسيح من فلسطين، وبين هجرته إلى هضبة كشمير وما جاورها، والتي هاجر إليها اليهود بعد سبيهم من فلسطين.

ثم إنّ الله جلّ شأنه إذ وصف الربوة المذكورة بقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. فالقرار هو المطمئن من الأرض والمستقر الثابت منها على حسب ما أورد (أقرب الموارد) وكلمة (معين) اشتقّت من معن الماء إذا سال وتدفّق فهو معين. من هذا ندرك أبعاد الأوصاف البارزة التي وصِفَت بها هضبة كشمير، وجعلتها مستقراً ثابتاً لسكنى الإنسان. وأنه ينبع منها الماء سائلاً متدفّقاً. إشارةً إلى الأنهار التي تنبع من كشمير وتتوزع في جميع أرجاء شبه القارة الهندية. وهكذا نكون قد تبينا أنّ أسباط الشتات من بني إسرائيل توزعت ما بين نصيبين والعراق وإيران وأفغانستان وكشمير. فكان لزاماً على المسيح الناصري أن يهاجر إلى تلك الأقطار. وبهذا التحقيق الذي أجريته إنجيلياً وقرآنياً أكون قد طابقت ما بين معطيات الأناجيل والقرآن الكريم.

ولابد لي أن أقول أخيراً إنّ الذين زعموا رفع المسيح الناصري إلى السماء بجسده العنصري، يتناقضون وهذه المسؤولية التي حملها الله عز وجلّ شخص المسيح فهو بعثه رسولاً إلى بني إسرائيل. وبنو إسرائيل لم يتواجدوا جميعهم في فلسطين زمن بعثة المسيح الناصري. بل تواجد معظمهم خارج فلسطين في فارس وأفغانستان وكشمير، بسبب السبي الذي تعرضوا له قبل بعثة المسيح بـ (٥٨٨) عاماً ولم يسمح لهم بالعودة بعد ذلك إلى ديارهم في فلسطين. ثم إنّ بعثة المسيح لم يكن قد مضى عليها حين تعرض لمحاولة قتله على الصليب أكثر من ثلاث سنوات. ولم يؤمن به خلالها أكثر من اثني عشر تلميذاً. فإن أقررنا برفع المسيح إلى السماء زمن واقعة الصلب نكون قد أقررنا أنّ المسيح الناصري لم يكمل رسالة ربه، والسبب هو ربه نفسه الذي رفعه إلى السماء ثم كيف يمكن حينئذٍ الربط بين هذا الزعم وبين الآية التي أوردناها من سورة المؤمنون؟

٣- ما يثبت هجرة اليهود إلى أفغانستان وكشمير:

قلّما فكّر الناس بمصير الأسباط الإسرائيلية الذين سباهم ملك العراق بختنصر من فلسطين بعد أن قضى على دويلا م وهدم هيكلهم المقدس في أورشليم القدس، قبل بعثة المسيح الناصري بـ (٥٨٨) عام. ثم إنّ من آمن بالمسيح على أنه مـات على الصليب وأصبح كفّارة خلاص لهم، على حسب ما ابتدعتها لهم رسائل مـن يسمى "بولس الرسول". والذين سموا أنفسهم مسيحيين أو سماهم غيرهـم ـذه التسمية لأول مرة في كنيسة أنطاكية ودرجت هذه التـسمية بينـهم مـن ذاك التاريخ[1]، على حين كان يطلق عليهم لفظ (المؤمنون) ويسمون أنفسهم (أخوة) و(تلاميذ). فقلّما راحوا يبحثون عن مصير الأسباط الإسرائيلية الـشتات بـسبب العداوة التي تأصلت في نفوسهم ضد اليهود الذين حاولوا قتل المـسيح الناصـري وناصبوهم العداء واضطهدوهم من فلسطين. مع أنه كان من أصل تعاليم المـسيح الناصري ألاّ يبشروا غير الإسرائيليين كما سبق أن أثبتنا ذلك من قبل.

وأنا كباحث متجرد عن الانحياز إلى طرفٍ بعينه في هذا ا ال، تقصيت تاريخ تلك الأسباط الشتات وعثرت على مؤلفات كثيرة لمـؤلّفين شـرقيين وغـربيين سبقوني، فبحثوا نفس البحث، وتبين لهؤلاء أن تلك الأسباط انتشرت ما بين فارس وأفغانستان وكشمير ا اورة.

من هؤلاء الباحثين قسيس يقدسه المسيحيون عاش في القرن الخامس الميلادي، ألّف كتاباً في هذا ا ال، وهو القسيس جيروم. وكتابه له شهرته أيضاً ويتألف من عدة أجزاء، تناول فيها الحديث عن الأسباط العشرة الإسرائيلية الـشتات، تلـك الأسباط التي لم يسمح لها بالعودة إلى فلسطين بعد أن سباها بختنصر ملك العراق. وقد ذكر القسيس القديس أنّ تلك الأسباط خضعت للحكم الفارسـي الـذي احتفظ م ولم يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم بأي شكلٍ من الأشكال.

---

(١) راجع أعمال الرسل ٢٥/١١ وحاشيته.

وقد تعرض القسيس جيروم إلى كتابٍ ألّفه الكونت (جوان ستيرام Count Juan Steram) ونقل مما ورد على الصفحات (٢٣٣- ٢٣٤) منه أن الشعب الأفغانيّ نفسه يعترف بأصله الإسرائيلي من الأسباط الإسرائيليين الشتات الذين سباهم بختنصر من فلسطين إلى العراق، وذلك بعد أن دمر معبدهم الذي شيده سليمان الحكيم.

وهنا راح القس جيروم فوضح أن من تلك الأسباط، أسباط هاجرت إلى منطقة (باميان) المُتصلة بمنطقة (غور) الأفغانية.

وعليه فإن كتاب القديس جيروم المذكور يعد وثيقة تاريخية لها قيمتها لشهرة وقداسة هذا القسيس من جهة، ولمكانته كصاحب رأي ومحقّق. وبالإمكان الحصول على هذا الكتاب من المكتبة البابوية في روما. والذي يؤسف له أنّ هذين المحترمين لم يتقصيا هجرة المسيح الناصري إلى تلك البقاع لاعتقادهم تقليدياً أنّ المسيح الناصري مات على الصليب.

ثمّ إنه صدرت عام ١٨٥٤ ميلادية، في لندن، موسوعة جغرافية بعنوان: (Encyclopedia of geography)، قام بتأليفها العالم (جيمس بريت: James Bryce)[1]، وقد أورد هذا المؤلّف في موسوعته أن نسب الشعب الأفغاني، يعود إلى طالوت أحد قادة إسرائيل . وأن الأفغان أنفسهم يسمون أنفسهم "بنو إسرائيل".

والآن لننظر، فهل يعقل أن يكتب هذا العالم الذي هو على مستوى إصدار هذه الموسوعة مثل هذا الكلام لو لم يتوثّقه من مصادر لها قيمتها؟ فلا بد أنه قام في هذا المجال بتحقيقٍ أصولّي. وبإمكان الذي يزور إنكلترا أن يطلّع على هذه الموسوعة في مكتبة لندن الرئيسية.

---

(١) راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق آخر هذا الكتاب.

وعلى شاكلته فالعالم الإنكليـزي (الكـسندر بـارينس Alexander Barenes) ألّف كتاباً بدوره، وتحدث فيه عن الشعب الأفغاني، في حينه، ومما قاله إنه يتبين له أن الأفغان يعتقدون أنهم من أصل إسرائيلي. وبذلك اتفق رأيه مع رأي صاحب الموسوعة الجغرافية التي أتينا على ذكرها. وأضاف قوله إنّ الأفغـان يتحدثون فيما بينهم عن أصلهم ويذهبون إلى أنهم من الذين سباهم ملـك بابـل ونفاهم إلى منطقة (غور) الواقعة شمال غرب بابل. وأنهم لم يتنازلوا عـن دينـهم اليهودي في تلك الفترة من الزمان، إلى أن جاء العـام (٦٣٢) مـيلادي، فنحـو التاريخ المذكور سمعوا بدعوة الإسلام وتحقّقوا صدقه، واعتنقوه ديناً لهم بـصورة جماعية.

فلولا أن خالط هذا العالِم سكان أفغانستان، وطالع بعض مؤلفا م، فمن غير المعقول أن يكتب هذه الحقيقة التي حدثنا ا.

وقد ألف أحد كولونيلات الجيش البريطاني الذي خدم في شبه القارة الهندية، عام (١٨٧١) ميلادية كتاباً عن ذكرياته في الهنـد. وهـو الكولونيـل (ج. ب. مالّيسون: Colonel G.B.Malleson)[1] فوضح لنا حقيقة استقاها مما قرأه من كتب المستشرقين، وكتب الرحالة الأوربيين. فذهب إلى أن المستشرق سير وليام جونز، وإلى أنّ الرحالة الإفرنسي (فرائرياني)، والعالِم الأفغاني عبد الله خـان الهراتي، إلى أنّ هؤلاء جميعهم أجمعوا على أن شعب أفغانستان يعود أصلهم إلى أحد أسباط بنو إسرائيل الضالة التي سباها بختنصر ملك بابل من وطنهم فلسطين الأمـر الذي أدى لتشتت تلك الأسباط في تلك الأقطار البعيدة عن فلسطين.

كذلك نشر العالم (فيرير فرانش: L.P Ferrier French) كتاباً أسماه قصة الأفغان: (History of the Afghans)[2] ومما أورده في كتابـه أنّ

---

(١) راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق آخر هذا الكتاب.

(٢) راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق آخر هذا الكتاب.

معظم مؤرخي الشرق قد أقروا بأن شعب أفغانستان هم أحفاد الأسباط الإسرائيلية العشرة التي سباها ملك بابل من فلسطين. ويضيف قوله إنّ أفراد الشعب الأفغاني أنفسهم يعتقدون ذلك أيضاً.

وذكر هذا العالِم على الصفحة الرابعة يقول: إنّ الأفغان يقدمون لك دلـيلاً على ما يدعون، وهو أنّ نادر شاه عندما وصل هناك قاصداً فتح الهند، قـدم لـه رؤساء وزعماء (يوسف زئي) هدايا، ومن جملة تلك الهدايا كتاب التوراة باللّغـة العربية إضافة إلى تحائف أخرى، ظلّت محفوظة عندهم وفق تقاليدهم الدينية. وأنه وجد في معسكر نادر شاه بعض اليهود. فلما شاهدوا تلك الهدايا المقدسة، سرعان ما تعرفوا عليها على أنها تراثٌ يهودي.

وهذا الكاتب يضيف على آخر صفحة منه أن رأي عبد الله خـان الهـراتي عندي هو أوثق هذه المصادر جميعها. ورأيه أنّ طالوت (سال) ولد له ابنان اسـم أحدهما أفغان واسم الآخر جالوت. فأفغان هو الجد الأكبر للشعب الأفغاني. ورأيه أنه بعد أن ا ارت دولة سليمان وانقسم اليهود على أنفسهم، وصـلوا إلى وقـت هاجمهم بختنصر ملك بابل وقتل منهم سبعين ألفاً، ودمر هيكل سليمان المقـدس، وأسر ما تبقّى منهم، وسبى الأسرى إلى بابل، ولم يعد يسمح لهـم بـالعودة إلى ديارهم. فهرب سبط أفغان من جوديا بسبب الاضطهاد، إلى بلاد العرب وأقـاموا هناك مدة طويلة من الزمان. واضطر م ندرة الماء والغذاء للهجرة إلى الهنـد. ولم يبق منهم إلاّ أحد أفخاذهم وهم الأبداليون. فيما تولّى أبو بكر الصديق (رضـى) الخلافة. اجتمع أحد زعمائهم بخالد بن الوليد (رضـى). وهـاجروا إلى فـارس وكرمان بعد أن فتحها العرب المسلمون، واستقروا هناك إلى حين هاجم جنكيـز خان تلك البلاد. فلاقوا منه كلّ اضطهاد واضطرهم ذلك للهجرة إلى الهند عـن طريق مكران فالسند فملتان. وحطوا رحالهم على جبال سليمان بأفغانستان. ولحق م من تركوه وراءهم من الأفخاذ.

والذي يهمنا من ذلك أن نشير إلى أنّ الكتاب المذكور احتوى على معلوماتٍ قيمةٍ جداً وهو مقسم إلى أبواب. الباب الأول خصصه للكلام عن انتماء أفغان إلى إسرائيل الذي هو يعقوب. والباب الثاني خصصه للكلام عن طـالوت وهكـذا.. والمهم في هذا الكتاب استدلاله بمراجع كثيرة تؤيد طُروحاته. كما عـرج علـى تفصيل الأحداث والتطورات التي طرأت على شعب أفغانستان زمن بعثـة محمـد رسول الله ﷺ.

فذكر أنهم شكلّوا وفداً، بعد أن علموا ببعثته، وأرسلوه إلى مكـة المُكرمـة برئاسة (قيس). والتقى الوفد المذكور برسول الله ﷺ سراً، وأصغى الوفد إلى كـلّ ما أطلعهم عليه الرسول ﷺ وتبينوا صِدق نبوته، وبايعوه بعد أن اعتنقوا الإسـلام ديناً. وقد بدل رسول الله ﷺ اسم قيس باسم عبد الرشيد، وتقبل قيس هذا الاسم الجديد، وعاد مع أعضاء وفده أدراجه إلى أفغانستان وعرض على الناس هناك مـا سمعه من رسول الله (ص)، وأسلم الشعب الأفغاني بأكمله على يديه.

وإضافة إلى المراجع التي ذكر ا فقد مر علي كتاب للسير"جون مالكولم Sir John Malcolm"بعنوان (قصة بيرسيا:istory of Persia) ويتألف من عدة أجزاء وقد أورد هذا المؤلف في كتابه هذا أموراً كثيرة تشبه إلى حدٍ ما، مـا حدثنا به مؤلف كتاب (قصة الأفغان). فمما ذكره هو (أن أوضاع وجوه الأفغان وهيئتها تشابه أوضاع وهيئة وجوه اليهود مشا ة مدهشة، وهذه حقيقة سلّم ـ ا أغلب الباحثين).

وتجد في المكتبات الإنكليزية العريقة كتابـاً بعنـوان (قـاموس الجغرافيـا: Adictionary of geography) مؤلّفـه العـالِم (جونـسون A.K.Ghonston)، وقد أورد هذا الكاتب في مقابل كلمة (كشمير) حديثه عن أهل كشمير ما تعريبه: (سكا ا طوال القامة، أقوياء الجسم، ذوو هيئة رجالية،

نساؤهم مكتملات الجسم جميلات، شم العرانين في تقوس، وهـم في أوضـاعهم أشبه ما يكون باليهود تماماً).

هذه نماذج من المصادر المسيحية وغير المسيحية التي تؤكد ما ذهبت إليـه في كتابي هذا من أنّ الأسباط الإسرائيلية الشتات انتشرت بين فـارس وأفغانـستان وكشمير. وإنّ أصحاب هذه المؤلفات حققوا صحة ذلك ووضحوا هذه الحقيقـة عن غير قصد منهم أن يدعموا ما ذهبت إليه. فهم أقدم تاريخاً من تاريخ مـؤلفي هذا بزمن طويل.

فما دام قد ثبت أن الأسباط الإسرائيلية الذين سباهم ملك بابل من فلسطين، أنهم انتشروا ما بين فارس وأفغانستان وهضبة كشمير. فبالتالي كان لا بد للمسيح الناصري، وقد نجّاه ربه من الموت على الصليب، كان لا بد لـه أن يهـاجر إلى الأقطار التي ذكر ا ليكمل أداء رسالة ربه المكلّف ا والتي ذكرها في الأناجيل تارة بقوله:

(لم أرسل إلاّ إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل)، وتارة بقوله من إنجيـل يوحنا: (ولي خراف أُخرى ليست من هذه الحظيرة- أي ليست من حظيرة داخل فلسطين- فتلك أيضاً لا بد لي أن أقودها وستصغي إلى صوتي، فيكون هناك رعيةٌ واحدةٌ وراعٍ واحد..).

أقول: وكم هي واضحة كلمات المسيح الناصري فهو وضح من جهة أنـه مبعوث رسولاً إلى بني إسرائيل فقط من جهة (لم أرسل إلا إلى خراف..) وإلاّ أداة حصر، حصر ا رسالته ضمن الشعب الإسرائيلي واتفق كلامه هذا مع الطّـرح القرآني: ﴿ورسولاً الى بني إسرائيل﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾. أقول: إنّ المسيح حصر رسالته في بني إسرائيل من جهـة. ومن جهة أُخرى وضح أن هؤلاء الإسرائيليين ليسوا في حظيرة واحدة، وإنمـا في

حظيرتين: داخل فلسطين وهم الذين اضطهدوه، والشتات خارج فلسطين الذين سيؤمنون به جميعهم وتكون هناك "رعية واحدة وراع واحد".

فلما نصلّ هذا الحد من البيان يواجهنا سؤال يوضح نفسه وهو: لو هاجر المسيح الناصري إلى فارس وأفغانستان وكشمير، لكانت المسيحية قد عمت هذه الأقطار المذكورة. والذي يراجع إحصائيات تلك الدول فلا يجد للمسيحيين من نسبة تذكر، فكيف تفسر ذلك؟

وجواباً على هذا السؤال أقول: إنّ مثل هذا السؤال يطرح نفسه في ذهن من اعتقد أنّ المسيحية دين مستقل عن الدين اليهودي. أما إذا انتبه هذا الإنسان إلى قول المسيح الناصري نفسه في الأناجيل التي هي بين أيدينا وهو: (لا تظنوا أني جئت لأُبطِلَ الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأُبطل، بل لأكمِل)[1].

فإذا تفحصنا ألفاظ هذا الكلام بوعيٍ ودقّةٍ، استنتجنا أنّ المسيح الناصري لا يختلف في حقيقة أمره عن بقية أنبياء إسرائيل . ذلك على اعتبار أن جميع أنبياء بنوا إسرائيل ما جاءوا لينقضوا شريعة موسى، بل جاءوا ليكملوا لذلك لم ينسب المؤمنون م في يوم من الأيام إلى هؤلاء الأنبياء، بل ظلّوا ينسبون إلى موسى وشريعته.

وزيادة في الإيضاح أنقل حاشية الكتاب المقدس طبع عام (١٩٨٩). ففي الحاشية رقم (١٥) منه ورد: (أكمل أو أتمّ) من معاني الفعل اليوناني حقق أو ملأ. لا شك أنّ المعنى المقصود هنا هو المعنى الثاني. فلا يكتفي يسوع بتحقيق النبوءة، بل يريد أن يبلُغ ا إلى كمالها، فيعيد إلى الشريعة معناها الحقيقي، فيجعلها تدرك كمالها الجذري، وتستعيد بساطتها الأصلية. راجع (٢٠/٥) راجع هذا الذي يقوله المسيح: (فإني أقول لكم: إن لم يزدِ برّكُم على بر الكتبة والفرنسيين، لا تدخلون ملكوت السماوات).

[1] إنجيل متى ١٧/٥ طبعة عام ١٩٨٩.

وعليه فإنّ المقصود من قوله المسيح (بل لأكمل) هو أنّ بعثته قد حقّقت من جهة النبوءة التوراتية المتعلّقة ببعثته، إلى جانب أنّ كان من مهمته إعـادة الوجـه الحقيقي لتعاليم التوراة.

و ـذين المعنيين لا يكون المسيح الناصري قد أتى بدين جديد غير دين موسى. بل أتى مجدداً لدين موسى ولشريعته ولإعطاء شريعة موسى وجهها الحقيقي. وعلى هذه الصورة فلا فرق هناك ما بين ما قام به سليمان وداوود ودانيـال وحزقيـال وسواهم من أنبياء بنو إسرائيل. فجميع هؤلاء الأنبياء قاموا أصلاً بما قام به المسيح الناصري. هذا على شاكلة ما حدث بعد بعثة محمد ﷺ فقد أخذ الله عـز وجـلّ يبعث مجددين يجددون دينه ويعيدون إليه وجهه الوضاء كلّما انحرف المسلمون عن ذلك، وتحقيقاً لقول رسول الله ﷺ أيضاً، وهو حديث مشهور: (علمـاء أمتـي كأنبياء بني إسرائيل). والمقصود بالعلماء هنا هؤلاء ا ـددين، وليس كل من نصب نفسه عالماً في الدين. والأمر الذي نستخلصه مما ذكرناه هو أنه لا يوجـد بـين سلسلتي موسى ومحمد عليهما السلام ودينيهما، لا يوجد دين ثالث يدعى بالدين المسيحي. لذلك سبق لي أن قلت: "إنّ مثل هذا السؤال يطرح نفسه في ذهن مـن يظن بوجود دين اسمه الدين المسيحي ومستقلاً عن الدين اليهودي".

وقد يقال هنا: إنك بكلامك هذا تخـالف الواقـع المحـسوس في عـصرنا. فالمسيحيون يعتقدون أنهم دين مستقل عن دين اليهود، وإلى هذا تشير تـسميتهم بالمسيحيين.

أقول: وهل تسمي اليهود الذين عاصروا عهد سليمان مثلاً بالسليمانيين؟ وما دام المسيح الناصري لم يبعث لينقض شريعة موسى، بل ليحقق نبوءا ا، وليبلُغ ا إلى كمالها ويعيد للشريعة معناها الحقيقي على حسب دلالة (يكمـل) في اللّغـة اليونانية وهو ما اعترفت به الحاشية (١٥) من المدخل (١٩٨٩م) فلا يجوز بالتـالي تسمية الذين آمنوا بالمسيح الناصري "مسيحيين" بل "مؤمنين" و"أخوة" فقط.

تسألني: وهل حقّقت في أمر تاريخ هذه التسمية؟ أقول سؤالك هذا جوهري. وقد حققت في أمر هذه التسمية، فتبين لي أنها تسمية لاحقة لحادثة صلب المسيح الناصري، وليست بتسميةٍ، سابقة لها. فهي تسمية تتنافى وقول المسيح الذي نقلته، وإنّ اضطهاد اليهود لتلاميذ المسيح هو الذي دعا إلى هذه التسمية. إلى جانب محاولات بولس الرسول في هذا المجال.

فليعد القارئ معي إلى ما ورد في أعمال الرسل (٢٦/١١)، فسيجد الجواب الشافي هناك على سؤاله. والذي قيل فيه: (فأوفدوا برنابا إلى أنطاكيه- أرسله رجال الكنيسة في أورشليم القدس كما يتبين من سياق الكلام- فلما وصل ورأى نعمة الله، فرح وحثّهم جميعاً على التمسك بالرب من صميم القلب، لأنه كان رجلاً صالحاً، ممتلئاً من الروح القدس والإيمان. فانضم إلى الرب خلق كثير. فمضى- برنابا- إلى طرسوس يبحث عن شاول- (وشاول هذا هو بولس الرسول)- فلما وجده جاء به إلى أنطاكية، فأقاما- أي برنابا وبولس- سنةً كاملةً يعملان معاً في هذه الكنيسة، ويعلّمان خلقاً كثيراً.

وفي أنطاكية سمي التلاميذ أول مرة مسيحيين. والآن لنتابع ما كتبوه في الحاشية (١٧) التابعة لجملة (في أنطاكية سمي التلاميذ أول مرة مسيحيين). ففي الحاشية يقولون: (لفظ جديد آخر للدلالة على من سماهم لوقا، ولا يزال يسميهم "الأخوة" و"المؤمنين" و"التلاميذ" و"الطّريقة" و "القديسين" الخ.. كلمة مسيحي ترجمة للاسم اليوناني المشتق من المسيح، تكاد تكون جميع تلك التسميات الأخرى من صنع المسيحيين أنفسهم. في حين أنّ اشتقاق كلمة "المسيحي" أي من أتباع المسيح، هي، على ما يبدو، من صنع غير المسيحيين.

ويدلّ ظهور هذا اللّفظ على أن "كنيسة" أنطاكية كان ينظر إليها، لا كما ينظر إلى شيعة يهودية، بل إلى جماعة دينية جديدة تنتمي إلى المسيح)[1]. وبمراجعتنا

---

[1] راجع (٥/٢).

للإصحاح (٥/٢٤) المطلوب منا مراجعته. نلاحظ أنّ هذا الإصحاح يخبرنا بـ ول عظيم الكهنة وبعض شيوخ اليهود ومحام اسمه طرطُلس عند الحـاكم الرومـاني: (فرفعوا للحاكم دعواهم على بولس. فلما دعي، استهلّ طرطُلس ا امه بقوله: "إنّ ما ننعم به من السلام الشامل بفضلك، ومن الإصلاح الذي حصلت عليـه هـذه الأمة بعنايتك، نتلقّاه يا فِلِكس المكرم بخالص الشكر من جميع الوجوه، وفي كـلّ مكان، ولكن لا أريد أن أُزعجك بكثير الكلام، فأرجو أن تصغي إلي قليلاً بما أنت عليه من اللطف. وجدنا هذا الرجل آفةً من الآفات- يقـصد المحـامي بكلامـه وشكواه بولس الرسول كما يدل على ذلك سياق الكلام- يثير الفتن بين اليهـود كافّةً في العالم أجمع، وهو أحد أئمة شيعة النصارى. وقد حاول أن يدنس الهيكل، فقبضنا عليه، فتستطيع، إذا استجوبته عن هذه الأمور كلّها، أن تتبين ما نتهمه به. فسانده اليهود، زاعمين أن الأمور على ذلك).

لا بد أنّ يكون قد اتضح للقارئ من خلال الشواهد التي قدمتها أنّ تلاميـذ المسيح الناصري لم تستعمل لهم كلمة مسيحيين في حياته في فلسطين إطلاقاً. بل إنّ هذه التسمية قد استعملت لهم، بعد مدة مديدة من واقعة صـلبه، وفي أنطاكيـة بالذات، وعلى أيدي (بولس) نفسه الذي سبق أن أثبت من قبل أنه هـو الـذي ابتدع عقيدة (كفّارة المسيح) وليس أحد سواه.

كما اتضح للقارئ أيضاً أنّ كهنة وشيوخ اليهود استعملوا لهؤلاء المـؤمنين بالمسيح الناصري اسم "شيعة النصارى" خلال مرافعتهم وشكايتهم التي رفعوهـا ضد بولس نفسه.

هذا هو تاريخ تسمية أتباع المسيح بالمسيحيين وباسم شيعة النصارى ممـن ناصروه ونصروه ضد من اضطهده من اليهود. والسبب في قبول هؤلاء لهذا الاسم الجديد الذي سماهم به بولس، هو ما لاقاه هؤلاء من اضطهاد ومقاطعة من اليهود

الذين اضطروهم لترك أورشليم والهجرة منها إلى قبرص وأنطاكية وسواها على حسب ما سبق أن بينته في حينه.

وعاد هؤلاء المؤمنون بهذا الاسم وكأنهم انسلخوا به عن جسم الأمة الإسرائيلية، وشكّلوا أمة جديدة وديناً جديداً غير الدين اليهودي. مع أنّ حقيقة ومثَلَ هؤلاء المؤمنين لا تختلف في شيء عن جماعات المؤمنين الذين سبقوهم من قبل، في عهد أي نبي بعثه الله تعالى بعد موسى عليه السلام ومن أمته. فما جاء قبل المسيح الناصري نبي إسرائيلي نسخ شريعة موسى واستبدلها بشريعة جديدة. ثمّ إنّ المسيح نفسه اعترف أنه ما جاء لينقض شريعة موسى وإنما لِيكمِّل بمعنى مصداقاً لنبوءاتها، وليحقّق لها وجهها الوضاء الحقيقي. والذي يتدبر الأناجيل فلا يجد أنّ المسيح شرع أموراً تختلف عن التشريع التوراتي، وإنما تدلّ أقواله على أنه قام بعملية تجديدٍ وحسب. فهو قال مرة على سبيل المثال في إنجيل متى (٢٧/٥): (قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن. وأما أنا فأقول لكم: إنّ كلّ من ينظُر إلى امرأةٍ يشتهيها فقد زنى بها في قلبه..) فليس في هذه الكلمات تشريع جديد، بل فيه شرح لفلسفة الزنى وآثاره على نفس الإنسان.

وعليه نخلص من جميع ما ذكرناه للرد على من اعتقد بأنّ "المسيحية" تشكّل ديناً مستقلاً عن دين موسى عليه السلام.

٤- ما يثبت هجرة المسيح الناصري إلى فارس وأفغانستان وكشمير:

مادمنا قد أثبتنا من خلال مؤلّفاتٍ قديمةٍ، ولعلماء ومستشرقين ورحالة شرقيين وغربيين أنّ الأسباط الإسرائيلية العشرة التي سباها ملك بابل، واستوطنت بلاد فارس ولم يسمح لها بالعودة إلى وطنها فلسطين، أقول: ما دمنا أثبتنا أنّ جميع هؤلاء الباحثين تأكدوا من أنّ الأسباط الإسرائيلية المذكورة تركت بلاد فارس وهربت راحلة باتجاه شرقي إيران أي إلى البلاد المُسماة اليوم بأفغانستان فاستوطنها بعض الأسباط. والبعض الآخر واصل سيره باتجاه الشرق أيضاً فوصل هضبتي كشمير والتبت. ولاحظوا أنّ تلك المناطق تشبه بلادهم الأصلية فلسطين، فقد استوطنوا فيها وأطلقوا على تلك المنطقة (كاشير) أي كبلاد الشام. وهذه الكلمة تحولت مع مرور الزمن إلى (كشمير). كما أطلقوا أسماء يهودية على كثير من الوديان والجبال والسهول التي حطّوا فيها رحالهم كممر خيبر وهو الوادي الفاصل بين أفغانستان والأراضي المتفرعة عن كشمير، وكجبل سليمان، وسواها من الأسماء. علماً بأن لُغات الهند وما جاورها جميعها لا تحتوي على مثل هذه الأسماء.

أقول: ما دمت قد فرغت من إثبات ذلك كلّه، فقد كان من واجبي أن أثبت هجرة المسيح الناصري إلى تلك الأقطار أيضاً. تدليلاً على أن الله تعالى أنقذه من الموت على الصليب، ليهاجر سائحاً في الأرض وباحثاً عن الشتات من أسباط قومه إسرائيل .

وقد خصصت هذا الفصل من الكتاب لإثبات هذه الحقيقة ولأكون قد وفّيت موضوع كتابي هذا حقّه من الأبحاث التي تدور في فلك موضوعه كما تدور الكواكب حول الشمس.

وكتمهيد لهذا الفصل أقول: ألّف كثير من العلماء أيضاً كُتباً يحاولون تفسير ظاهرة عجيبة لفتت أنظارهم، وهي تشابه تعاليم (بوذا) مع تعاليم المسيح الناصري

التي أوردتها الأناجيل التي بين أيدينا- فذهب بعضهم إلى أنّ المسيح قبل إعلان دعوته، لا بد أن كان رحل إلى الهند، وتأثّر بتعاليم بوذا، حتى إذا رجع إلى وطنه قام بنشر نفس التعاليم.

ولا شك أنّ أولئك العلماء، ما خطر لهم يوماً ما، أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب وأنه هاجر بعد نجاته إلى تلك الأقطار ونشر تعاليم التسامح والسلام هناك بين الشتات من الأسباط الإسرائيلية التي سبق أن كانت قد اختلطت بأتباع (بوذا) الذي كان قد بعثه الله تعالى قبل المسيح بخمسمائة عام، واندثرت تعاليمه الحقيقية بسبب أنه لم يكن الناس يوثّقون تعاليم أنبيائهم، ويعتمدون على الرواية الشفهية لتلك التعاليم، وكانت تتعرض تلك التعاليم للتشويه على مر الزمان.

فما خطر لأحدٍ من هؤلاء الباحثين أصحاب المؤلفات التي سآتي على ذكرها، أنّ تعاليم المسيح الناصري قد تركت بصماتها على البوذيين وليس العكس بشكلٍ من الأشكال

ومن الذين لاحظوا مدى التشابه بين تعاليم بوذا المنتشرة في التبت خاصة وبين تعاليم الأناجيل، وذهب المذهب الذي ذكرته، عالمٌ رحالةٌ روسي شهير، يدعى (نكولاس نوتوفيتش: Nicolos Notovitch). فقد رحل الرحالة المذكور إلى هضبة التبت، وخالط (اللاّمات) وهم رجال الدين البوذي، وحاول ترجمة كُتبٍ يتداولونها، ويعطونها مسحة قداسة. وكان هذا الرحالة متبحراً بتعاليم المسيح من خلال الأناجيل التي هي بين يديه. وقد أدهشه مبلغ التشابه الكبير ما بين تعاليم (بوذا) التي احتوت عليها تلك الكتب، وتعاليم المسيح الناصري في الأناجيل.

فألّف كتاباً وضح فيه نواحي التشابه الكثيرة، ورجح كباحثٍ أن يكون المسيح الناصري قد زار منطقة التبت وتأثر بتعاليم بوذا قبل أن يبشر بدعوته. فلما عاد المسيح من هناك نشر تلك التعاليم البوذية على أنها تعاليمه.

والذي نلاحظه بعد مطالعة المؤلف المذكور أن (نكولاس) لم يستطع تقديم أية حجة قاطعة تثبت ما ذهب إليه خياله اللهم إلاّ هذا التشابه بين التعليمين.

أقول: لنعكس معادلة هذا الرحالة الروسي نيكولاس، فينقلب هذا التـشابه لصالح هجرة المسيح الناصري وتواجده في التبت بعد نجاته مـن المـوت علـى الصليب.

وقُلت إنّ تعاليم بوذا لم توثّق في كتاب قبل زمن هجرة المـسيح إلى التبـت خاصة، بل كانت متداولة على شكل روايات شفهية مشوهة. وبتأثير تعاليم المسيح التي نشرها هناك بين المُشتت من قومه الذين خالطوا البوذّيين، فقد حـدثت ردة فعل لدى (لامات) البوذّيين، وراحوا يزعمون أنّ بوذا علّم نفس تعاليم التـسامح والسلام. وبعد جيل أو جيلين بدأ علماء البوذّيين يكتبون تلك التعاليم ويوثقو ـا كمرجع مقدس للقراء من أتباعهم. وعلى هذه الصورة يتضح الإشـكال الـذي أشكل على الرحالة الروسي نيكولاس.

وبما أنّ ما كتبه هذا الرحالة كان يمس شخص المسيح الذي تقدسه الشعوب الغربية، فقد أحدث ضجة وأثار غباراً. وانطلق علماء غربيون يتدارسـون هـذا الأمر، كل على حسب اجتهاده. لكن الذي أعاقهم عن اكتشاف الحقيقـة، هـو اعتقادهم التقليدي أنّ المسيح الناصري مات على الصليب. فلم تخطر ببال أحدهم إمكانية هجرته إلى تلك الأقطار.

وقد تناولت مختلف صحف تلك الفترة الزمنية هذا الموضوع بأساليب عديدة. فمن تلك ا لاّت التي تناولت الموضوع المذكور مجلّة كان اسمها (Nineteech Century) واسم صاحبها (مستر ميكس مولر Max Muller). وكان مما كتبه صاحب هذه ا لّة في عدد شهر أكتوبر لعام (١٨٩٤) ميلادية: "أن النظريـة القائلة بتأثير المبادئ البوذية في شخص المسيح وتعاليمه، لا شك أنّ الذي طرحهـا

مؤلّفون ثُقات. إنما البحوث لا تزال جارية على قدمٍ وساق للكشف عن الطّريق التاريخي الذي أوصل تعاليم الدين البوذي إلى فلسطين في حياة المسيح الناصري".

فبهذه الألفاظ، لم يطعن الصحفي المذكور بنظرية الرحاله الروسي وسـواه، إنما شوش عليه حين ذكر أنّ تعاليم بوذا نفسها وصلت إلى فلـسطين ولـيس أنّ المسيح رحلَ إلى هناك قبل دعوته واقتبسها عن البوذّيين، لأنه كان من العسير جداً على الأوربيين أن يسلّموا برحلة المسيح إلى الهند قبل إعلان دعوته. فقـد كـان معلوماً لديهم أين أمضى المسيح الثلاثين عاماً من شبابه. وأقول هنا نفس ما قلتـه تعقيباً على ما أورده الرحالة الروسي في كتابه. وهو أن هذا الـصحفي (مـيكس مولر) ما كان يدري أنّ المسيح لم يمت على الصليب بسبب عقيدتـه التقليديـة المرتكزة إلى موت المسيح على الصليب والتي ابتدعها (بولس) كما سبق بيانه.

والمعلوم تاريخياً أنّ بريطانيا بعد أن استعمرت شبه القارة الهندية، أتت معهـا بالمبشرين المسيحيين إلى الهند لتنصير أهل تلك البلاد وجعلها بالتالي تابعـةً للتـاج البريطاني. وقد انتشر المبشرون المسيحيون في هضبة التبت أيضاً وفتحوا لهم مراكز تبشيرية فيها.

وقد ألّف أحد علمائهم وهو(G.H.T) كتاباً سماه (منغوليا والتتار والتبت: (Mangolig, Tatary, Tibet[1] تكلّم فيه عن (بوذا الميتا). ومما ذكره في كتابه المذكور أنّ الظروف والأوضاع التي رآها المبشرون المسيحيون القـدماء في هضبة التبت بأم أعينهم، والتي سمعوا عنها بآذا م، دفعهم كلّ ذلك ليـستيقنوا أنّ آثار المسيحية موجود علائمها في كتب علماء البوذيين (اللامات) القديمة وأضاف يقول على نفس الصفحة: إن متقدمينا اعتقدوا أنّ المسيحية وصلت إلى هذه الديار في حياة الحورايين أنفسهم.

---

(١) راجع النص الكامل باللغة الإنكليزية في الملحق أخر هذا الكتاب.

كما أضاف على الصفحة (١٧١) قوله: وإنه مما لا شك فيه أنّ انتظار ظهور مخلّص أعظم، كان سائداً بين الناس على حسب ما ذكره (طيسيطي: Tacity). هذا وإنّ الداعي إلى هذا الانتظار، لم يكن بسبب اليهود وحسب، بل إنّ البوذّية نفسها أسست عقيدة الانتظار المذكورة، وتنبأت بظهور (متيا) الذي ترجمته (المسيح).

وعلّق المؤلف نفسه، على ما ذكره، وقال: يوجد كتابان بوذّيان هما كتاب (بتاكتيان) وكتاب (أ اكتها)، وقد احتوى هذان الكتابان على نبأ واضح متعلّق بـ ول (بوذا) آخر، حدد موعد ظهوره بعد (جوتم) أو (ساكهي مني) بألف سنة، وأنّ (جوتم) صرح أنّ (ميتا الأبيض) الذي ترجمته المسيح الأبيض البشرة، لا بد أن يأتي بعدي إلى هذه البلاد.

ثمّ يمضي هذا الكاتب الإنكليزي ويقول: إن اسم (متيا) يشبه اسم (المسيح) من حيث التلفّظ شبهاً مدهشاً..

أقول: لا يستبعد وجود هذه النبوءة في كتب أهل التبت عن سفر المسيح الناصري إلى بلادهم. فلا يستبعد أن يكون (جوتم) المذكور هو أحد صلحاء ذاك الشعب، وأن الله تعالى كشف عليه هذه الحقيقة القادمة المتعلّقة بهجرة المسيح الناصري إلى هناك بعد نجاته من الموت الصليبي. ذلك أن للصلحاء من الناس كثير من هذه المكاشفات.

والحقيقة هي أنّ كلمة (بجوا) في اللّغة السنسكريتية تعني ذي اللّون الأبيض. وإنّ كلمة (متيا) في السنسكريتية تعني (السياح) القادم من خارج البلاد. وقد أثبت حتى الآن أنّ المسيح الناصري كان مكلفاً بالسياحة إلى تلك الأقطار التي وصل إليها الشتات من اليهود. فهذه النبوءة المذكورة لا بد أنها جاءت لحكمة عظيمة وهي أن تعد أفئدة البوذّيين من أهل تلك البلاد للترحيب بالمسيح وعدم اضطهاده. بل تلقّي تعاليمه. وهذا هو ما حدث فعلاً. فلم يكن البوذّيون قد دونوا تعاليم بوذا

من قبل، ووصلت إليهم تعاليمه بالرواية الشفهية ومشوهة. وهم قد اعتقدوا أنّ هذا المسيح الأبيض هو مصداق ما عندهم من نبوءة، فالتفّوا حوله يستقون منه تعاليمه على أنها نفس تعاليم (بوذا) الحقيقية، فلما دونوا هذه التعاليم من بعـد ذلـك، جاءت مشا ةً لتعاليم المسيح الناصري إلى حدٍ كبير. ثمّ إنّ كلمة (المسيح) اشتقّت من السياحة أصلاً، ولا يسمى إنسان سائحاً، ما لم يغادر وطنـه إلى غـيره مـن الأوطان.

وعلى كلّ حال، فإنّ المسيحيين التقليديين إذ يبحثون عن تـأثير البوذيـة في تعاليم المسيح، إنما يختارون طريقاً ملتوياً في نظري، ويتعبون بالتالي أنفسهم بـلا طائل، ما داموا معتقدين أنّ المسيح الناصري مات على الصليب.

وما أسهل أن يعكسوا معادلتهم، ويتلمسوا آثار أقدام مسيحهم المباركـة في أعالي جبال نيبال والتبت وكشمير. فلا يجدون بعد ذلك إشكالاً، وتتضح لأعينهم الحقيقة ناصعة البياض. وهذا الأمر لا يتحقق إلا بعد أن يأخذوا بدلالة الجملة مـن سفر المزامير (١٢/٣٤) (البار المتألم محمي في المحنة)، وبدلالة نبوءة مشا ة حادثـة الصلب بحادثة يونان النبي الذي دخل بطن الحوت حياً وخرج منه حياً. وبدلالـة قول المسيح الناصري نفسه في إنجيل يوحنا من أنّ له خراف أخرى خارج حظيرة فلسطين.

٥- مرهم عيسى في كتب الطب القديمة:

طالعت الأناجيل الأربعة من أولّها إلى آخرها، مراراً وتكراراً، فلم ألحظ أنّ الذين جلسوا يكتبون هذه الأناجيل، قد فكّروا ولو للحظة من اللّحظات، في أمر الكلام عن العلاج الذي هيأه تلاميذ المسيح الناصري لمعلمهم لمعالجة ما أصاب يديه وقدميه من جروح. وقد أطبق كُتاب الروايات الإنجيلية عن الكلام عن (مرهم عيسى) الذي عولجت به جروحه، وكأنّ أمر معالجة جروح المسيح الناصري ما كان لها أية أهمية كانت، في نظر كُتاب الأناجيل.

حدث هذا في وقت ذكر هؤلاء الكُتاب أنّ المسيح الناصري كان يري أيديه و أقدامه وما حدث فيهم من جروح نتيجة تعليقه على خشبة الصلب. فهل يستسيغ عقلُنا أن يريهم جروحه، ولا يسارعون بإحضار طبيب من أجل معالجته، أو يركّب خبير منهم مرهماً ليضعه على جروح معلّمه؟

هذا الأمر حدا بي لأبحث في كتب الطب القديمة. فحادثة تعليق المسيح على الصليب ضجت لها الأسماع في حينه. ولا بد أنّ يكون هذا المرهم الذي هيئوه لمعالجة جروح المسيح الناصري قد أخذ شهرته أيضاً، وسارع أطباء ذاك الزمان لإنزال اسم ومواد تركيب المرهم المذكور في كتبهم الطبية. ولشد ما كانت دهشتي قوية أنني لاحظت أنّ المرهم قد اشتهر باسم (مرهم عيسى) وأنّ كتب الطب القديمة التي ألّفها الأطباء بعد حادثة الصلب، قد اشتملت جميعها تقريباً على وصفة (مرهم عيسى) المذكور. سواء أكان هذا الكتاب الطبي عربياً أو أعجمياً.

وعلى سبيل المثال هناك كتاب طب روماني اسمه (قرابادين)، وقد كُتب باللغة الرومانية أيضاً. وقد ألّف الطبيب هذا الكتاب بعد تاريخ حادثة صلب المسيح بمدة قصيرة. وقد اشتمل هذا الكتاب الطبي على نسخة (مرهم عيسى).

وقد شرح الطبيب: "إنّ هذه الوصفة أُعدت لمداواة جروح يسوع المـسيح. وقد ترجم هذا الكتاب الطبي الروماني إلى لغاتٍ عديدة منها اللغة العربية وذلك في عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد.

ومن عجائب التقادير الإلهية أن اشتهر هذا المرهم "مرهم عيسى" إلى درجـة اشتملت عليه أكثر كتب الطب سواء كانت هذه الكتب لمسيحيين أو ليهـود أو مجوس أو كان مؤلفوها مسلمون. وقد أجمع هؤلاء الأطباء القدماء أن مرهم عيسى أعده حواريوا المسيح الناصري لمداواة جروحه التي تسبب له ـا تعليقـه علـى الصليب، وأنّ هذا المرهم أفاد في شفائه من تلك الجروح في بضعة أيام. وأنّ هـذا المرهم يحوي مادة (مر) تحفظ الجرح من التقيح والتدود. حتى وأنه مفيد في علاج الطاعون وجميع أنواع البثور. علماً بأنّ مادة (المر) أو (المرارة) المذكورة وردت في الأناجيل كما سبق أن وضحت سابقاً.

ونحن إذا فكّرنا فيما نقله إلينا الإنجيليون من أنّ المسيح بعد أن قام انتقل مـن أورشليم إلى الجليل حيث التقى هناك بتلاميذه. وبين أورشليم والجليل ما يزيد عن ثمانين كيلو متراً. وهل يعقل أن يقطع هذه المسافة الطويلة من نزل حـديثاً عـن الصليب، وأثر المسامير لا يزال يدمي يديه و رجليه؟.

والذي يراجع الكتب اليونانية القديمة التي كُتبت بعد حادثة الصلب المشهورة بمدة، سيلاحظ أنها اشتملت أيضاً على "مرهم عيسى" المذكور على اعتبار أنّ هذا المرهم البلسم ركب للمسيح الناصري واشتهر باسمه أيضاً.

فمن ركّب عناصر "مرهم عيسى" هذا؟ أكان طبيباً؟ أم كان المرهم مستعملاً من قبل، أم ركّبه الحواريون؟ أم ألهم الله تعالى عيسى نفسه مواد تركيبه؟ هذا مما لم أكتشفه حتى هذه اللحظة خصوصاً وأنّ الإنجيليين لم تصلهم أخبار ذلـك، وإلاّ كانوا قد تعرضوا لذكره في أناجيلهم يقيناً. الأمر الذي يثبت منه أيضاً أنّ الأناجيل

كتبها مؤلفوها بعد عدة عقود زمنية من تاريخ تعليق المسيح الناصري على الصليب. حيث كانت قد ضاعت أخبار هذا المرهم وأخبار الذين صنعوه.

هذا، وأذكر للقارئ أسماء بعض الكتب العربية وغير العربية التي اشتملت معلوما ا على ذكر "مرهم عيسى" وسبب تركيبه. وبإمكانه مراجعة الكتب المذكورة للتأكد مما ذكرت:

أولاً- لا يوجد عربي مثقّف لم يسمع بكتاب (القانون) لأبي علي بن سينا، فهو احتوى على الصفحة (١٣٣) على وصفة مرهم عيسى. وهناك أطباء شرحوا هذا المؤلّف الطبي (القانون) أمثال قطب الدين الشيرازي، وقد أبقوا في شرحهم على المرهم المذكور.

ثانياً- ومن الكتب الطبية المشهورة كتاب (كامل الصناعة) للطبيب علي بن عباس. وهو كتاب ضخم مؤلف من عدة أجزاء. وقد ذكر مؤلفه هذا المرهم على الصفحة (٦٠٢) منه.

ثالثاً- وكتاب طبي بعنوان (تذكرة أولي الألباب) للشيخ داوود الضرير الإنطاكي، تعرض لذكر مرهم عيسى في كتابه.

رابعاً- وكتاب (عمدة المحتاج) كتاب طبي للطبيب أحمد رشيد الحكيم. وقد أخذ معلومات كتابه من عشرات الكتب الطبية الإفرنسية، ولم يخل هذا الكتاب من ذكر (مرهم عيسى) أيضاً.

ثمّ إنّ الذي يزور الهند والباكستان، ويراجع كتب طبها القديمة في مكتبا ا، سيجد أنّ كتب تلك المنطقة قد أدرجت "مرهم عيسى" أيضاً فيما أدرجته من وصفات طبية.

فكتاب (علاج الأمراض) للطبيب محمد شريف خان تضمن وصفة (مرهم عيسى) على الصفحة (٨٩٢) من صفحاته. وكتاب (أكسير أعظم) للطبيب محمد أعظم خان الملقّب بناظم جهان، هو أيضاً احتوى على هذه الوصفة الطبية على

الصفحة (٣٣١) من صفحاته. وكتاب (زبدة الطب) للإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن حسن الحسيني الجرجاني احتوى على هذه الوصفة الطبية على الصفحة (١٨٢) من صفحاته.

وفي إيران من الأطباء القدامى من ضمن كتبه الطبية بوصفة "مرهم عيسى" أيضاً، وأتى على تفاصيل تركيب عناصره، كالكتاب (ذخيرة خوارزم شاهي) وقد ألّفه صاحبه ليصف فيه الوصفات الطبية لمعالجة أمراض الجلد. وككتاب (طب شيرازي) المُسمى "سبريه" لمؤلفه سيد حسين الكاظمي وقد ذكر وصفة "مرهم عيسى" على الصفحة (٤٧١) من صفحاته.

وأكتفي بذكر ما ذكرته من كتب طب الأقدمين للقارئ، خشية الإطناب المملّ. وإلاّ فهناك أسماء عشرات الكتب الطبية القديمة المذكور فيها "مرهم عيسى" وتركيبه وسبب وضعه. وليتذكر القارئ هنا أنّ معظم كتب الطب التي أتيت على ذكرها، كانت تدرس قديماً في مدارس المسلمين وغير المسلمين. وفي مدارس أوربة أيضاً.

المهم من كلّ ما ذكرناه هو أنّ كتب الطب القديمة عامةً قد احتوت على وصفة "مرهم عيسى"، والمنسوب تركيبها، إلى عهد المسيح الناصري ومداواة جراحه بهذا المرهم المذكور.

وهذه شهادة وبينةٌ لمن يطلب الحقيقة ويسعى إليها. فهي بينة تستحق القبول من جانب العقلاء والمفكّرين، لكثرة هذه المؤلفات التي احتوتها من جهة، ولاطّلاع ملايين الطّلاب وأساتذتهم على هذه الكتب وعدم اعتراضهم على ما احتوته من علوم.

لذلك كلّه، لا أظن أنّ القارئ لكتابي هذا، إن كان منصفاً وباحثاً عن الحقيقة طوال عمره، لا أظنه يرفض بينة "مرهم عيسى" ودلالاته، خصوصاً وأنّ كُتاب الروايات الإنجيلية، لم يذكر أحد منهم أنّ المسيح الناصري كان قد تعرض قبل

حادثة صلبه إلى كسور أو جروح أو ما شابه، ليفترض المرء أن (مرهم عيسى) قد استعمله المسيح قبل حادثة تعليقه على الصليب. ثمّ إنّ المسيح الناصري لم يـشتهر أصلاً قبل الحادثة المذكورة وخلال الثلاث سنوات ونصف التي مرت عليه قبل ما تعرض له.

وأرجو أن أُلفِت نظر القارئ الكريم إلى أنه لو انقلب المسيح الناصري بعـد محاولة صلبه وقيامه وظهوره لتلاميذه، أقول لو انقلب إنساناً آخر أو ربماً دفع إليـه (كلّ سلطانٍ في السماء وعلى الأرض..) على حسب ما روى متى[1] فلما احتاج المسيح لمداواة جراحاته.

لكن تركيب هذا المرهم لمداواة جراحات المسيح الناصري، ومداواته وشفائه مما أصابه، واشتهار هذا المرهم بين الأطباء الرومان واليونان والعـرب والفـرس والهنود وغيرهم. يدلّ دلالة صريحة على أنّ المسيح الناصري قبل حادثة الـصلب وبعدها، هو هو لم يتبدل، ولم يكن يؤت أي سلطان في السماء وعلـى الأرض. بدليل أنه قطع بعد أن شفي المسافة ما بين أورشليم وجبل الجليل سـليم الجـسم معافى، ومن ثمّ هاجر ليبحث عن الشتاتِ من أسباط بيـت إسـرائيل الـضالة في الأقطار شرقي بابل وفارس.

ساح في الأرض إلى أن بلغ في ترحاله هضبة كشمير والتبت ا اورة، علـى حسب ما أثبتناه. وقد اختلط بالبوذّيين وحقّق نبوءة بوذا المتعلقة بقـدوم المـسيح الأبيض إلى هناك، فلم يضطهدوه بل تبنوا تعاليمه. وآمـن بـه جميـع اليهـود الإسرائيليون خلال جميع المناطق التي زارها المسيح الناصري. وقد ظـلّ اليهـود يسمون أنفسهم إسرائيليين يهوداً ولم يتسموا باسمه. لأنهم اعتبروه أحـد أنبيـاء قومهم المنبأ عن ظهورهم. والمسيح الناصري لم يطلق عليهم اسم "مسيحيين" كما فعل بولس بتلاميذه من بعده. بل تركهم يسمون مؤمنون وأخوة ليس إلا وبنفس

---

(١) إنجيل متى (١٨/٢٨).

ما فعله مع تلاميذه قبل حادثة صلبه لم يطلق عليهم اصطلاح مـسيحيين مـا دام بينهم. لكن ما حدث فقد كان بفعل بولس كما أثبتنا ذلك من قبل. وهذه هـي قصة هذا النبي الذي نجّاه ربه من الموت على خشبة الصليب، وأنـزل الله تعـالى كتاب الفُرقان بعد ستة قرون من الحادثة المذكورة وقال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

كلمة ختام

وفي ختام هذه المحاولة الجادة، التي حاولتها في هذا الكتاب، والتي قصدت بها التقريب بين مفاهيم من يتعلّق بهم تحقيقي هذا. أتوجه إلى المسلمين راجياً أن يتدبروا ما بشرت به الملائكة مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1] ويتفكّروا في قوله تعالى خاصة ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا﴾. فلو أخذوا بما ذهب إليه مفسروهم، فهل يتطابق ذلك والوجاهة في الدنيا؟.

وأتوجه في الوقت نفسه إلى المسيحيين راجياً أن يتدبروا مجدداً في نبوءة (جيل فاسق شرير يطلب آية لا تعطى له إلاّ آية يونان النبي)[2] ويتفكّروا في دلالتها، وهل تصدق إلاّ في حال الاعتقاد بعدم موت المسيح الناصري على الصليب؟

وأتوجه في الوقت نفسه إلى اليهود أيضاً راجياً أن يطالبوا كهنتهم وشيوخهم وحاخاماتهم أن يدلّوهم على دليلٍ موثّقٍ واحدٍ يثبت لهؤلاء الأتباع اليهود يقينهم موت المسيح الناصري على الصليب.

وأضيف وأقول: إنني تجولّت في أرجاء الهند والباكستان وكشمير، ولشد ما أدهشني وجود جبلٍ في هضبة كشمير مسمى باسم مريم (كوه مري) وعلى ذروته ترقد مريم المذكورة في قبرها، وقد قمت بزيارته ودعوت لها على أنها والدة المسيح الناصري يقيناً.

---

(١) سورة آل عمران - الآية (٤٥).

(٢) إنجيل متى (٣٩/٩).

كما أنّ المسافر إلى (سري نگر) محلّة (خان يار) سيدلّه أهل تلك المحلّة على ضريح عظيم محاطٍ بسورٍ من الحجر ومنحوت على واجهته (يوز آصف) وترجمته (يسوع المسيح)، ويقول هذا الدليل لهذا المسافر: هذا ضريح نبي قديم أتى إلى منطقتنا وأقام فيها وانتقل إلى رحمة الله هنا أيضاً. ومن يكون (يسوع المسيح) المنحوت على واجهة الضريح المذكور إلاّ هذا الذي أتت على ذكره الأناجيل؟

سليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن

الملحق

APPENDIX ٤

Author : H. T. Princep.
Book : Tibet, Tartary and Mongolia

"The earliest travels in Tibet proper which have been transmitted to us, are those of Jesuit Fathers, Crueber and Dorville, who returned from China by that route in A.D. ١٦٦١, just four hundred year after Marco Polo's journey westward. They were tge frst Christians of Europe who are known to have penetrated into the populous parts of Tibet, for Marco Polo's journey was, as we have stated, to the north west by the sources of Oxus. Father Grueber was much struck with the extraordinary similitude he found, as well in the doctrine, as in the rituals, of Bhoodbhists of Lassa to those of his own Romish Faith. He noticed, ١st : that the dress of Lamas corresponded with that handed down to us in ancient paintinge, as the dress of the Apostles.

٢nd : to us in discipline of monasteries and of the different orders of Lamas or priests bore the same resemblance to that of the Romish Church, ٣nd : that the notion of an incarnation was common to both, as also the belief in paradise and purgatory, ٤th : he remarked that they made suffrages, alms, prayers and sacrifces for the dead, like Roman Catholics, ٥th : that they had convents, filed with monks and friars to the number of ٣٠،٠٠٠, near Lassa, who all made their vows of poverty, obedience and chastity, like Roman monks, besides other vows. And ٦th : they had confessors, licensed by the superior Lamas or bishops; and so empowered to receive confessions and to impose penances, and give absolution. Besides all this, there

was found the practice of using holy water, of singing service in alternation, of praying for the great and the superior Lamas to those of different orders of Romish hierarchy. These early missionaries further were led to conclude from what they saw and heard, that the ancient books of the Lamas contained traces of the Christian religion, which must, they thought, have been preached in Tibet in the time of Apostles."

(Page ١٢-١٤).

Then concerning the advent of a Saviour, the author H.T. PRINCE? writes in the same book (Tibet, Tartary and Mongolia) on page ١٧١:

"The general expectation of the birth of a great prophet. Redeemer or Saviour, which is alluded to even by Tacitus, as prevailing at the period when the founder of the Christian religion appeared, was, there can be no doubt, of Boodhist origin, and not at all confned to the Jews, or based only on the prophecies of their scriptures".

As a foot note on page ١٧١ the author further wrote :"The advent of another Boodh a thousand years after Gotama or Sakhya.

Muni, is distinctly prophesied in the Pitakattayan and Atha - Katha. Gotanu declares himself to be the twenty - ffth Boodh, and says, "Bagawa Metteyo is yet to come. The name Metteyo bears an extraodinary resemblance Messiah'.

APPENDIX ١٦

Page ١٢١

Cyclooaedia of Geography by Jamas Bryce, M.A., IL D.F.R.S.E. and Keith Johnson F.R.G.S.

Published by : Williams Collins, Sons & Co. Ltd. London & Glasgow.

Date: ١٨٨٠

Under heading Afhanistan - Page ٢٥"History and Relations". "The name Aghan is not used by the people themselves: they call themselves Pooshtoon, and in the puten given to them in India.

They trave their orgin to Saul, king of Israel, calling themselves Ben-i-lsrael.

According to Sir A. Buroes their tradition is that they were transpanted by the king of Babylon from the Holy Land to Chore, lying to the N. W. of Cabul, and lived as Jews till A. D. ٦٨٢, when they were converted to Mohometanism by an Arab Chief khaled-ibn-abdalla, who had married a doughter of an afghan chief. No historical evidence has ever been adduced in support of this origin, and it is perhaps a mere invention, founded upon the facts mentioned in ٢ kings XVIII-II. However this may be, all travellers agree that the peopit differ strikingly from the neighbouring nations and have among themselves one common origin. They arc said, by some, to resemble Jews very musch in from and features, and they arc divided into several tribes, inhabiting separate territories and remaining almost unmixed".

APPENDIX ١٧

Page ١٢١

History of Afghanistan by: Colonel G. Malleson, C.S.I.W.H Allen & C.,١٣ Waterloo Place, Pall Mali, SW

١. Published at the India Offce, ١٨٧٨

Page ٣٩. "I turn now to the people of Afghanistan, to the tribes who occupy thecountry, and who command the passes. The subject has been treated at great length by IMountstuort Elphinstone, by Ferricr - who quote largely from Abdulldh khan of Herat, by Bellews and many others.

Following Abdullah khan and other Afghans represent Ferricr is disposed to believe that the Afghans writers, the lost ten tribes and to claim them descent from Saul, King of Israel. Among other writers concurring in this view may be mentioned the subject at length, rejects this theory.

Mountstuart Elphinstone classes it in the same category as the theory of the descent of the Romans from the Trojans.

The objections to Abdullh khans' view have been recently expressed, Fittingly and forcibly by Professor Dowson, in a letter to the Times, "IF' writes that gentleman, "it were worthy of consideration, it is still inconsistent with the worthy of consideration, it is still inconsistent with the notion that the Afghans are descendants of the lost ten tribes. Saul was the tribe of Benjamin, and that tribe was not one of the lost ten. There remains the question of features. This no doubt has its weight, but cannot prevail against the more important question of language. Professor Dowson then proceeds to show that the afghan language has no trace of Hebrew in it, and concluded by pronounciny the supposition that in the course of time the whole Afghan race could have changed their language is "Too incredible".

APPENDIX ١٨

Page ١٢٢

L. P. Ferrier.

History of the Afghans. ١٨٥٨.

Translated by W.M. Jesse.
Published by : Johan Murray, London.

Page ٤. "When Nadir Shah marching to the conquest of India, arrived at Peshawar, the chief of the tribe of Woozoof Zycs presented him with a Bible written in Hebrew and several other articles that had been used in their ancient worship and which they had preserved.

These articles were at once recognized by the Jews who followed the camp."

APPENDIX ١٩

Page ١٢٧

L. P. Ferrier.

History of the Afghans. ١٨٥٨.

Translated by: W. M. Jesse.
Published by: John Murray, London

On page No. I, in footnotes he writes :"The author of a manuscript history of the Afghans observes that some derive the name affghan from its Persian meaning "Lamentation" because these tribes bewailed their banishment from Judea. Others say that Afghan was the grandson of Saul and was employed by Solomon in building the temple. This author refers to two histories of his nation : The Tarikh-Affghanad, and the Tarikh Ghour, i.e. the History of the Affghans and the History of Ghour. It appears, he says, from these works, that the affghans consider themselves as partly descended from the Copts of Egypt and partly from the Israelites; but nothing is adduced to support this assertion.

"We arc told by one of these writers that Nehuchednezzar, after putting to death many of the prisoners, banished the remnant in to the mountains of Ghour, where they multiplied greatly with the Jews called khalud, a letter was received fiom a converted Jew called khalud, informing them of the appearance of a New Prophet and invoking them of the join his holy standard. Several Affghan nobles went to Arabia; the principal was keis, who, we are informed generation to Saul and through ffty-five to Abraham" (History of the Affghans, Persian MSS).

"Almost all Mohammedan writers claim this descent for the Affghans and I possessed for some time a genealogical table in which an attempt was made to prove all the

principal families of Affghanistan direct descendants of the kings of Israel.

الفهرس